

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَقِيدَتُنَا
عَقِيدَةُ الْقُرْآنِ وَالْإِسْلَامِ

ح) دار الكتاب والسنة ، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

هراس، محمد خليل

عقيدتنا... عقيدة القرآن والسنة / محمد خليل هراس، عبدالكريم عبدالمجيد

الدرويش - الرياض . ١٤٢٧هـ

٣٣٦ ص ، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٧ - ٦ - ٩٤٦٩ - ٩٩٦٠

١- العقيدة الإسلامية أ- الدرويش، عبدالكريم عبدالمجيد (مخرج) ب- العنوان

١٤٢٧/٢٨١٣

ديوي ٢٤٠

رقم الإيداع: ١٤٢٧/٢٨١٣

ردمك: ٧ - ٦ - ٩٤٦٩ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

رجب ١٤٢٧هـ

حقوق الطبع محفوظة للناسر

وَمَا صَحَّحْتُ بِهِ الْآثَارَ دِينِي
تَكُنْ مِنْهَا عَلَى عَيْنِ الْيَقِينِ

كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَوْلِي
فَدَعُ مَا صَدَّ عَنْ هَذَا وَخُذْهَا

[نفع الطَّبِّ للمقري (١٢٧/٢)]

شركة دار الكتاب والسنة للنشر الدولي

DAR AL-KITAB WA AL-SUNNAT

INTERNATIONAL PUBLISHING COMPANY

G.P.O Box No. 1452 Lahore: 54000 Pakistan

P.O. Box No. 330110 Riyadh: 11373 K.S.A Tel. +966555281537

BIRMINGHAM (UNITED KINGDOM)

website: darkitab.com E-mail: info@darkitab.com or sales@darkitab.com



عَقِيدَتُنَا

عقيدة القرآن والسنة

د. محمد خليل هراس
رئيس قسم العقيدة بالدراسات العليا بجامعة أم القرى سابقاً

جمّعها وأعتنى بإخراجها
عبد الكريم بن عبد المجيد الدرويش

تقديم
الشيخ فتي أمين عثمان



دار الكتاب والسنة للنشر والتوزيع
تعتز بخدمة الكتاب في السنة

(تنويه عن حقوق الطبع والنشر)

حقوق الطبع والنشر والاقتباس والترجمة والتوزيع محفوظة كاملة للناشر فقط. ولا يحق لأي شخص نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه. كما لا يجوز عمل ملخص له أو إعادة طبعه أو تصويره أو تخزين محتوياته وبرامجه أو نقلها بأي وسيلة كانت إلا بعد الحصول على موافقة خطية موقع عليها ومختومة من الناشر. وكل من يخالف ذلك سيعرض نفسه للجزاء من الجهات المختصة. ولا مانع من الرجوع إلى الكتاب كمرجع عند إعداد الأبحاث والدراسات العلمية، مع الإشارة إلى اسم الكتاب والمؤلف والناشر.

الناشر

دار الكتاب السنن للنشر الدولي

للطباعة والنشر والتحقيق والتأليف والترجمة

لصاحبها / الدكتور /

كلمة الناشر

[الحمد لله الذي جعل في كل فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويُبصِّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الغاوين من الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وضلال المنحرفين الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون له، مجمعون على مفارقتة، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهّال الناس بما يُشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين].

وقد نص غير واحد من أهل العلم على أن تأويل قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١]. هو موت العلماء المصلحين فهم أمان الله لأرضه وخلقه .

وفي الحديث المتفق عليه : عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فُسِّلُوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» .

ومن هنا كان حرص (دار الكتاب والسنة للنشر الدولي) على نشر عقيدة أهل السنة والجماعة، وأن يكون ذلك حقيقة ومنهاجاً هو منهاج السلف الصالح وعقيدة الفرقة الناجية التي لا تزال طائفة منها على الحق قائمة منصورة إلى يوم القيامة، لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، وهذه العقيدة ليست شعاراً يلاك بالألسن أو يتجر به، وليست لحنا يعزفه المتأكلون وأصحاب الأهواء ليرقص عليه العلمانيون، وليست كفا تربت على أهواء المفتونين أو السكارى، أو ترضى عنها اليهود أو النصارى .

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتَابِعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠] .

وفي هذا السياق يسرنا أن يأتي هذا الإصدار الجديد للعلامة :

محمد خليل هراس - رحمه الله - والذي بعنوان :

عقيدتنا .. عقيدة القرآن والسنة

وهذا الكتاب تكمن أهميته من حيث موضوعه في بيان عقيدة السلف ، والتي هي عقيدة القرآن والسنة والرد على المخالفين لها .

ومن حيث إنه للعلامة / محمد خليل هراس - رحمه الله - ، وهو من هو في قائمة علماء الدعوة الكبار المتخصصين في فهم عقيدة السلف في هذا الزمان .

وهذه المنزلة لم تنشأ من فراغ ، وإنما كانت نتيجة جهد واطلاع واختصاص في فهم تراث السلف ، وخاصة ما جاء عن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهم الله .

ويكفي أن نعلم أن رسالته العالمية (الدكتوراه) كانت بعنوان :

(ابن تيمية السلفي ورده على مذاهب المتكلمين) .

ولذلك لم يكن غريباً ثناء كبار العلماء على المؤلف من أمثال العلامة / عبدالرازق عفيفي - رحمه الله - وغيره من كبار العلماء ؛ ومن ثمَّ استدعاه الملك فيصل بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - رحمه الله - للتدريس في بلاد الحرمين

المملكة العربية السعودية ، وعُيِّن رئيساً لقسم العقيدة بالدراسات
العليا بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

وقد حرصنا على أن يخرج الكتاب في حلة أنيقة مخرجة
الأحاديث ، موثقة النقول ، وأن يلحق به فهرس لأطراف الآيات
القرآنية مرتب على السور ، وفهرس لأطراف الأحاديث والآثار
مرتب على الحروف الهجائية ليعم الانتفاع به .

نسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب ، وأن يجعله ذخراً لكل من
أسهم في إخراجه .

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكتب

أبو سلطان أشد ديبك معل

الرياض ١٤٢٧/٧/٧ هـ

تقدير فضيلة الشيخ فتحي أمين عثمان

الوكيل العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم الهادي إلى الصراط المستقيم،
وأشهد أن محمدًا عبده الكريم ورسوله الرؤوف بالمؤمنين الرحيم، إمام
المهتدين وخاتم المرسلين والمبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله أجمعين
صلاة وسلاما دائمين متلازمين إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن من يتضلع من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية
وتلميذه ابن القيم - رحمهما الله - يصبح جديرًا أن يفهم عقيدة أهل
السنة على وجهها، ويعرف السلفية على معناها الصحيح. ولما كان
الأستاذ الدكتور العلامة محمد خليل هراس - رحمه الله - ممن قام
بدراسات عليا عن منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة للدكتوراه
والتي بعنوان: (ابن تيمية السلفي ورده على مذاهب المتكلمين).

وقرأ كتب الشيخ وتضلع منها دراسة وفهماً، فقد صار بذلك علمًا
من علماء السلفية في مصر، ورائدًا من روادها، له منهج رصين، وفهم
عميق، وتبحر في المعاني والدلالات، خبيرًا بالمسالك والمتاهات، بحرًا
في تحرير القضايا وفض المنازعات.

ومن هنا جاء الاهتمام بإنتاجه العلمي الغزير، وجهوده الرائعة في
تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة، وخير مثال عن ذلك: حصول الباحث
موسى السلمي على درجة الماجستير في:

(الشيخ خليل هراس وجهوده الدعوية) من جامعة أم القرى،
جلّى في بحثه الجوانب العلمية في منهج الشيخ وفهمه وتأصيله
لمسائل الاعتقاد.

وفي الحديث المتفق عليه : عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فُسِّلُوا فافتواً بغير علم فضلوا وأضلوا» .

ومن هنا كان حرص (دار الكتاب والسنة للنشر الدولي) على نشر عقيدة أهل السنة والجماعة، وأن يكون ذلك حقيقة ومنهاجاً هو منهاج السلف الصالح وعقيدة الفرقة الناجية التي لا تزال طائفة منها على الحق قائمة منصورة إلى يوم القيامة، لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، وهذه العقيدة ليست شعاراً يلاك بالألسن أو يتجر به، وليست لحنا يعزفه المتأكلون وأصحاب الأهواء ليرقص عليه العلمانيون، وليست كفا تربت على أهواء المفتونين أو السكارى، أو ترضى عنها اليهود أو النصارى .

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠] .

وفي هذا السياق يسرنا أن يأتي هذا الإصدار الجديد للعلامة :

محمد خليل هراس - رحمه الله - والذي بعنوان :

عقيدتنا .. عقيدة القرآن والسنة

وهذا الكتاب تكمن أهميته من حيث موضوعه في بيان عقيدة السلف ، والتي هي عقيدة القرآن والسنة والرد على المخالفين لها .

ومن حيث إنه للعلامة / محمد خليل هراس - رحمه الله - ، وهو من هو في قائمة علماء الدعوة الكبار المتخصصين في فهم عقيدة السلف في هذا الزمان .

وهذه المنزلة لم تنشأ من فراغ ، وإنما كانت نتيجة جهد واطلاع واختصاص في فهم تراث السلف ، وخاصة ما جاء عن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهم الله .

ويكفي أن نعلم أن رسالته العالمية (الدكتوراه) كانت بعنوان :

(ابن تيمية السلفي ورده على مذاهب المتكلمين) .

ولذلك لم يكن غريباً ثناء كبار العلماء على المؤلف من أمثال العلامة / عبدالرازق عفيفي - رحمه الله - وغيره من كبار العلماء ؛ ومن ثمَّ استدعاه الملك فيصل بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - رحمه الله - للتدريس في بلاد الحرمين

المملكة العربية السعودية ، وعُيِّن رئيساً لقسم العقيدة بالدراسات
العلية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

وقد حرصنا على أن يخرج الكتاب في حلة أنيقة مخرجة
الأحاديث ، موثقة النقول ، وأن يلحق به فهرس لأطراف الآيات
القرآنية مرتب على السور ، وفهرس لأطراف الأحاديث والآثار
مرتب على الحروف الهجائية ليعم الانتفاع به .

نسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب ، وأن يجعله ذخراً لكل من
أسهم في إخراجه .

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكتب

أبو سلطان أشهد بكتابك

الرياض ١٤٢٧/٧/٧ هـ

تقدير فضيلة الشيخ فتحي أمين عثمان

الوكيل العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم الهادي إلى الصراط المستقيم،
وأشهد أن محمدًا عبده الكريم ورسوله الرؤوف بالمؤمنين الرحيم، إمام
المهتدين وخاتم المرسلين والمبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله أجمعين
صلاة وسلاما دائمين متلازمين إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن من يتضلع من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية
وتلميذه ابن القيم - رحمهما الله - يصبح جديرًا أن يفهم عقيدة أهل
السنة على وجهها، ويعرف السلفية على معناها الصحيح. ولما كان
الأستاذ الدكتور العلامة محمد خليل هراس - رحمه الله - ممن قام
بدراسات عليا عن منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة للدكتوراه
والتي بعنوان: (ابن تيمية السلفي ورده على مذاهب المتكلمين).

وقرأ كتب الشيخ وتضلع منها دراسة وفهمًا، فقد صار بذلك علمًا
من علماء السلفية في مصر، ورائدًا من روادها، له منهج رصين، وفهم
عميق، وتبحر في المعاني والدلالات، خبيرًا بالمسالك والمتاهات، بحرًا
في تحرير القضايا وفض المنازعات.

ومن هنا جاء الاهتمام بإنتاجه العلمي الغزير، وجهوده الرائعة في
تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة، وخير مثال عن ذلك: حصول الباحث
موسى السلمي على درجة الماجستير في:

(الشيخ خليل هراس وجهوده الدعوية) من جامعة أم القرى،
جلى في بحثه الجوانب العلمية في منهج الشيخ وفهمه وتأصيله
لمسائل الاعتقاد.

ولقد عهدنا الشيخ العلامة الهراس كاتبًا ومتحدثًا عن عقيدة القرآن والسنة فيما يعجز القلم عن حصره، وقد يسر الله في زماننا هذا من قام بجمع مقالات وفتاوى ومحاضرات الشيخ العلامة الهراس رحمه الله. وكان مما جمع مجموعة من المقالات كتبها الشيخ في مجلة الهدى النبوي على امتداد خمسة أعوام اشتملت على العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مسلم أن يعتقدوها، من: توحيد الربوبية، توحيد الإلهية، توحيد الأسماء والصفات. ثم عقب بعدها الشيخ بشرح أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، فأفاد وأجاد.

ولا أحسب أحدًا كان يخاطب الناس فيفهم عنه الخاصة والعامة في أمور تحسبها صعوبة الإدراك على غير أهل التخصص مثل الشيخ العلامة خليل هراس فقد كان له لسان في الحق مبين فصيح، وتلك موهبة وهبه الله إياها، وهو عندما يناقش أو يحاور في أمر الاعتقاد يظهر علمًا جمًا غزيرًا وفهمًا مستقيمًا.

كما لا يفوتني أن أنوه بجهد أخي وابن أخي / عبد الكريم بن عبد المجيد الدرويش الذي جمع فتاوى الشيخ العلامة الهراس - من قبل - وتم طبعها في دار طيبة للنشر والتوزيع، فجزاه الله خيرًا، كما ندعو الله أن يجعله عملاً متقبلاً.

وفي الختام: إلى الذين يؤرقهم الشوق إلى معرفة الحق، إلى الذين يؤرقهم الخوف من معرفة الحق، إلى هؤلاء وهؤلاء نسوق هذا الكتاب. والله من وراء القصد وبه الهداية ومنه التوفيق.

وكتبه فتحي أمين عثمان

الوكيل العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة

مقدمة معد الكتاب

الحمد لله الواحد الأحد الفرد المعبود الصمد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة الله لنفسه، وشهادة الملائكة له، وشهادة أولي العلم ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه وخليله وخيرته من خلقه، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

أما بعد:

فإني أقدم - للقارئ الكريم - مجموعة من واحد وخمسين مقالاً في العقيدة الإسلامية الصحيحة المستمدة من صريح القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية، كما كتبها الأستاذ الدكتور العلامة / محمد خليل هراس - رحمه الله تعالى - ونشرتها مجلة الهدى النبوي التي كانت تصدرها - شهرياً - جماعة أنصار السنة المحمدية، منذ ما يزيد عن ثلاثة عقود ونصف، أقدم هذه المقالات مجموعة في مصنف واحد.

وموضوع هذه المقالات هو: (عقيدة القرآن والسنة)، التي يجب أن يعلمها كل مسلم وهي التي لا يجوز فيها الترخص أو العذر بالجهل، فلقد قال الله لنبيه وأعبد خلقه محمد ﷺ كما قال لأنبيائه - صلوات الله وسلامه عليهم - من قبل: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿[المر: ٦٤، ٦٥]،

وأمره بأن يعلم معنى لا إله إلا الله، فقال له: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، لذلك فقد مكث الرسول ﷺ في مكة ثلاثة عشر عامًا - في بدء الدعوة - يدعو الناس إلى التوحيد الذي هو العبادة الأولى في حياة المسلم، وهو الذي يدور في فلكه سائر عبادته وعمله.

فلقد كتبها الأستاذ الدكتور العلامة / محمد خليل هراس - رحمه الله تعالى - بأسلوبه السهل المتميز مما يعد مدخلًا طيبًا لدراسة العقيدة الصحيحة وتفهمها والتعمق فيها وتوصيلها للناس، وفضيلته ذو باع طويل وتخصص وتفرد في هذا الموضوع - يشهد له بذلك كل من عرفه، كما يشهد له تراثه الذي خلفه من الكتب والشروح والتحقيقات، فجزاه الله عنا خيرًا، وجعله في ميزان حسناته يوم لقائه.

وأتوجه بالشكر لصاحب الفضيلة الشيخ فتحي أمين عثمان، الوكيل العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة، لاهتمامه بنشر هذا التراث العظيم لعلماء جماعة أنصار السنة المحمدية، فلقد تكرم مشكورًا بإعطائي ما لم أجده في مكتبة والدي من أصول هذه المقالات - ووالدي متعه الله بالصحة والعافية - من مُحبي الأستاذ الدكتور العلامة محمد خليل هراس - رحمه الله تعالى - والذي كثيرًا ما يحكي لي عن مواقف ومناقشات كانت تحدث بين العلامة الهراس، وكثير من علماء عصره.

وأتوجه لله - عز وجل - بالدعاء أن يرحم صاحب الفضيلة الشيخ محمد صفوت نور الدين، الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية،

والذي شاء الله - الذي لا راد لمشيئته - أن يتوفاه قبل أن يكتب مقدمة هذه المقالات، فقد أوصاني - رحمه الله - بإعدادها ودقة مراجعتها على الأصل القديم لها، ثم إرسالها لفضيلته للتقديم لها والتعليق عليها، ولكن قدر الله كان أسبق.

وأسال الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يرحم أستاذنا الدكتور العلامة محمد خليل هراس .. وجميع موتى المسلمين الذين شهدوا له بالوحدانية، ولنبهه بالرسالة، وماتوا على ذلك، وأن يتقبلنا جميعاً في مستقر رحمته .. ولا تنسنا أخي القارئ الكريم وكل من أسهم في إخراج هذا الكتاب بدعوة صالحة بظهر الغيب ليرد لك الملك الموكل: (ملك بمثل) ^(١).

وصلنى اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبه: عبد الكريم عبد المجيد محمد صالح الدرويش

حلوان فى: فجر يوم الجمعة

١٤٢٤/١/٤ هـ.

Email: ak_darwesh@hotmail.com

ak_darwesh@yahoo.com

(١) رواه مسلم (٢٧٣٢).

عقيدة القرآن والسنة المبادئ العامة لدراسة العقيدة المُجَيِّد

نرى من الواجب ونحن نريد أن نكتب عن العقيدة الإسلامية، كما نطق بها الكتاب الكريم، والسنة الصحيحة، وكما فهمها السلف الصالح - رضي الله عنهم - من نصوص هذين المصدرين الكريمين، أن ننبه الأذهان إلى جملة من المبادئ والأمور العامة التي لا بد من الوقوف عليها قبل الدخول في المقصود، لأنها تعين القارئ على فهم المنهاج الصحيح الذي يجب أن يتبع في معالجة هذه المسائل الكبار التي هي أصول الدين والفقه الأكبر، وهذه الأمور هي:

أولاً: إن الكتاب والسنة هما النوران الهاديان والنبعان الصافيان اللذان قد تكفلا ببيان الدين كله أصوله وفروعه، فيجب أن نستمد منهما جميع الأحكام الدينية اعتقادية كانت أو عملية، ولا يجوز أن يعارضا بشيء من أقيسة العقل، أو الكشف والإلهام، أو تؤول نصوصهما بما يخرجها عن معانيها التي دل عليها الوضع اللغوي والعرف العام من أجل ما يزعمه بعض الناس من قرائن عقلية، ونحو ذلك.

ثانياً: إن مسائل العقيدة هي أصل الدين والأساس الذي تبنى عليه جميع الأعمال من عبادات وغيرها، فيجب أن ترتفع عن مستوى الخلاف والجدل، وأن لا تثار حولها الشكوك والشبهات، لأنها جميعاً

من قبيل الأخبار الصادقة التي يجب أن تقابل بالتصديق والإذعان لا بالتشكيك والنكران.

ولهذا كانت متفقة في جميع الأديان، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وقال أمرا للنبيه عليه الصلاة والسلام بعد ذكر من سبقه من الرسل عليهم صلوات الله وسلامه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾ [الأنعام: ٩٠].

فالمراد به الاقتداء في أصل الدين من التوحيد والإيمان . ولهذا - أيضا - لا يسوغ فيه الاجتهاد، كما يسوغ في العمليات التي هي متعلق الأمر والنهي.

ولم يؤثر عن السلف الصالح - رضي الله عنهم - أنهم اختلفوا في العقيدة، كما أثر ذلك عنهم في الفروع، وقد ذم الله المختلفين في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

مثالثا: جميع الاختلافات الاعتقادية التي فرقت دين الأمة وجعلتها شيعة وأضرمت بينها نار العداوة والبغضاء وجعلت بأسها بينها شديداً، وأضعفتها أمام أعدائها كانت كلها بحمد الله وليدة عوامل أجنبية لا صلة

لها بالدين، فكان أصحابها لا يصدرون فيها عن فهم صحيح الكتاب والسُّنة والاستمساك بهما، ولكن يصدرون إما عن هوى غالب أو عصبية ممقوتة أو تقليد أعمى، أو تأثر بالفلسفات الأجنبية والأفكار الدخيلة، أو خدمة لأغراض خاصة، أو حقد وموجدة على الإسلام ورغبة في إفساده على أهله، إلى غير ذلك من عوامل هي أبعد ما تكون من الدين.

ولهذا ذم السلف - رضي الله عنهم - جميع الفرق المختلفة الخارجة عن دائرة الكتاب والسُّنة من: خوارج ومرجئة وشيعة ومعتزلة وقدرية وجهمية وغيرها، واضطروا إلى عقد المناظرات، وتأليف الكتب للرد على هذه الفرق، والدفاع عن عقيدة أهل الحق مع كراحتهم الشديدة للخوض في علم الكلام، وذمهم للمشتغلين به حتى قال الشافعي رحمه الله: «حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر، ويقال: هذا جزء من ترك الكتاب والسُّنة»^(١).

ولعل تلك الكراهة الشديدة لعلم الكلام وأهله كان منشؤها اعتقاد السلف رحمهم الله أن الكتاب والسُّنة قد تكفلا في هذا الباب بما لا حاجة معه إلى قول أحد ورأيه، وأن جميع العقائد الإيمانية مع أدلتها التفصيلية اليقينية موجودة فيهما بأجمل أسلوب وأوضح عبارة.

وأبعداً: يزعم كثير من المشتغلين بعلم الكلام من أشعرية ومعتزلة وفلاسفة: أن أدلة العقل وحدها هي التي ينبغي أن يعول عليها في

(١) انظر: أحاديث في ذم الكلام وأهله (٤ / ٦٤٢)، وسير أعلام النبلاء (١٠ /

التوصل إلى العقائد الصحيحة لأنها أدله برهانية تفيد اليقين.

وأما الأدلة التي يسوقها القرآن الكريم لإثبات توحيد الله - عز وجل - وقدرته وعلمه وحكمته وغيرها، فهي بمعزل عن إفادة اليقين لأنها خطابية لا تفيد إلا الظن، ولا تصلح إلا لإقناع العامة!!!

وهذا القول في شناعته وجرمه يضاهي به أصحابه قول المستهزئين، الذين جعلوا القرآن عضي - وإن شناعته أعظم من أن يقدموا أدلة عقولهم المأفونة على أدلة القرآن الكريم، فيجعلوا عقولهم حاكمة ومهيمنة على كتاب الله - سبحانه هذا بهتان عظيم - وجهل فاضح بقدر القرآن، بل وبقدر من أنزله، وجعله هدى للناس، وبينات من الهدى والفرقان، وجعله موعظة وشفاء لما في الصدور، وأنزله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم .

إن أدلة القرآن لا تعتمد على تلك الجهالات والظنون الكاذبة، والأوهام الضالة التي تعتمد عليها أدلة عقولهم، ولكنها تعتمد على أسمى ما في النفس من مشاعر وأحاسيس، ولا تقوم إلا على ما يراه الناس بأعينهم، ويلمسونه بأيديهم من عجائب الخلقة ودقيق الصنعة وتباين الأشكال واختلاف الصور، وما أودع في الأشياء من عظيم المنافع وضروب المصالح، إلى غير ذلك مما يسكب في النفس برد اليقين، ويملؤها إيماناً محضاً لا تشعر باختلاجة ريب ولا بريح شبهة.

وليست أدلة القرآن نقلية فقط كما زعموا، ولكنها نقلية وعقلية، فهي نقلية من جهة ورودها على لسان الشرع، وعقلية من جهة دلالتها، بل هي أسمى ما يمكن أن يصل إليه العقل في الاستدلال، ولهذا يجيء كثيراً بعد سوق هذه الدلائل في القرآن أن تختتم الآية بما يفيد أنها نزلت لقوم

يعقلون ويتفكرون ويعلمون ويسمعون.

وكيف لا تكون أدلة القرآن عقلية، وهو إنما نزل يخاطب العقل ويدعوه للبحث والنظر ويفتح أمامه آفاق التفكير واسعة^(١)، ويطالبه بأن لا يؤمن بشيء إلا إذا قام عليه البرهان وأثبتته العلم الصحيح، ويحذره - دائماً - من الجري وراء الهوى والظن، والانسحاق وراء التقليد الأعمى بلا مناقشة ولا تفكير .

خامساً: وهناك فرية أخرى تلو كها السنة هؤلاء المتهوكن المخدولين يجب التنبيه لها، فقد خدعوا بها كثيرا من السذج، وهي قولهم: «أن مذهب السلف أسلم، ومذهب الخلف أعلم وأحكم»^(٢).

وهذه العبارة تنادي على نفسها بما تنطوي عليه قلوب هؤلاء المغرورين بما عندهم من قشور فارغة من ازدراء بمقادير السلف وتجهيلهم، وأنهم لم يبلغوا من العلم والتحقيق مبلغ هؤلاء المتأخرين المتحذلقين.

وقد يشتد بك العجب إذا علمت أنهم إنما يعنون بالسلف خير قرون هذه الأمة، وأكملها علماً وإيماناً من الصحابة والتابعين، ومن جرى على نهجهم من أئمة الهدى الذين جانبوا البدع، ووقفوا عند الكتاب والسنة

(١) كل ما أخبر به الشارع الحكيم وما جاء به يجب الإيمان به والتسليم دون مناقشة علمت الحكمة أو لم تعلم. وهذا لا يختلف فيه اثنان.

ومقصد المؤلف رحمه الله أنه لا بد من قيام البرهان على وجود الله، وصحة الرسالة والقرآن. وأن ما جاء في القرآن والسنة فهو العلم الصحيح.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٥/٨٧٣).

دون تزيد أو تقصير، فلم يخوضوا كما خاض هؤلاء في جدل عقيم وتخرصات كاذبة، ولم يقولوا على الله ما لا يعلمون، وكيف يجوز في عقل عاقل أن هؤلاء الكرام الذين قام بهم الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا يكونون أقل علما وحكمة من هؤلاء المخالفين للكتاب المختلفين فيه، ممن تلوثت عقولهم بالفلسفات الدخيلة، والأفكار العفنة التي نقلت إليهم عن المجوس والنصارى وعبد الأوثان وصابئة حران.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عند تعرضه لرد هذه الفرية في عقيدته الحموية: «إن هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن هذا حذوهم على طريقة السلف، إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك فهم بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ أَلْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ [البقرة: ٧٨]، وإن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المعروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات، فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالات التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر. وقد كذبوا على طريقة السلف، وضلوا في تصويب طريقة الخلف»^(١).

سادساً: مما تقدم يعلم أن المنهج الذي سنلتزمه في هذا البحث هو ما جرى عليه السلف من الإيمان بكل ما ورد به الكتاب والسنة في باب

(١) العقود الدرية ص ٧٨ - ٨٨ .

الصفات وغيرها، من غير لجوء إلى تأويل متكلف يخرج اللفظ من معناه ويحرف الكلم عن مواضعه من غير موجب لذلك من قرينة ونحوها.

وأما ما يدعيه كثير من المتكلمين المعطلة من قرائن عقلية توجب تلك التأويلات، فغير مسلم لهم، بل العقل الصحيح الخالي من الهوى والتقليد لا بد أن يكون موافقاً لما دلت عليه النصوص، فشعارنا إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل.

* * *

وجود الله عز وجل

لا شك أن الإيمان بوجود الله هو أساس العقائد الإيمانية كلها، بل أساس جميع الأديان والشرائع السماوية، لأنها جميعاً إنما قامت على أساس أنها نزلت من عند الله سبحانه.

ولهذا كان أهم ما يهدف إليه أهل المروق والإلحاد - من أعداء الرسل والأديان - هو التشكيك في وجود الله تعالى - كما نرى اليوم - فيما يشغف به دعاة الشيوعية وأذناب الوجودية، وغير هؤلاء وأولئك من عناصر الشر والفوضى والانتهازية .

ومن المؤسف - حقاً - أن نرى كثيراً من شبابنا المسلم المثقف يستجيب سريعاً لهذه الدعوات المخزية مأخوذاً بما يزينه له شياطينها من زخرف القول وباطله، وما يغرونه به من التحلل والانطلاق من قيود الدين والأخلاق.

فلا يلبس أن يقع في شراكهم صيداً سهلاً فيسلبونه دينه وخلقه وجميع مقومات حياته التي يعتز بها ويعيش من أجلها، ويصبح أداة طيعة في أيدي أولئك الأبالسة يستخدمونه لتحقيق مآربهم الخبيثة في الترويج لمبادئهم الهدامة التي ما سادت في أمة إلا سلبتها أعز ما تعتز به من دين وشرف وتقاليد وجميع مقدراتها الأدبية والروحية.

ولست أدري كيف يسوغ لعاقل يحترم عقله، ويقدر نعمة التمييز التي أكرمه الله بها، أن ينخدع لهذه الدعوات الإلحادية الخبيثة، فيما تهذي به من إنكار وجود الله، وهو يراه - سبحانه - ظاهراً في نفسه، وفي كل ما حوله من الأشياء التي هي آثار قدرته ومجالي علمه وحكمته وفيض وجوده ورحمته، والتي حمل النظر فيها كثيراً من علماء الغرب الملحد أن يقرّوا بوجود الله على أنه ضرورة علمية لا مناص منها لما عجزوا عن تفسير ظواهر الكون وأعاجيبه تفسيراً مادياً بحتاً، ورأوا أنها تسير كلها وفق غاية مرسومة ونظام محكم.

وإذا كان وجود الله يعتبر من أجلّ البديهيات للعقول السليمة والفطر المستقيمة التي لم يفسدها الهوى والتقليد الأعمى، فهو ليس بحاجة إلى تلك الجدليات الفارغة التي اصطنعها علماء الكلام وسموها جهلاً براهين، كقولهم: «العالم جواهر وأعراض، والأعراض حادثة، والجواهر لا تخلو عن الأعراض، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث، فثبت حدوث العالم بجواهره وأعراضه»^(١).

فهذا الدليل هو عمدتهم في الاستدلال على وجود الله، لأنه إذا ثبت حدوث العالم بجميع أجزائه فلا بد أن يكون له محدث، وهو الله عز وجل.

مع أن الدليل كما ترى مبني على مقدمات افتراضية غير مسلمة، وعلى نظريات قديمة في العالم الطبيعي، قال بها ديمقريطس اليوناني،

(١) انظر: درء التعارض (٣/ ٢٥٣ - ٢٥٣).

وملخصها: «أن العالم مركب من ذرات غاية الصغر متشابهة، وأنها تجتمع بحركة تلقائية فتكون الأجسام، ثم تتفرق كذلك فتنحل الأجسام وتفتنى»^(١). ولعل هذه النظرية الآن بعد نجاح العلم في تحطيم الذرة قد أصبحت في خبر كان.

ومن العجب أن هؤلاء المتكلمين يقدمون هذا الهذيان على أدلة القرآن، ويزعمون أنه البرهان الأوحد على وجود الرحمن حتى يقول بعض هؤلاء الحمقى: (إن من لم يؤمن بالله من طريق هذا الدليل لم يتم إيمانه)^(٢)، ويوجب من أجله الإيمان بذرات ديمقريطيس الوثني.

فكم من المسلمين يستطيع أن يفهم هذا الدليل أو يقنع به؟!.

وعلى رأي هذا الجاهل لم يكن الرسول ﷺ ولا صحابته ولا التابعون لهم بإحسان ولا أحد ممن مات قبل اختراع هذا الدليل مؤمناً، لأننا نعلم بالضرورة أن هذا الدليل مبتدع لا أصل له في كتاب ولا سنة، ولا هو مأثور عن أحد ممن يعتد بدينهم وإيمانهم من سلف هذه الأمة.

إننا نلجئ لمخلصين من فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر، ومعاونيه في إدارة تلك الجامعة الإسلامية الكبرى، وكلهم بحمد الله دكاترة^(٣) فضلاء يؤمنون بحرية البحث وتطور الفكر أن يرحموا عقول طلاب الأزهر من هذه الكتب الجافة العقيمة التي لا تحمل بين سطورها إلا نتاج عقول مريضة، وأفكار ونظريات غريبة عن الإسلام.

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (١/٩٠٢)، (٢/٩٧٢).

(٢) انظر: درء التعارض (٧/١٢٤).

(٣) الأولى أن يقال (علماء).

إن طريقة القرآن الكريم هي أقوم الطرق وأهداها، وفيها لمن تأملها الكفاية والشفاء، بل هي الأدلة التي يتعين الإيمان بالله وأسمائه وصفاته من طريقها.

وليس لقائل أن يقول: إنها أدلة عقلية لا يؤمن بها إلا من يعتقد بالقرآن.

لأننا نقول: إن أدلة القرآن عقلية وعقلية؛ فهي عقلية من جهة ورودها ونصب الشارع لها، ولكنها عقلية من جهة دلالاتها^(١)؛ لأن الله عز وجل نصبها للعقول جميعا لتنظر فيها وتستدل بها، وهي أقرب إلى العقل من هذه الألغاز والأحاجي التي يستعملها أهل الكلام والجدل، فإنها تستند دائما إلى ما يشاهده الناس، ويقع تحت حواسهم، ويتصل بحياتهم، ويتفاعل مع مشاعرهم من اختلاف صور الأشياء وألوانها ومنافعها، وما يتجلى فيها من دقة الصنع، وإحكام التركيب، وتناسب الأجزاء، وما يحصل من تحولها وانتقالها، وكيفية نشوئها، وتولد بعضها من بعض، وتأثير بعضها في بعض، وما يترتب على ذلك من مصالح، ومنافع مقصودة إلى غير ذلك مما يراه كل أحد ولا يستطيع أن ينكره.

ولهذا كانت أدلة القرآن هي الأدلة التي تصلح لجميع الناس على اختلاف عقولهم وتفاوت ثقافتهم، كما قال تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ

(١) وليس من شرط ذلك أن يدركه كل إنسان، لأن عقول الناس قاصرة عن إدراك كل شيء وكانت حكمة الله تعالى أنه لم يكلف الإنسان البحث عما لا يدركه عقله من الدلالات. الناشر

وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ [آل عمران: ١٣٨].

وأرى بعد هذه المقدمة أن أعرض عليك أيها القارئ الكريم بعض النماذج من أدلة القرآن العظيم، تاركاً لك أن تتأملها بعقلك وتفتح لها قلبك ووجدانك حتى يتم انتفاعك بها: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرًا لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ن: ٣٧].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

وقال تعالى في سورة الأنعام: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [فالق: الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ] وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذي أنشأكم من نفسٍ واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حَبًّا متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنّت من أعتاب والزيتون والرمان مُشتبهاً وغير مُشتبهِ انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥، ٩٩].

وقال جل شأنه في أول سورة الرعد: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى الْبَلْبَ النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّرَاتٌ ۝ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝﴾ [الرعد: ١٦، ١٧، ١٨].

وقال جلت آلاؤه في سورة النحل: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَاهُ بِهِنَّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۝ وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ ۝ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ۝ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝﴾ [النحل: ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩].

وقال تقدست أسماؤه في سورة فاطر: ﴿الرَّحْمَنُ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَنُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝ وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨].

وقال جل ثناؤه في سورة الغاشية: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۖ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۖ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۖ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۖ﴾ [الغاشية: ٥٠، ٥١].

هذا قليل - من كثير - مما ورد في القرآن الكريم من دلائل وبراهين لا تدل على وجوده سبحانه وتعالى فحسب، ولكنها تدل - أيضا - على وحدانيته وعلمه وقدرته ومشيتته وحكمته وجوده ورحمته، وغير ذلك من صفاته التي ترجع إليها أفعاله، والمفعولات دالة على الأفعال، والأفعال دالة على الصفات، وهي تدل على وجود الموصوف بها جل شأنه.

يقول العلامة ابن القيم - رحمه الله - في كتابه الفوائد: «فأما المفعولات فإنها دالة على الأفعال، والأفعال دالة على الصفات، فإن المفعول يدل على فعله، وذلك يستلزم وجوده وقدرته ومشيتته وعلمه، لاستحالة صدور الفعل الاختياري من معدوم أو موجود لا قدرة له ولا حياة ولا علم ولا إرادة»^(١).

ثم إن الاعتقاد بوجود الله - عز وجل - أمر مركوز في الفطر، كما حكى الله عن الرسل - عليهم الصلاة والسلام - أنهم قالوا لأممهم: ﴿أَفَى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ﴾ [إبراهيم: ١٠].

قدمت بين يدي القراء جملة من آيات القرآن الكريم تدعو إلى النظر في ملكوت السماوات والأرض، وما خلق الله فيهما من أشياء، تنطق بعظيم قدرته، وجسيم تدبيره، وببالغ حكمته. وتركت لهم أن يتأملوا

(١) الفوائد ص ٢٠ .

بأنفسهم في هذه الآيات حتى يدركوا ما تضمنته من الدلائل والبراهين، وكنت أحسب أن فيما قدمته الكفاية، ولكن بعض الإخوان رغب إليّ أن أزيد هذا الموضوع تجلية، نظراً لأهميته وحاجة الناس إليه بسبب ما يلقيه الملاحدة في أوساط الشباب من سموم الجحود والإنكار - لاسيما - وقد اتسم هذا الإلحاد بسمة العلم ولبس ثوب التفلسف، فلا بد من مقابلته بالأدلة التي تكفي لاستئصال شأفته ودحض فريته.

وأرى - قبل أن أجيبهم إلى طلبهم - أن أذكرهم بحكاية ذلك الأعرابي الذي قيل له: بما عرفت ربك؟ . فأجاب على البديهة: «البعرة تدل على البعير، والقدم يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، أفلا تدل على اللطيف الخبير؟!»^(١).

وهي حكاية نسوقها كشاهد على أن الفطرة السليمة التي لم تتدنس بالجحود، ولم تفسد بالتقليد الأعمى والجري وراء الأهواء والشهوات لا تحتاج في إيمانها بالصانع الأعظم إلى أن تحشد لها الحشود من الأدلة والبراهين.

فليس مناط الإنكار هو قلة الأدلة ولا قصورها عن إفادة المطلوب، فإن كل شيء مما يراه الإنسان أو يحسه صالح أن يكون دليلاً . ولكنه الإعراض والغفلة والاستكبار عن النظر في آيات الله - عز وجل - والتعامي عنها، والغرور الأحمق بما وصل إليه علم الإنسان من تقدم في الكشف والاختراع، ونسيان الإنسان نفسه، وعدم تفكيره فيما خلق له، حتى ظن أنه واحد من هذه الحيوانات التي تملأ البر والبحر فليس لوجوده

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥٩).

غاية ولا من ورائه حكمة، وإنما هو وليد الصدفة، وسليل التطور إلى غير ذلك مما تهجس به أفكار الناس في هذا العصر الذي لا يعرف إلا المادة وقوانين المادة، ولا يكلف نفسه النظر إلى ما وراء ذلك من الغايات البعيدة والحكم العالية التي يشهد بها هذا الاتساق العجيب بين أجزاء الكون، وهذا التناسب والانسجام الذي يلمحه البصير في كل ذرة من ذراته فلا عوج ولا فطور ولا تفاوت ولا تنافر بل نظام والتئام، كما قال تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [السل: ٨٨]، ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [ال عمران: ١٨]، ﴿أَتَشَرُّ أَشَدَّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا ﴿مَتَلَعَا لَكُمُ وَالْأَنْعَامُ﴾ [النازعات: ٣٣، ٣٧].

يحكي ابن كثير في تفسيره: أن جماعة من الزنادقة جاءوا إلى أبي حنيفة - رحمه الله - وطلبوا إليه أن يقيم لهم الدليل على وجود الله، فقال لهم: نعم سأفعل، ولكن أمراً قد بلغني الساعة فأقلقني وحيرني، وقد جئتم وأنا أفكر فيه، قالوا: وما ذاك؟ قال: بلغني أن سفينة بعرض دجلة موقرة بأنواع المتاع تمشي وحدها بلا ربان يقودها، ثم ترسو على الشاطئ بنفسها، فتفرغ حمولتها وحدها، ثم تعود لتمتلئ ثم تجيء لتفرغ، ليس معها أحد، فقالوا له: وهل ذاك يعقل؟ فقال لهم: إذا كنتم لا تصدقون هذا ولا تعقلونه في سفينة صغيرة، فكيف ساغت عقولكم أن هذا الكون العظيم الممتلئ بما لا يحصى من الأجرام العلوية والسفلية يسير وحده بلا مدبر؟

فرجع هؤلاء الزنادقة عن أفكارهم وأسلموا^(١).

ويذكر ابن كثير - أيضا - أن هارون الرشيد، سأل مالك بن أنس - رحمه الله - دليلا على وجود الله فاستدل له باختلاف الألوان واللهجات والأصوات^(٢).

ولاشك أنه استدلال صحيح، والقرآن الكريم نفسه قد نوه به وجعله من جملة الآيات، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْوَانِكُمْ وَالْوَلَوْنِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الروم: ٢٣]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ أَلْوَانٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨].

ومما يستوقف النظر هنا: أن كلا من الآيتين قد ختمت بما يفيد أن آية الاختلاف في الألوان والأصوات قد اختص بإدراكها العلماء، وأي عالم لا يسعه إلا أن يطأطئ الرأس أمام هذه الآية الكبرى التي لا يزال العلم رغم تقدمه عاجزا عن تحليلها مما يشهد بأن هذا التنوع والتخصص إنما هو بتقدير العزيز العليم.

ويروي ابن كثير عن الإمام الشافعي - رحمه الله - أنه قال بصدد الاستدلال على وجود الله عز وجل: «هذه ورقة التوت شيء واحد، تأكله النحلة فتخرج عسلا، وتأكله الدودة فتخرج أبريسم، وتأكله

(١)، (٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥٩).

البهيمة فتخرج لبنا»^(١).

ومن هذا أن الشافعي يستدل بالاستحالات المختلفة التي يصير إليها الشيء الواحد، وهو باب واسع جدا من أبواب الاستدلال. ويكفي أن يتأمل الإنسان في نفسه: فهذا الدم الذي يجري في عروقك شيء واحد، ومع ذلك يدخل في تركيب الأعضاء المختلفة، وهو في الفم لعاب، وفي العين دمع، وفي الأصلاب نطف، وفي الأثداء لبن.

وهذه النطفة التي يتخلق منها قد تقلبت في أطوار عدة، واستحالت من نطفة إلى علقه إلى مضغة إلى عظام حتى صارت بشرا سويا، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وأما الإمام أحمد - رحمه الله - فيحكي عنه ابن كثير أنه قال: «ها هنا حصن محكم أملس ليس به منافذ ولا ثقب، فبينما هو كذلك إذ انفتح الحصن وخرج منه حيوان سميع بصير»^(٢)، فالحصن هو البيضة تظهر ملساء لا ثقب بها يتخلق فيها الطائر حتى إذا اكتمل نقرها وخرج منها.

فليتأمل البصير فيما يحدث حوله من أشخاص النبات والحيوان: فهل يعقل أن تكون قد أحدثت نفسها بلا محدث؟ وهل يخرج العدم وجودا؟ وهل تنشئ الفوضى نظاما؟ وهل يحدث بيت بلا رسم وتصميم سابق؟

وصدق الله: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْقِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴿الطور: ٣٥، ٣٦﴾.

(١)، (٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٦٠).

توحيد الله عز وجل

التوحيد هو صفة الله - عز وجل - إما أن يكون توحيداً في إلهيته، بمعنى: أنه هو الإله المعبود بحق الذي ينبغي أن تتأله القلوب محبة وتعظيماً وإجلالاً وخوفاً ورجاء، وأن تفرد به العبادة والتقديس، وأن تخلص له الدين في كل ما دان به عباده من أمر أو نهي.

وهذا النوع هو المتبادر من لفظ التوحيد عند إطلاقه نظراً لأهميته، فهو التوحيد الذي دعت إليه الرسل عليهم الصلاة والسلام أممهم وقاتلتهم عليه، وهو الذي خلق الله الخلق جميعاً لأجله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وجعلت كلمة لا إله إلا الله لأنها معبرة عنه دالة عليه أفضل الكلام، وبالإقرار بها يثبت الدخول في دين الإسلام.

وإما أن يكون توحيداً في ربوبيته، بمعنى: إفراده سبحانه بكل ما هو من شئون الربوبية، وخصائصها من الخلق والرزق والتدبير والحكم، فهو وحده رب العباد ومليكهم ومدبر أمورهم لا يخرجون عن مشيئته وقدره، وكلماته التامات التي لا يجاوزها بر ولا فاجر، وهذا النوع من التوحيد كان يقر به المشركون ولا ينكرونه، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

وإما أن يكون توحيداً في الأسماء والصفات بمعنى اختصاصه - تعالى - بكل ما أثبتته لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، وعدم مشاركة أحد من المخلوقين في شيء منها، وبمعنى

إثباتها كلها له - سبحانه - دون تعرض لشيء منها بالإنكار أو التأويل.
وهذه الأنواع الثلاثة من التوحيد، وإن كانت تبدو متغايرة في المفهوم، وفيما يتعلق به كلٌ منها إلا أنها متلازمة في الوجود بحسب العقل، فإنه كلما ثبت له سبحانه الانفراد بشئون الربوبية كلها من الخلق، والملك، والرزق، والتدبير، ونحوها....

فقد ثبت له الانفراد باستحقاق العبادة والتقديس... إذ لا يستحق ذلك إلا من كان خالقًا مالكًا.

وبالعكس كل من كان عبداً لله - عز وجل - وحده فلا بد أن يكون قد رضي به رباً، فلم يشرك به أحداً فيما هو من سمات الربوبية وخصائصها، إذ لو جاز أن يشركه أحد في شيء من ذلك لكن مستحقاً للعبادة معه حاشاه سبحانه .

وكذلك كل من وحد الله في إلهيته، وربوبيته فلا بد أن يعتقد اختصاصه بما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى التي لا تنبغي إلا له فلا يجعل له شبيهاً فيها .

وينبغي أن يعلم أن التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه، ينقسم من ناحية أخرى إلى قسمين: توحيد الإثبات والمعرفة، ويسمى التوحيد العلمي الخبري، وتوحيد في القصد والطلب، ويسمى التوحيد الإرادي الطلبي.

فالأول: يتعلق بإثبات حقيقة ذات الرب سبحانه وصفاته، وأفعاله، وأسمائه، ليس كمثله شيء في ذلك كله، كما أخبر بذلك عن نفسه، وكما أخبر عنه رسوله ﷺ.

وإنما سمي هذا النوع من التوحيد بالعلمي أو الخبري لأنه لا يقصد منه إلا مجرد العلم بالله - عز وجل - وأسمائه، وصفاته، والإخبار بها عنه، كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١-٢]، ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَالِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وقوله: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ له، مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ١-٣]. ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢، ٢٤].

وأما الثاني: أعني التوحيد في القصد والطلب، فمعناه: إخلاص النية لله عز وجل، وتمحيص القصد له؛ فلا يريد بعمله وقوله إلا وجه

الله، ولا يبتغي إلا ثوابه ورضاه، فيكون الله عز وجل هو مطلوبه ومقصوده في عبادته، وتكون إرادته متجردة من شوائب التعلق بغيره.

وقد جاء القرآن الكريم بإثبات هذا النوع من التوحيد والدعوة إليه كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَنُسَكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا شريك له وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢٤].

وقوله: ﴿قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِي خَبَطٌ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٤، ٦٦].

وكما كانت سورة الإخلاص نصا في التوحيد العملي فقد جاءت سورة الكافرون نصا في التوحيد القصدي. ولهذا ورد أن النبي ﷺ كان يقرأ بهما في سنة الفجر وسنة المغرب^(١).

وبالجملة فغالب سور القرآن - بل كلها - متضمنة لهذين النوعين من التوحيد، فإن القرآن إما خبرا عن الله وأسمائه وصفاته وهو التوحيد العلمي الخبري.

(١) صحيح مسلم (٧٢٦)، والترمذي (٤٣١)، والنسائي (٤٣١، ٩٩٢).

وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي.

وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته.

وإما خبر عن إكرامه لأهل التوحيد وما فعل لهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة وهو جزاء توحيده.

وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل لهم في الدنيا من النكال وما يفعل بهم في العقبي من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد. فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم.

وسلك القرآن الكريم في إثبات النوع الأول والأهم من التوحيد وهو توحيد الإلهية طرقاً يمكن إجمالها فيما يأتي:

من المعلوم أن المشركين من العرب الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ وأمر بقتالهم، كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، كما حكى القرآن عنهم في مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدَبِّرُ الْأُمُورَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١].

وفي مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّعَةِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٣٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٥﴾ قُلْ مَنْ يَدْبِرُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ

وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ
وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ
السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٩﴾ قُلْ مَنْ يَدِهِ
مَلَكَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٠﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ
فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٩١﴾ ﴿[المؤمنين: ٨٤، ٨٩] .

وفي مثل قوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿[الناس: ٢٥] .

والقرآن الكريم يؤاخذهم بهذا الإقرار في قوة، ويعيب عليهم أنهم
مع إقرارهم بأن الله هو رب كل شيء وخالقه ومليكه، وأنه المدبر للأمور
كلها يجعلون له أندادا يساوونها به في استحقاق العبادة مع علمهم أنها
لا تخلق شيئا ولا تملك لهم ضرا ولا نفعا .

فهو يتخذ من توحيد الربوبية الذي يقرون به دليلا على توحيد
الإلهية الذي ينكرونه، ويصرف القول في هذا الباب تصرفا عجيبا،
يحمل القوم حملا على الإقرار بقضية التوحيد ويعلق القلوب تعليقاً
بهذا الخالق المنعم الرحمن الرحيم حتى تؤلهه وحده محبة وتعظيماً
وإجلالاً وخوفاً ورجاءً وإنابةً واستكانةً وتضرعاً ودعاءً وتوكلاً واستعانةً،
ساخرة كل السخرية من هذه الآلهة المزعومة التي لا تملك شروى نقير،
وإليك بعض النماذج من هذا الباب:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ

مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢٠﴾

[البقرة: ٢٢٠، ٢٢١].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَاحِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٣﴾ [البقرة: ١٦٣، ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ مَمْتَرُونَ ﴿١﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٢﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٣﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤﴾ أَمْ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ أَهْلَكُنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نَكُنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٥﴾ [الأنعام: ٦٠، ٦١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَابِ وَالنُّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٠٠﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ

لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٩﴾ وَهُوَ الَّذِي
 أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَوْذَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿١٠٠﴾ وَهُوَ
 الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ
 حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَابِيَّةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالزُّمُرُ
 مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
 يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴿الأنعام: ٩٩، ١٠٠، ١٠١﴾

ويطول بي القول - جدًا - لو حاولت استقصاء كل ما في القرآن
 الكريم في هذا الباب، ولكني أحيلك أيها القارئ على بعض السور التي
 يكثر فيها إيراد مثل هذه الأدلة العظيمة التي تصرخ في وجوه أهل الشرك
 والوثنية وتبرزهم في صورة من السفاهة والجهل لا يرضاها عاقل لنفسه،
 فاقراً هذا إن شئت في مثل سورة يونس، هود، الرعد، الحجر، النحل،
 الأنبياء، المؤمنون، الفرقان، العنكبوت، الروم، فاطر، الزمر، السجدة،
 الزخرف، ق، الواقعة، عم، والنازعات، وغيرها في القرآن كثير .

ثانيًا: من أساليب القرآن في الدعوة إلى توحيد الإلهية تصويره
 لحال الآلهة المزعومة في سور قوية أخاذاً تظهر حالها الشنيعة، وما هي
 عليه من النقص والعجز والزلة والمهانة. فهي لا تخلق شيئاً ولا تدبر أمراً
 ولا تملك لنفسها ولا لعابديها نفعاً ولا ضرراً، بل هي عند الموازنة قد
 تنقص حالها عن حال العابدين لها.

فكيف يرضى إذا عاقل لنفسه أن يعبد من هو أسوأ منه حالا وأهون شأنًا، وأن يذل ويخضع لمن هو في نفسه خاضع ذليل، وأن يدعو ويسأل من لا يملك أن يستجيب له بشيء، وأن يتزلف ويتقرب إلى من لا تفيد عنده الزلفى ولا رغب لديه ولا رهب. وأنى له ذلك وهو جماد ميت لاحس ولا حركة ولا سمع ولا بصر.

وكيف يبلغ السخف بالعقول أن تعتقد أن لهؤلاء الموتى قدرة بها يفعلون ما لا يقدر عليه البشر، وأن فيهم حياة بها يحسون بمن دعاهم أو استغاث بهم وهم لم يرو أحدًا منهم خرج من قبره مرة فمشى بينهم، ولا كلموا أحدًا منهم مرة فجاءهم رجع الجواب، سبحانه هذا بهتان عظيم.

وكما يصور القرآن الكريم هؤلاء المعبودين في تلك الصورة الشنيعة التي تنفر كل ذي عقل ممن كرمت عليه نفسه أن يقصدهم بحاجة، أو يشعر نحوهم بشيء من الرهبة، أو يخشى على نفسه غضبهم ونقمتهم. كذلك يصور العابدين لهم بصورة يربأ كل عاقل كريم أن يكون عليها، صورة يتمثل فيها الغباء والجهل والإضلال والحقم والظلم والافتراء، بل الإجرام والتجني.

يقول تعالى منكرا على من عبد المسيح وأمه من النصارى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ﴾ ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿[المائدة: ٧٥، ٧٦].

ففي هذه الآيات ينفي الله عز وجل عن المسيح - عبده ورسوله - وعن أمه مريم - الصديقة - الإلهية، بدليل أنهما كان يأكلان الطعام فاحتياجهما إلى الطعام لدفع غائلة الجوع ثم احتياجهما بعد ذلك لإخراج الأذى المتخلف عن الطعام دليل النقص، والنقص ينافي الإلهية.

ثم يأمر رسوله ﷺ وكل أحد، أن يعجب من حال هؤلاء في الانصراف عن الحق، بعد بيان الآيات ووضوحها، ثم ينعي عليهم عبادة من لا يملك لهم شيئاً من الضر ولا من النفع، ثم يخبر أنه هو وحده المستحق للعبادة؛ لأنه السميع لأقوال عباده، العليم بنياتهم وأعمالهم، ولا يكون إلها إلا من كان سميعاً عليماً.

يقول سبحانه: ﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۖ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ۚ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَالِمُونَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۚ اللَّهُ أَرْجُلُ يَشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أُيْدٌ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ ۚ إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ۚ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۚ﴾

[الأعراف: ١٩١، ١٩٨].

فهل رأيت أيها القارئ الكريم صورة أخزى وأشنع من تلك التي تصور - بها هذه الآيات - حال هذه الآلهة الباطلة في عجزها وجهلها ونقصها فهي:

أولاً: لا تقدر أن تخلق شيئاً حتى ولا مثقال ذرة، بل هي في ذاتها مخلوقة محتاجة إلى من يعطيها خلقها فكيف تعطي الخلق لغيرها؟! وهل يعطي الشيء فاقده .

ثانياً: لا تستطيع نصرًا لعابديها فلا قوة لها تمنعهم بها من عدوهم، ولا تدفع عنهم عذاب الله إن نزل بهم .

ثالثاً: لا تستطيع نصر نفسها ولا تملك أن تدفع أي أذى لحق بها فلو قام الناس على هذه القباب والأضرحة فهدموها وأزالوها وجردوا هذه القبور من كل حلية حلوها بها ومن كل مظهر شركي كاذب زينوها به، فهل تستطيع أن تمتنع عليهم؟!

وصدق الله إذ يقول: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ۗ﴾ [الحج: ٧٣].

رابعاً: لا تسمع من دعاها إلى الهدى ولا تستجيب لهم فسواء عليه أدهاها أم سكت، وكيف يجيب إلى الهدى من لا يسمع ولا يعي وهو خال من الإدراك والحياة؟!

ثم هي بعد ذلك: عباد لله أمثال العابدين لها، وليس من المعقول أن يعبد عبد عبداً مثله أو يستجيب عبد لعبدٍ مثله، ولهذا قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝﴾ [الأعراف: ١٩٤].

ثم نزل بهذه الآلهة المزعومة إلى أبعد حد من النقص والهوان فنفي عنها الأرجل والأيدي والأعين والأذان.

ثم أمر رسوله ﷺ أن يتحدى هؤلاء المشركين وآلهتهم بأن يكيدوا له شيئاً من الكيد دون تريث أو إمهال، كما قال نوح لقومه: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ ﴿١٧﴾

[يونس: ١٧].

وكما قال هود لقومه: ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ وَآشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ﴿١٩﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ ﴿٢٠﴾ [هود: ٥٤، ٥٥].

ثم أعلن فيهم: أن وليه وناصره هو الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين من عباده، ولكن ما يدعونهم من دونه لا يستطيعون نصرهم ولا أنفسهم ينصرون، وإن دعوا إلى الهدى لا يسمعون وتراهم ينظرون إليك بأبصار كاذبة صنعها عابدهم، وهم في الواقع لا يبصرون.

وهكذا ترسم هذه الآيات الكريمة أروع صورة لهذه الآلهة تنفي عنها كل ما يزعمه العابدون لها حتى لا تبقى لأحد شبهة في الجري وراء هذه الأوهام الكاذبة التي صورت لهم أصحاب هذه القبور في صورة أبطال الأساطير.

ويقول الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتْنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٢١﴾ [يونس: ١٨].

فهذه الآية الكريمة توبخ - أشد التوبيخ - من يعبد هذه الآلهة حتى على سبيل الاستشفاع بها إلى الله - عز وجل - وهذا ما يدعيه أكثر الناس - اليوم - حين ينكر عليهم أهل الحق صنيعهم ويضيقون عليهم الخناق، يقولون: إنما نتخذها وسائط تبلغ حوائجنا إلى الله، وتشفع لنا عنده، نفس ما كانت الجاهلية الأولى تفعله.

ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَفْعَلُ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿يونس: ١٠٦﴾.

فأي وعيد أبلغ من هذه الآية التي تسجل الظلم على رسول الله ومصطفاه، إن هو دعا من دون الله أحداً، أو جعل له من عباده نداً؟.

وما كان لرسول الله ﷺ أن يفعل، ولكنه تحذير لأولئك المفتونين حتى لا يغتروا بما يزعمونه لآلهتهم من جاه ومنزلة. فإنهم إذا علموا أن مقام الرسالة نفسه لا يشفع لصاحبه - عند الوقوع في حماقة الشرك^(١) - وأن وعيد الله جدّ لاحق بكل من عبد غيره أو دعاه: أيأسهم ذلك عن الطمع في شفاعة آلهتهم، وعلموا أنها لن تغني عنهم من الله شيئاً.

ويقول - جل شأنه - حكاية عن هود - عليه السلام - حين خوفه قومه نقمة آلهتهم وقالوا له: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ ﴿هود: ٥٤﴾.

فأجابهم بلهجة الخبير بحال هذه الآلهة، وأنها لا تملك أن تناله بأقل أدنى، وأنه متوكل على ربه الذي بيده نواصي الخلق كلهم، واثق من

(١) حبذا لو كانت العبارة: «حال الوقوع جدلاً في حماقة الشرك».

نصره وتأيده: ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ﴾ من دونه
فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ
ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿[هود: ٥٤، ٥٦].

ويقول تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ
شَيْءٌ إِلَّا كِبَاسٌ كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا
فِي ضَلَالٍ﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ
وَالْآصَالِ ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ
أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ فَعَمَّا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ
تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ
اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ﴿[الرعد: ١٤، ١٦].

والم تأمل في هذه الآيات الثلاث يجدها قد بلغت الغاية في بيان
زيف هذه الآلهة الباطلة، عند مقارنتها بالإله الحق، وأنها لا تملك من
مقومات الإلهية شيئاً.

فهو وحده الحقيق بأن يدعى ويرغب إليه، لأنه هو الحي القيوم
السميع البصير، الذي يملك أن يستجيب لمن دعاه. وأما ما يدعى من
دونه فهو في غفلة عمن دعاه، لا يسمعه ولا يراه، ولا يقدر أن يستجيب
له بشيء.

وما أروع تشبيهه من يدعو غير الله أو يسأله برجل بسط كفيه إلى الماء
ليبلغ فاه وما هو ببالغه.

ثم هو وحده الذي يخضع له كل من في السماوات والأرض، وينقادون لحكمه طائعين أو مكرهين لا يستطيع أحد منهم أن يخرج عن أحكام ربوبيته وقهره. وهو وحده رب السماوات والأرض باعتراف هؤلاء المشركين أنفسهم، فكيف يتخذون من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا. وكيف يجعلون له شركاء من خلقه، فهل رأوهم خلقوا شيئا فتشابه الخلق عليهم، كلا. بل هم يعملون أن الله وحده هو خالق كل شيء وهو الواحد القهار.

ويقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۖ أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [الحل: ٩١، ٩٠].

فتأمل هذه الأوصاف الثلاث التي أجراها الله - عز وجل - على ما دعي من دونه، فهم - أولاً - لا يخلقون شيئا وهم يخلقون. وهم - ثانياً - أموات غير أحياء.

وهم - ثالثاً - لا يشعرون أيان يبعثون.

فمن كان على هذه الصفة من كونه مخلوقاً وميتاً وغافلاً لا يدري متى يبعث، كيف يجوز أن يدعى ويسأل؟

ولا يستطيع القبوريون أن يدعوا أن هذه الآية في حق الأصنام التي هي خشب وحجارة. بل هي في شأن الموتى من الأنبياء والصالحين، بدليل قوله: ﴿أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [الحل: ٩١]، فإنه لا معنى لوصف الأصنام بذلك إذ ليس من شأنها الحياة والشعور.

ويقول سبحانه: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّْا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ [النحل: ٧٥، ٧٦].

فهذان مثالان ضربهما الله - عز وجل - لنفسه ولما يعبد من دونه، فهو في الأول يشبهه بعبد مملوك لا يقدر على شيء، فكيف يستوي هو ومالك غني ينفق كيف يشاء ؟

وفي الثاني يشبهه برجل أبكم لا يقدر على شيء وهو مع ذلك عالة على مولاه، أينما يوجهه لا يأت بخير، فكيف يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ؟.

ويقول تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٦﴾ [الاسراء: ٥٦، ٥٧].

نزلت هذه الآيات فيمن كانوا يدعون المسيح وأمه وعزيرًا والملائكة^(١)، قيل لهم: إن هؤلاء مهما دعوتموهم فلا يملكون إزالة الضر عنكم ولا تحويله إلى غيركم، وهم مع ذلك عباد مثلكم يبتغون ما

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥ / ١٠٤)، وابن كثير (٣ / ٤٨).

يقربهم إلى الله - عز وجل - ويرجون رحمته كما ترجون، ويخافون عذابه كما تخافون.

ويقول جل شأنه: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ۗ﴾ [الحج: ١٧٣].

فإذا بلغت هذه الآلهة من العجز أنها لو اجتمعت على خلق ذبابة لا تقدر عليها، بل حتى لو سلبها الذباب شيئاً لا تستطيع استنقاذه منه. فكيف يليق بعاقل بعدما عرف من عجزها وهوانها أن يذل لها ويخضع، أو أن يتوجه إليها طالباً سائلاً.

ويقول سبحانه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِئْتًا وَإِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبِيتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۗ﴾ [العنكبوت: ٤١].

فهل رأيت العنكبوت في ضعفه وحقارته، وهل نظرت إلى بيته في رقة نسجه ووهن خيوطه بحيث لا يمنع حرّاً ولا برداً، ولا يحمي من أذى. فهذا مثل ضربه الله لمن يتخذهم الناس أولياء من دونه، فإذا كان بيت العنكبوت يغني عمن يلجأ إليه أمكن أن يغني هؤلاء عن عابديهم.

ومن الأساليب القرآنية في الدعوة إلى توحيد الإلهية ما يجريه الله - تبارك وتعالى - على نفسه من أسماء وصفات، يعلم المشركون أن آلهتهم التي يدعون من دون الله لا تسمى بها ولا تتصف بشيء منها، فاختصاصه - سبحانه - بهذه الأسماء والصفات التي لا تنبغي إلا له، والتي لا يكون إلهاً

إلا من اتصف بها، دليل على استحقاقه وحده للعبادة والتقديس.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ كَمِإِلَهِ أَحَدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

فبعد أن ذكرت الآية قضية التوحيد، أردفتها بذكر اسمين من أسمائه تعالى، وهما: (الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)، ليكون هذان الاسمان بمثابة الدليل عليها.

ولا شك أن ما يفيد اقتران هذين الاسمين الكريمين من الرحمة الواسعة التي اتصف بها - سبحانه وتعالى - والتي رحم بها عباده من خصائصه التي لا يشاركه فيها أحد.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى في آية الكرسي التي هي أعظم آية في كتاب الله عز وجل: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فانظر كيف صدرت هذه الآية العظيمة بكلمة التوحيد: (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) ثم أجرت عليه - سبحانه - بعد ذلك جملة من الأسماء والصفات في النفي والإثبات يصلح كل منها - وحده - ليكون دليلاً على وحدانيته:

فذكرت أولاً أنه (الْحَيُّ الْقَيُّومُ)، أي: المتصف بالحياة الذاتية الكاملة التي هي من لوازم ذاته لم يستفدها من غيره، فهي لهذا أبدية

دائمة لا يلحقها موت ولا فناء، والمتصف بالقيومية الشاملة التي هي قيامه بنفسه واستغناؤه عن غيره من كل وجه مع قيام غيره به، بحيث لا يستغني عنه لحظة؛ لأنه فقير إليه فقراً ذاتياً لا غنى معه أبداً.

وقد ذكر العلماء أن اقتران هذين الاسمين الكريمين في هذا الوضع وغيره من القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢]، وقوله جل شأنه: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١]، لتضمنها جميع صفات الكمال الذاتية والفعلية.

فصفة الحياة تقتضي للمتصف بها صفات من العلم والقدرة والإرادة، والسمع والبصر والكلام، وغير ذلك مما تعتبر الحياة شرطاً فيه، بحيث لا يوجد شيء منها إلا مع الحياة، ولا توجد هذه الصفات جميعها على أكمل وجه إلا فيمن كانت حياته أكمل حياة.

وكذلك صفة القيومية تقتضي للمتصف بها من كمال الفعل وتمام التدبير، وسمو الحكمة وحسن الرعاية والكلاءة ما لا يمكن أن تتم القيومية بدونه.

فكمال حياته وقيوميته - سبحانه - مستلزم لكمالته في جميع ما له من صفات الكمال في الذات وفي الفعل؛ ولهذا ورد أنهما اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب.

ثم نفت الآية عنه - سبحانه - ما ينافي كمال قيوميته من السُّنة والنوم، فقالت: (لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ).

والسنة: النعاس الذي هو أول النوم، فهي لا تستغرق الحس كما يستغرقه النوم.

ثم أخبرت عن تمام ملكه وشموله لجميع العوالم العلوية والسفلية، فقالت: (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ).

ولكن تمام الملك يقتضي أن لا يكون لأحد معه شركة أصلاً بشفاعة ولا معاونة ولا مشاورة ولا غيرها. فنبهت الآية على ذلك بنفي الشفعاء الذين يشفعون عنده بغير إذنه، وأوردت ذلك النفي في أسلوب إنكاري صريح يقطع أطماع القبوريين، فقالت: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ).

ولما كان موجب الشفاعة هو جهل المشفوع عنده بحال المستشفع بحيث يحتاج إلى من يعرفه حاله، ويبين له من أمره ما يقتضي قبول شفاعته فيه، فقد نزهت الآية ربنا - سبحانه - عن حاجته إلى شفاعة شافع من جهل، فذكرت من تمام علمه بالأمور كلها مستقبلها وماضيها وحاضرها وظاهرها وخافيها وحسيها ومعنويها، ما لا يمكن معه أن يخفى عليه حال أحد من هؤلاء المستشفعين إليه.

وعلى هذا فلا شفاعة عنده إلا بإذنه، وإلا لمن رضي قوله وعمله.

ثم نبهت الآية على قلة علوم العباد إذا قيسوا إلى علمه تعالى، فهي لا تعدو أن تكون قطرة في بحر، وهم لا يتوصلون إلى شيء من العلوم الدينية أو الكونية إلا بما شاء هو أن يعلمهم إياه، مما يهيئ لهم أسبابه، ويهديهم إلى طرقه من الفكر والاستنتاج والتجربة.

ثم دلت على سعة ملكه وعظيم سلطانه بسعة كرسيه وإحاطته بالسموات والأرض حتى كأنها في جوفه كحلقة ملقاة في فلاة كما ورد بذلك الحديث^(١).

ثم ختمت الآية العظيمة بهذين الاسمين الجليلين وهما: (الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)، فأفادت علوه المطلق على سائر خلقه من كل وجه، فهو علو الذات وعلو القدرة وعلو القهر، كما أفادت عظمتها التي لا حد لها والتي يتضاءل ويصغر أمامها كل عظيم.

وهكذا تشتمل سيدة أي القرآن الكريم على هذه الطائفة من الأسماء والصفات الكريمة التي لا توجد في أية غيرها، والتي يصلح كل واحد منها لأن يكون وحده برهاناً كافياً على انفراده - جل شأنه - باستحقاقه العبادة والتقديس.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۖ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۖ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

وهكذا جعل القرآن الكريم اختصاصه - سبحانه - بما له من الأسماء الحسنى والصفات العليا، شاهد صدق وبرهان حق، على ما دعت إليه

(١) الطبري في تفسيره (١٠/٣)، وابن أبي حاتم (٦/١٩٢٠)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/٥٨٧، ٦٣٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٦٢).

رسله - عليهم الصلاة والسلام - من وجوب توحيده وإخلاص الدين كله له، فله يسلمون وجوههم، وإليه يفرعون في كل ما ينوبهم، ويكون له وحده خضوعهم وضاعتهم، فهو الإله المألوه وحده الذي تأله القلوب محبة وخوفاً ورجاء وإنابة وذلاً واستكانة ورغبة ورهبة وتوكلأ واستعانة وسؤالاً ودعاء وتوبة وإنابة، وحلفاً ونذراً وذبحاً إلى غير ذلك من أنواع العبادات التي هي حقه على عباده.

إن صور الأدلة والبراهين التي يسوقها القرآن الكريم على توحيد الربوبية ببيان أن هذا الإقرار برب واحد منفرد بالخلق والرزق والتدبير والملك والإحياء والإماتة والتصوير والإبداع وما إلى ذلك من شئون الربوبية المطلقة التي تشمل كل شيء، وتنظم جميع العالم علويه وسفليه، كان هذا الإقرار يقتضي من المشركين - لو أنهم أنصفوا أنفسهم، ولم يركبوا متن الشطط والجور، ولم يمعنوا في السفه والضلال - ألا يجعلوا مع الله إلهاً آخر يشركونه به في ما هو محض حقه من العبادة في جميع صورها قلبية كانت أو قولية أو بدنية أو مالية.

ولكن توحيد الربوبية - نفسه - الذي جعل دليلاً على توحيد الإلهية رغم أنه مركوز في الفطر ومستقر في أذهان العقلاء حتى أنه لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم، ولم يعرف عن أحد من الطوائف أنه قال: أن للعالم صانعين متماثلين في الصفات والأفعال، قد يحتاج إلى تنبيه يزيل ما عسى أن يقع فيه من الخفاء والاشتباه، لا سيما وقد ضلت فيه بعض الطوائف كالثنوية من المجوس، والمانوية القائلين

بصدور العالم عن خالقين هما النور فاعل الخير وخالق الحيوانات النافعة، والظلمة فاعلة الشر ومصدر الحيوانات المؤذية والشياطين الشريرة.

وكذلك النصاري القائلين بالتثليث يجعلون الآلهة الخالقة ثلاثة، وإن كان المتأخرون منهم يحاولون تفسير الأقانيم الثلاثة بأنها خواص أو صفات لإله واحد.

وكثير من مشركي العرب وغيرهم قد يظن في آلهته شيئاً من نفع أو ضرر بدون أن يخلق الله ذلك.

ولهذا لم يفت القرآن الكريم أن يؤكد هذا المعنى الفطري، ويزيده تثبيتاً بإيراد الأدلة القاطعة على وحدانية الله - جل وعلا - وانفراده بالربوبية المطلقة، والآية الفذة في هذا الباب قوله تعالى: ﴿مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

يقول شارح العقيدة الطحاوية بعد إيراد هذه الآية الكريمة: «فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز الظاهر، فإن الإله الحق لا بد وأن يكون خالقاً فاعلاً، يوصل إلى عباده النفع، ويدفع عنهم الضرر؛ فلو كان معه - سبحانه - إله آخر يشركه في ملكه لكان له خلق وفعل، وحينئذ فلا يرضى تلك الشركة بل إن قدر على قهر ذلك الشريك وتفرد بالملك والإلَهية دونه فعل، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه، وذهب بذلك

الخلق، كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بملكه؛ إذا لم يقدر المنفرد منهم على قهر الآخر والعلو عليه، فلا بد من أحد ثلاثة أمور:
إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه.

وإما أن يعلو بعضهم على بعض.

وإما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء، ولا يتصرفون فيه، بل يكون وحده هو الإله، وهم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه.

وانتظام أمر العالم كله وإحكام أمره من أول خلقه دليل على أن مدبره إله واحد، وملك وواحد، ورب واحد، لا إله للخلق غيره، ولا رب لهم سواه^(١).

وقريب من معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

غير أن هذه الآية الأخيرة ليست في بيان توحيد الربوبية - كما ظن كثير من المتكلمين من الأشعرية وغيرهم - وإنما هي في توحيد الإلَهية.

فإنه - سبحانه - أخبر: أنه لو كان فيهما آلهة غيره، ولم يقل أربابٌ. وأيضاً فإن هذا فساد بعد الوجود. والمعنى: لو كان فيهما وهما موجودتان،

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٨٥ - ٨٦ .

آلهة سواء لفسدتا، ولو كانت في توحيد الربوبية لقال: لم توجدا.

فالآية إنما دلت على أنه: لا يجوز أن يكون فيهما آلهة متعددة بل لا يكون الإله إلا واحداً، وإن فساد السماوات والأرض واختلال أحوالهما يلزم من كون الآلهة فيهما متعددة. فلو كان للعالم إلهان معبودان لفسد نظامه كله، وإنما هو بالعدل وبه قامت السماوات والأرض، وأظلم الظلم على الإطلاق الشرك، وأعدل العدل التوحيد.

والمتكلمون يعتمدون في إثبات توحيد الربوبية على دليل يسمونه دليل التمانع، ويزعمون أنه مأخوذ من قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء ٢٢]، مع أن الآية - كما علمنا - في توحيد الإلهية.

وخلاصة هذا الدليل كما جاء في كتبهم: أنه لو كان للعالم صانعان فعند اختلافهما، مثل: أن يريد أحدهما تحريك جسم ويريد الآخر تسكينه، فإما أن يحصل مرادهما، أو مراد أحدهما، أو لا يحصل مراد واحد منهما.

والأول ممتنع لأنه يستلزم الجمع بين الضدين، والثالث ممتنع لأنه يلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون، وهو ممتنع يستلزم - أيضاً - عجز كل منهما والعاجز لا يصلح إلهاً^(١).

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (٣/ ٣٠٥)، وشرح قصيدة ابن القيم ص ٣٦٦.

وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر وهو الفرض الثاني، كان هذا الذي حصل مراده هو الإله القادر، وكان الآخر عاجزاً لا يصلح للإلهية.

وهذا الدليل وإن كان صحيحاً في ذاته مثبتاً للمطلوب، إلا أن الدليل الذي قررناه أخذاً من الآية الكريمة: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١]. أقوى منه وأقرب إلى الواقع الملموس فإنه يدل على أن الاتفاق بين الآلهة مستحيل، وأنه لن يكون منهم إلا أحد أمرين: إما ذهاب كلاً منهم بما خلق حال عجز كلاً منهما عن قهر الآخرين. وإما علو بعضهم على بعض حال ظهور أحدهم وتفوقه في القدرة على غيره.

إن من أبرز الأدلة المثبتة لتوحيد الإلهية ما يسوقه القرآن من مظاهر الربوبية المطلقة التي تتمثل في انفراده - تعالى - بخلق الأشياء جميعاً، وتدبير الأمر كله بحيث لا يكون لأحد معه شركة أصلاً، لا في خلق شيء ولا في تدبير أمر، كما قال جل شأنه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

إن حقيقة توحيد الإلهية مختصة به - سبحانه - لا يشاركه فيها أحد، كما قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا

بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ [آل عمران: ١٨].

وكما قال جل شأنه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

وأما حقيقته في القصد والطلب فهو أن لا يقصد المرء بشيء من عبادته إلا وجه الله - عز وجل - وأن يخلص له النية في جميع أقواله وأفعاله، وأن لا يشرك معه أحداً من خلقه فيما تعبده به.

وهذا القسم من توحيد الإلهية هو معظم ما يقع فيه النزاع بين أهل الحق، وبين خصومهم من القبوريين، والصوفية، والشيعة وغيرهم. والسبب في ذلك هو جهل هذه الطوائف المبتدعة الشريكية بمفهوم العبادة التي لا تنبغي إلا لله، وجعلهم - كذلك - بإفراد العبادات التي تدخل تحت هذا المفهوم، فتراهم يفعلون كثيراً منها لغير الله دون أن يفطنوا إلى ما في ذلك من مزلق الشرك الأكبر، والخروج عن حظيرة التوحيد.

العبادة

العبادة: اسم جامع لكل ما تعبد الله به عباده، مما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة التي شرع لهم أن يتقربوا بها إليه ويخصوه وحده بها.

وإفراد العبادة التي تندرج تحت هذا المعنى الكلي كثيرة، ولكن يمكن مع ذلك ضبطها بتقسيمها إلى أربعة أقسام أولية: هي العبادات القلبية والقولية والبدنية والمالية.

العبادات القلبية

العبادات القلبية: هي العبادات المتعلقة بالقلب والتي تعتبر أساساً لما سواها من العبادات. فأهم هذه العبادات وأولها العبادة بالحب، وهو أن يحب العبد ربه حباً يملأ أقطار نفسه، ويملك شغاف قلبه، بحيث لا يكون أحد من الخلق أحب إليه من ربه، بل ولا مساوياً له في الحب، فلا يحب مع الله غيره لأن هذه المعية تفهم الشركة والمساواة، ولكنه يحبه في الله والله، كما قال الرسول ﷺ في الحديث المتفق عليه: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يذكر الله أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يذكر أن يقذف في النار)^(١).

(١) البخاري ح (١٦)، ومسلم ح (٤٣).

وقد نعى الله على المشركين أنهم يحبون آلهتهم حباً مساوياً لحبهم لله فقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] .

ومن علامات حب العبد لربه - جل وعلا - أن يعظم أمره ونهيه، وأن يكون ما يحبه الله ويرضاه أثر لديه من كل ما يحبه هو ويهواه، من مال وولد وأهل وعشيرة ومسكن وتجارة، بل ومن نفسه التي بين جنبيه فهو يجود بها لله عند الاقتضاء، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١] .

وقال متوعدا المتقاعسين عن الهجرة: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤] .

ومن علاماته كذلك الغيرة على دين الله - عز وجل - بحيث يفرح بطاعة الله، ويحزن قلبه ويغضب إذا انتهكت حرمان الله وارتكبت معاصيه، لعلمه بأنها مكروهة لله؛ ومن شأن المحب أن يكره وقوع ما يكرهه محبوبه.

ومنها: أن لا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا لله، ولا يوالي إلا من والى الله، ولا يعادي إلا من عادى الله، فإن من أحب أحداً فإنه يحب كل من يتصل به ويواليه، ويبغض كل من يشنأه ويعاديه.

ومحال أن يكون حب العبد لربه صادقاً إذا كان يبغض أحداً ممن يعلم أن الله - عز وجل - يحبهم من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين أو كان يحب أحداً ممن يعلم أن الله يبغضهم مم حادوا الله ورسوله، وعاندوا آياته، واستكبروا في أرضه بغير الحق من مثل: فرعون وقارون وهامان وأبي جهل وإبليس وغيرهم.

ولهذا جاهر الخليل إبراهيم - عليه السلام - أباه وقومه بالعداوة لما علم إصرارهم على كفرهم، وقال لهم هو ومن معه من المؤمنين ما حكاه الله عز وجل بقوله: ﴿إِنَّا بَرَاءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ [السجدة: ٤٠].

وبالجملة فالحب الصادق هو الذي يقتضي هذه الأمور كلها.

أما من يدعي حب الله - عز وجل - وهو يجترئ على معاصيه أو يقصر في فعل ما يحبه من الواجبات والمستحبات أو لا يشعر قلبه بالغيرة إذا انتهكت حرمة الله كهؤلاء الدجالين من الصوفية الذين يزعمون أنهم بلغوا من محبة الله منصباً سقطت عنهم فيه التكاليف، وأبيحت لهم المحرمات، ويرضون عما يقع من الفواحش والمظالم بدعوى أنها واقعة بمشيئة الله، يضاهئون بهذا قول المشركين: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، إلى غير ذلك مما لبس عليهم فيه الشيطان.

فهؤلاء لا يصدقون في دعوى الحب، فقد كذب الله قومًا ادعوا محبته، وهم لا يعملون بطاعته، ولا يتبعون رسوله، فقال سبحانه: ﴿قُلْ

إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ [آل عمران: ٣١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة العبودية: (والعبادة أصل معناه الذل - أيضًا - يقال: طريق معبد، إذا كان مذللاً قد وطئته الأقدام. لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن: غاية الذل لله بغاية المحبة له، فإن آخر مراتب الحب هو التتيم، وأوله العلاقة لتعلق القلب بالمحبوب، ثم الصباغة لانصباب القلب إليه، ثم الغرام وهو الحب اللازم للقلب، ثم العشق، وآخرها التتيم.

يقال: تيم الله، أي: عبد الله. فالمتيم المعبّد لمحبوبه، ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكون عابداً له، كما قد يحب ولده وصديقه، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله، بل يجب أن يكون الله أحب إلى عبده من كل شيء، وأن يكون الله عنده أعظم من كل شيء. بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله، فكل من أحب لغير الله فمحبه فاسدة، وما عظم بغير أمر الله كان تعظيمه باطلاً^(١).

فالحب وحده لا يحقق معنى العبادة، بل لا بد من كمال الذل والخوف والرجاء. وفي ذلك يقول بعض السلف: (من عبد الله بالحُب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالرجاء وحده

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٥٣/١٠)، والفتاوى الكبرى (٢/ ٣٦٣).

فهو مرجئ، والمؤمن هو الذي يجمع بين الحب والخوف والرجاء^(١).

وعلى ذلك فإن الحب أساس من أسس العبادة القلبية، وإنه وحده لا يكفي، بل لابد معه من كمال الذل لله وكمال الخوف منه، فلا تصح العبادة إلا إذا قامت على هذين الركنين، أعني كمال الحب وكمال الذل وكمال الخوف، وعلى قدر معرفة العبد بربه تكون خشيته منه - ولا سيما معرفته بما له من صفات الجبروت والقهر والبطش والانتقام.

فتمثل العبد لهذه الصفات، وتذكره آيات الوعيد الواردة في القرآن الكريم مع شهوده لآفات عمله وعيوب نفسه يولد في نفسه الخشية من الله حتى لا يكون شيء أخوف منه عنده بل حتى يخافه وحده ولا يخاف غيره.

قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُواْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

فجعل الخوف منه وحده علامة الإيمان وشرطه.

ومدح رسله - عليهم الصلاة والسلام - بأنهم يخشونه ولا يخشون غيره، فقال جل شأنه: ﴿الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

وجعل الخشية منه - سبحانه - مقصورة على أهل العلم به، فقال:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

(١) انظر: التحفة العراقية ص ٧٥، ومجموع الفتاوى (١٠ / ٨١، ٢٠٧).

وقال في شأن زكريا - عليه السلام - وأهله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال في وصف المؤمنين: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] [السجدة: ١٦، ١٧].

ولما فصل حالي الفريقين من أهل الجنة وأهل النار جعل الخوف من مقامه في مقدمة صفات أهل الجنة، فقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ] [التازعات: ٤٠، ٤١].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦].

وقال: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَقْضُونَ أَلْمِيشَقَ] [وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ] [الرعد: ١٩، ٢١].

وقال جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ] [الأنبياء: ٤٨، ٤٩].

ولما نزل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [الزمنين: ٦٠]، سألت عائشة رسول الله ﷺ عن هؤلاء، هل هم الذين يزنون ويسرقون...؟ قال لها: (لا يا ابنة الصديق. بل هم الذين

يصومون ويصلون ويصدقون ويخشون إلا يقبل الله منهم^(١).

ويطول بنا القول إذا حاولنا استقصاء ما في الكتاب - العزيز - من الآيات الواردة في مدح الخوف والخائفين وما أعد الله لهم من الزلفى والكرامة عنده.

وقد كان الرسول ﷺ المثل الأعلى والقذوة في هذا الباب . فقد روت عنه عائشة - رضي الله عنها - أنه كان إذا هبت الرياح أو رأى مخيلة في السماء تغير لونه ودخل وخرج وبدا عليه القلق حتى يعرف ذلك في وجهه^(٢).

ولما أخذ الفداء من أسرى بدر بمشورة أبي بكر رضي الله عنه ونزلت الآيات تعاتبه على ذلك، أعني قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٦٧﴾ [الأنفال: ٦٧، ٦٨]، دخل عليه عمر رضي الله عنه فوجده هو وأبو بكر يبكيان، فقال: ما يبكيكما ؟. فإن وجدت بكاء بكيت، فقال له الرسول ﷺ: (لقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة، ولو نزل عذاب ما نجا منه إلا عمر لأن لم يرافخذ الفداء)^(٣).

وكذلك كان السلف من الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم - وأئمة الهدى من بعدهم، على سنة نبيهم ﷺ في شدة الخوف من الله، ودوام

(١) رواه الترمذي (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨).

(٢) رواه مسلم (٨٩٩).

(٣) رواه أحمد (١/ ٣٠، ٣٢)، والبيهقي (١٩٦).

المراقبة له، وعدم الأمن من مكره فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.
ولعلك بعد هذا تدرك فساد ما يدعيه بعض ضلال الصوفية من أنهم:
لا يعبدون الله خوفاً من ناره، ولا طمعاً في جنته ولكن يعبدونه لذاته.
فهؤلاء لم يرضوا لأنفسهم حتى مقام الرسل والأنبياء - عليهم الصلاة
والسلام - بل ذهب بهم الغرور الصوفي إلى أن يفتروا على الله الكذب،
ويهملوا عبادة من أحب العبادات إلى الله - جل وعلا - وهي عبادته
بالخوف والرغبة.

وليت شعري ما هذه الذات التي يعبدونها؟ وهل هي ذات لا صفة
لها؟ أم هي ذات متصفة بما يوجب حبها، والخوف منها، والرجاء فيها
إلى غير ذلك مما يعرفه العالمون بالله - جل شأنه - لا هؤلاء الأدعياء
الجاهلون الذين بلغت القحمة وسوء الأدب، والجرأة على مقام الرب -
جل شأنه - أن يصوروه في صورة الغانيات المعشوقات، وأن يسموه
تسمية الأنثى من هند ولبلى وسلمى، وأن يدعوا الاستغراق في شهود
جماله، والتلذذ بطيب وصاله، وهم مع ذلك لا يرجون له وقاراً ولا
عظمة، ولا يشعرون عند ذكره بخوف ولا رهبة، غرهم بالله الغرور، ومد
لهم في حبل الغواية والفجور، فسبحان الله عما يصفون.

وإنما أطلنا الكلام مع هؤلاء لعلمنا أن كثيراً من الناس يحسن الظن
بهم، ويخلع عليهم ألقاب الولاية، ويسميهم بالواصلين والعارفين؛ مغترّاً
بما يظهرون من الوله والوجد، ومكابدة الأشواق، فيجري معهم فيما
جروا فيه، فيضل سواء السبيل .

وإذا كان الخوف سوطاً يلهب العبد ويسوقه إلى جادة الطريق بعنف، ويكسر من غرور نفسه، ويوقظه من رقاد الغفلة، وسفه الهوى، فلا بد أن يكون مصحوباً بالأمل والرجاء في فضل الله ورحمته حتى لا يفضي إلى اليأس والقنوط، ولهذا تجيء دائماً آيات البشارة مع آيات النذارة، هذه تحدد النفوس وتنشطها، وتلك تسوقها وتزجها.

وإذا كانت العبادة لا تصح إلا إذا قامت على هذه الدعامات الثلاث من الحب والخوف والرجاء، فإن هناك دعامة أخرى تعتبر بحق لب العبادة وروحها، وبدونها تفقد العبادة معناها، وتكون كالجسد الميت الذي لا روح فيه، بل تكون أقرب إلى النفاق والرياء.

وهذه الدعامة هي الإخلاص الذي يقوم على تمحيص النية لله - عز وجل - وتجريدها من كل شائبة هوى أو نفع شخصي بحيث لا يريد بعمله إلا وجه الله تعالى، ولا يكون الباعث له عليه إلا رغبته في ثوابه، وخوفه من عقابه، وشعوره بحق الله تعالى عليه.

وإذا كان شرط العبادة الظاهر هو أن يصيب بها صاحبها السنة، وأن يجيء بها موافقة لما شرعه الله - عز وجل - على لسان رسوله ﷺ بلا زيادة ولا ابتداع فإن الإخلاص هو شرطها الباطن، بل هو قطب رحاها الذي به يثقل ميزانها أو يطيش.

ولهذا جاءت الآيات القرآنية تأمر بالإخلاص، وتنوه بشأنه، وتحذر مما ينافيه من الرياء والنفاق، وتتوعد عليه بحبوط الأعمال وسوء المآل.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ

نَصِيرًا ﴿١٤٧﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٨﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٩﴾ [النساء: ١٤٥-١٤٧].

وقال جل شأنه: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ﴿[الكهف: ١١٠]﴾.

وقال عز من قائل: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حَقَّاعًا وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ ﴿[البينة: ٥]﴾.

وقد ورد عن ابن عباس وغيره في تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿[هود: ١٥، ١٦]﴾، إنها نزلت في أهل الرياء، يعطون أجر حسنتهم في الدنيا، ولا ثواب لهم عليها في الآخرة لحبوطها بالرياء^(١).

وفي الحديث القدسي الذي رواه مسلم: (اَنَا اغْنِي الشُّرَكَاءَ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا اشْرَكَ مَعِيَ فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشُرْكَهُ)^(٢).

وروى أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (اَلَا اُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ اَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسْحِ الدِّمَالِ ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ:

(١) تفسير الطبري (١٢/١٢).

(٢) رواه مسلم (٢٩٨٥).

الشرك الحفي، يقوم الرجل فيزيّن صلاته لما يرى من نظر الناس إليه^(١).

ومن العبادات القلبية بل من أجلها وأعظمها، اليقين: وهو سكن النفس، وطمأنينتها بما حصل لها من العلم الذي لا يحول ولا يتغير ولا ينسخه شك أو شبهة، مأخوذ من يقن الماء إذا سكن.

وقد مدح الله الموقنين فقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٤﴾ [البقرة: ٥٤].

وميزهم بحسن النظر والاعتبار، فقال: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠].

وجعل لهم الإمامة في الدين، فقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمًا يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

فأشار بالصبر إلى كمال القوة العملية، وباليقين إلى كمال القوة العلمية، فمن كملت فيه هاتان القوتان فقد ترشح لمنصب الإمامة الخطير.

ومنها التوكل: وحقيقته ثقة العبد بكفاية الله - عز وجل - وحسن تدبيره، وعدم وقوفه مع الأسباب وتعلقه بها، وإن كان ينبغي ألا يهملها أو يقصر فيها. فإن التوكل لا ينافي الأخذ في الأسباب المقدورة للعبد، بل لا

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٠)، وابن ماجه (٤٢٠٤). قال البوصيري في مصباح الزجاجة (٢٣٧/ ٤): إسناده حسن.

يصح التوكل إلا مع القيام بها، وإلا فهو تواكل وعجز وبطالة يأبأها الدين.

والتوكل من أحب العبادات إلى الله، وقد مدح الله المتوكلين عليه، وأخبر أنه حسبهم وكافهم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾

[الطلاق: ٣].

والحسب: الكافي.

وقال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢].

وقال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة: ١٠].

وجعله علامة إيمان العبد وحسن إسلامه، فقال إخبارًا عن موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَنْقُومُ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

وجعله شقيق العبادة ونصف الدين، فقال: ﴿وَلِلَّهِ عِيبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣].

وقال تعالى في أم الكتاب: ﴿إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُ وَإِنَّا كُنَّا نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

والاستعانة: التوكل.

وقد أخبر النبي ﷺ: (أن سبعين ألفاً من امتي يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ولما سئل عنهم قال: هم الذين لا يسرقون ولا يظلمون

وَلَا يَلْتَوُونَ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ^(١).

ومنها الإنابة: وهي الرجوع إلى الله - عز وجل - بالتوبة بعد الحوبة، وبالذكر بعد الغفلة، وبالشكر عند النعمة، وبالتسليم عند المصيبة. وبالجملة فهي فرار العبد إلى مولاه، والتجاؤه إليه - كما يفر الطفل إلى أمه - معتقداً أن لا ملجأ له من الله إلا إليه، ومتودداً إلى الله بحسن الإقبال عليه، قال الله تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٣١].

وقال: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤].

ومنها الإخبات والاستكانة: وهو تواضع العبد لربه، وشعوره بضعفه وحقارته أمام جلال الله وسطوته وعظمته وهيبته.

ومنها دوام مراقبته لله - عز وجل - وأن يعلم أن الله معه حيث كان، وأنه لا يقول من قول ولا يعمل من عمل إلا كان الله شهيداً عليه حين يفيض فيه، فيعبد الله كأنه يراه، ويستحي منه أن يراه مقصراً في شيء مما أمره به، أو مقترفاً لشيء مما نهاه عنه، والحياء خير كله، وهو شعبة من الإيمان.

وبالجملة فالعبادات القلبية هي كل ما يتعلق بالقلب من معان وأحوال أمر الله بها وتعبد عباده بها، وأثنى على المتصفين بها في كتابه.

(١) رواه البخاري (٥٣٧٨، ٦١٧٥)، ومسلم (٢١٨).

فهذه العبادات هي حق الله - عز وجل - على عباده فلا يجوز أن يصرف العبد شيئاً منها لغير الله مهما كان ذلك الغير، أو يجعل له مع الله شركة فيها؛ فيحبه مثلاً كما يحب الله، أو يخافه كما يخاف الله، أو يعظمه كما يعظم الله، وإلا وقع في حماة الشرك الذي لا يغفره الله أبداً.

العبادات القولية

العبادات القولية: هي التي تناط العبادة فيها بقول اللسان مقارناً للإرادة الصحيحة والنية الخالصة التي هي شرط في العبادات كلها.

والعبادات المتعلقة باللسان - فوق أنها كثيرة جداً - تعتبر مزلقاً خطيراً من مزالق الشرك لكثرة ما يقع فيها من الزلل والانحراف، بدعاء غير الله، أو استغاثته، أو الحلف به، أو الغلو في مدحه، بما يرفعه عن درجة المخلوقين، أو سؤاله المدد والبركة على نحو ما يفعله القبوريون عند الأضرحة التي يعكفون عليها يبتغون عندها الزلفى، ويقدمون لها كل أنواع الاسترضاء.

ولهذا رأيت نظراً لخطورة الموضوع وأهميته القصوى أن أتناول بالتفصيل كل واحدة من هذه العبادات اللسانية، وأن أبين ما وقع فيها من زيغ وانحراف بياناً يستبين به سبيل الحق والإنصاف: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢].

أولاً: الذكر: وهو في الأصل استحضر المذكور - سبحانه وتعالى - في القلب ببعض ما له من الأسماء والصفات مع التأمل في معانيها، والتدبر لآثارها، وتأثر القلب بها.

وذلك لأن الذكر من التذكر الذي هو ضد النسيان والغفلة.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وقال: ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

فأنت إذا استحضرت الله سبحانه - في نفسك - باسم الرحمن - مثلاً - وتأملت معناه، وهو أنه ذو الرحمة التي وسعت كل شيء، وبلغت حيث بلغ عمله، ثم استجليت مظاهر هذه الرحمة في نفسك، مما أودع الله فيك من القوى والحواس والأعضاء والآلات، وما ميزك به من موهبة العقل والتفكير التي صرت بها خليفة في أرض الله تعمورها وتستخرج منافعها وتدبر شئونها.

واستجليت مظاهرها - كذلك - فيما حولك مما جعل الله - سبحانه - في السماء من شمس وقمر ونجوم وأبراج سخرها وخيرات، وما بثه على ظهرها من صنوف الحيوان والنباتات، وكيف بسطها لك، وجعلها ذلولاً، وثبتها بالجبال، وأنزل عليها من السماء ماءً فأجراه أنهاراً وسلكه ينابيع، وجعله مادة الحياة لكل ما على ظهرها من حيوان ونبات، ثم ذكرت - كذلك - أن هذه الرحمة التي شملت في الدنيا بر الناس و فاجرهم، وستكون خاصة بالمتقين يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

أقول: إذا أنت فعلت ذلك - كله - كنت قد ذكرت الله باسمه الرحمن الدال على صفة الرحمة، ولو لم ينطق به لسانك.

وكذلك إذا استحضر ربك في نفسك باسمه العظيم، الدال على صفة العظمة التي تتضاءل دونها كل العظمت، وذكرت أن هذا الكون كله من عرشه إلى فرشته على ترامي أبعاده واتساع أقطاره، وما يحوي في فضائه الواسع من أجرام هائلة، لا يعدو أن يكون بين يدي خالقه ومبدعه كبندقة في يدك، أدركت سر عظمته سبحانه، وأنه لا سبيل لأحد من الخلق إلى اكتناها والإحاطة بها.

ويكفيك أن تعتبر في بعض مخلوقاته مثل العرش والكرسي، فكرسيه قد وسع السماوات والأرض بحيث تكون في جوفه كحلقة ملقاة في فلاة، والكرسي في العرش هو أيضاً كحلقة ملقاة في فلاة^(١).

فإذا بلغت بعض مخلوقاته من الاتساع والعظمة هذا الحد الذي يبهر العقل ويحير الفكر، فما ظنك بعظمة خالقها؟! إنها تكون ولا شك عظمة تغني عندها كل عظمة وتذوب.

وهكذا إذا استحضرته سبحانه باسمه العلي، وذكرت هذا العلو المطلق، وهو علو القدر والشرف والمجد والسيادة والكمال والعظمة، وهو علو القهر والقدرة والعزة والغلبة والانتقام والبطش بحيث لا يكون

(١) الطبرني في تفسيره (١٠/٣)، وابن أبي حاتم (٦/١٩٢٠)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/٥٨٧، ٦٣٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٦٢).

للفظ العلو من معنى إلا هو ثابت له - سبحانه - من كل وجه، وإن رغم أنف النفاة المبطلين .

وبالجملة فمهما استحضرتة تعالى في نفسك باسم من أسمائه وتأملت معنى هذا الاسم، وما يدل عليه من صفة، ونظرت إلى آثار تلك الصفة في نفسك وفي غيرك، فقد ذكرت الله وعبدته بهذا الاسم، ولو لم يجر على لسانك .

وهذا الذكر النفسي هو من قبيل عبادات القلب التي سبق الكلام عليها . فلا شأن لنا به هنا، وإنما الذي نريد أن نتكلم عليه، هو الذكر الذي يكون فيه اللسان مترجمًا عما في القلب وموافقًا له . وهذا أكمل أحوال الذكر؛ فإن اجتماع القلب واللسان مما يقوي المعنى ويزيده جلاء، وفيه من التعبد أكثر مما لو انفرد القلب وحده .

وإذا عرف أن وظيفة اللسان في الذكر ليست إلا الترجمة عما في القلب، تكون أنواع الذكر باللسان بمقدار ما يتسع له القلب من معاني أسماء الله تعالى وصفاته .

فقولك: (سبحان الله) ذكر، لأنها تعبير عما يعتقد القلب من تنزهه سبحانه وتعالى عن كل صفة نقص وعيب، وعن سمة الحدوث والاحتياج، فيدخل في ذلك تنزهه عن كل ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسول الله ﷺ من الند والشريك، والصاحبة والولد، والشفيع والظهير، والسنة والنوم، والضلال والنسيان، والعجز والجهل، والظلم والسفه، إلى غير ذلك مما لا يليق بذاته المقدسة .

وقولك: (الحمد لله) ذكر له - جل شأنه - بما له من صفات الكمال كلها، فيتناول فضله ورحمته وجوده وإحسانه ولطفه وامتنانه، وعفوه وحلمه وستره ومغفرته وهدايته للخلق بإنزال الكتب والشرائع، وإرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام، ويتناول كل شئون ربوبيته من الخلق والرزق، والتدبير والملك مما لا تستطيع العقول حصره، فله الحمد في الأولى والآخرة.

وقولك: (لا إله إلا الله) أفضل الذكر، لأنها براءة من كل ما عبد من دون الله، وإثبات وصف الإلهية له وحده، وإذا عرف أن الله ما خلق الخلق إلا ليعبدوه، وكانت العبادة لا تصح مع الإشراك، كانت الكلمة الدالة على إخلاص العبادة لله أعظم الكلام، ولهذا جاء في الحديث الصحيح: (أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير)^(١).

فكلمة: (لا إله إلا الله) عليها يدور أمر الإسلام كله، فهي منه قطب الرحى، وأساس البناء، ولهذا كان من قالها صادقاً من قلبه، أسعد الناس بشفاعة رسول الله ﷺ يوم القيامة، ومن كانت آخر كلامه دخل الجنة. وكذلك إذا ذكرت ذنبك وإساءتك وتفريطك في جنب الله،

(١) رواه مالك (٥٠٠، ٩٤٥) عن عبد الله بن كريب.

ورواه الترمذي (٣٥٨٥) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وقال: غريب من هذا الوجه.

وتعديك لحدوده، وانتهاكك لحرماته فقلت: أستغفر الله العظيم، كان هذا ذكراً من أحب الأذكار إلى الله، ويجلو صدأ القلب، ويذهب غضب الرب، ويستنزل خيره ورحمته، كما قال تعالى: ﴿قُلْتُ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠-١٢].

والله تعالى يفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه أشد الفرح، ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، وجعل التوبة والاستغفار شفاء من الذنوب والأوزار.

وقراءتك للقرآن الذي هو كلام الله تعالى ووحيه وتنزيله من أفضل الذكر، فلا شيء أحب إلى الله، ولا أقرب إليه زلفى من تلاوة كتابه، مع التفقه والتدبر والخشوع والخشية، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿١٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣].

وفي الحديث: (ما عبد الله بشي أحب إليه مما فرج منه) ^(١).

يعني: القرآن الكريم.

وفي الحديث الآخر: (من سفل فراءة القرآن عن مسألتيه اعطيه

(١) رواه أبو نعيم (٢١٧/٩) بنحوه، والحاكم (٧٤١/١)، وأبو داود في المراسيل (٥٣٨).

افضل ما اعطى السائلين^(١).

وبالجملة فكل ما جرى على اللسان مما فيه ثناء على الله، ودعاء له باسم من أسمائه الواردة على لسان الشرع مع التضرع والتذلل والخيفة والمخافتة فهو ذكر لله؛ يعد صاحبه من الذاكرين الحائزين لفضيلة الذكر.

وأما هؤلاء الذين اتخذوا دينهم هزواً ولعباً فيذكرون الله بما لم يسم به نفسه، من نحو قولهم: (آه، وهو) ويلحدون في أسمائه بالتحريف لها عن أصل وضعها، فيقصرون الممدود ويمدون المقصور، ويرفعون بذلك أصواتهم في جراءة وقحة، ولا يذكرونه إلا مع هز الرؤوس والأكتاف، ورقص البطون والأرداف، وإلا على صفير الناي وإنشاد النساء، ويجتمعون على الذكر حلقات يتوسطهم شيطان يصفق لهم، وهم يرقصون على إيقاع تصفيقه، مجردة قلوبهم من الخشوع والخشية، ممتلئة من كل هوئى خبيث وفجور داعر.

أقول: إن الذكر على هذه الهيئة المنكرة التي يتبرأ منها دين الإسلام ليس بدعة فحسب بل هو جريمة في حق الدين والوطن - أيضاً - فما ينبغي للدولة التي تحترم نفسها أن تسمح لنفر من أبنائها بارتكاب مثل هذا الهراء الذي يسيء إليها، ويجعلها مثار الضحك والسخرية من جميع الشعوب، فهذا ليس هو الذكر الذي شرعه الله - جل شأنه - فإنه لم يرد في الكتاب ولا

(١) سنن الترمذي (٢٩٢٦) وقال: حسن غريب.

السُّنة أمر به ولا فيهما ما يدل على شرعيته، ولا نقل عن أحد ممن يعتد به من سلف هذه الأمة، أنه ذكر الله - عز وجل - بمثل ذلك؛ فإن الاسم المفرد المجرد، ليس كلامًا تامًا ولا جملة مفيدة، ولو تلفظ به كافر لم تحصل له النسبة إلى الإسلام بمجردة، حتى يقول: (لا إله إلا الله).

فهو لا يفيد الإيمان باتفاق، ولا ورد الأمر به في شيء من العبادات. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في رسالته المسماة بالعبودية، وهو بحث نفيس جدًا، ما ملخصه:

(وأما الاسم المفرد مظهرًا أو مضمّرًا فليس بكلام تام ولا جملة مفيدة، ولا يتعلق به إيمان ولا كفر ولا أمر ولا نهى، ولم يذكر ذلك أحد من سلف الأمة، ولا شرع ذلك رسول الله ﷺ، ولا يعطي القلب بنفسه معرفة مفيدة، ولا حالًا نافعا، وإنما يعطيه قصورًا مطلقًا لا يحكم عليه بنفي ولا إثبات، فإن لم يقترن به من معرفة القلب وحاله ما يفيد بنفسه وإلا لم يكن فيه فائدة، والشرعية إنما تشرع من الأذكار ما يفيد بنفسه لا ما يكون الفائدة حاصلة بغيره، والذكر بالاسم المفرد المضمّر أبعد عن السُّنة، وأدخل في البدعة، وأقرب إلى إضلال الشيطان، فإن من قال: «يا هو، يا هو أو هو هو» ونحو ذلك، لم يكن الضمير عائداً إلا إلى ما يصوره قلبه، والقلب قد يهتدي، وقد يضل.

ثم كثيراً ما يذكر عن بعض الشيوخ أنه يحتج على قول القائل (الله) لقوله سبحانه: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعام: ٩١]، ويظن بأن الله أمر نبيه بأن يقول الاسم المفرد، وهذا غلط باتفاق أهل العلم، فإن قوله: «قل الله»،

معناه: الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى وهذا جواب لقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنعام: ٩١].

أي: الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى، رد بذلك قول من قال: ﴿وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [يس: ٩٠].
ثم قال: «قل الله»، أي: أنزله. ثم ذر هؤلاء المكذبين في خوضهم يلعبون.

والله تعالى لم يأمر أحداً بذكر اسم مفرد، ولا شرع للمسلمين اسماً مفرداً مجرداً. ونظير من اقتصر على الاسم المفرد، ما يذكر من أن بعض الأعراب مر بمؤذن، يقول: أشهد أن محمداً رسول الله «بالنصب»، فقال: ماذا يقول هذا؟: هذا هو الاسم فأين الخبر عنه؟

وما في القرآن من قوله: ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨٠﴾﴾ [الزمل: ٨٠]، وقوله: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ ﴿١﴾﴾ [الأعلى: ١]، وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿٢﴾﴾ [الأعلى: ١، ٢]، وقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحاقة: ٥٩]، قال النبي ﷺ: (اجعلوها في ركوعكم).

ولما نزل قوله: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، قال النبي ﷺ: (اجعلوها في سجودكم) ^(١).

فشرع لهم النبي ﷺ أن يقولوا في الركوع: سبحان ربي العظيم، وفي السجود: سبحان ربي الأعلى فتسبيح اسم ربه الأعلى، وذكر اسم ربه ونحو ذلك هو بالكلام التام المفيد. كما في الصحيح عنه ﷺ أنه قال: (أفضل الكلام بعد القرآن أربع، وهن من القرآن: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر) ^(٢).

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: (كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، مبيتتان إلى الرحمن: سبحان الله ومحمده، سبحان الله العظيم) ^(٣).

وكذلك ما شرع للمسلمين في صلاتهم وأذانهم وحجهم وأعيادهم من ذكر الله تعالى، إنما هو بالجملة التامة.

كقول المؤذن: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

وقول المصلّي: الله أكبر، سبحان ربي العظيم، سبحان ربي الأعلى،

(١) رواه أبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧)، والدارمي (١٣٠٥)، وأحمد (١٥٥/٤).

(٢) أحمد (١١/٥) بنحوه عن سمرة. قال الهيثمي في المجمع (٨٨/١٠): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه البخاري (٦٠٤٣، ٦٣٠٤)، ومسلم (٢٦٩٤).

سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، التحيات لله.

وقول الملبي: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، وأمثال ذلك.

فجميع ما شرعه الله من الذكر، إنما هو كلام تام لا اسم مفرد، لا مظهر ولا مضمَر، وهذا هو الذي يسمى في اللغة كلمة، كقوله ﷺ: (كَلِمَاتٌ خَفِيفَاتٌ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَاتٌ فِي الْمِيزَانِ، مَبِيدَاتٌ إِلَى الرَّحْمَنِ) ^(١)، وقوله: (أَفْضَلُ كَلِمَةٍ قَالَهَا سَاعِرٌ، كَلِمَةٌ لَبِيدٌ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ) ^(٢)، ومنه قوله تعالى: ﴿كَثُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

والمقصود هنا أن المشروع في ذكر الله هو ذكره بجملة تامة، وهو المسمى بالكلام، والواحد منه بالكلمة، وهو الذي ينفع القلوب، ويحصل له الثواب والأجر، والقرب إلى الله ومعرفته ومحبته وخشيته، وغير ذلك من المطالب العالية والمقاصد السامية.

وأما الاقتصار على الاسم الفرد مظهرًا أو مضمَرًا فلا أصل له، فضلاً عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين، بل هو وسيلة إلى أنواع البدع والضلالات، وذريعة إلى تصورات أحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد ^(٣).

(١) رواه البخاري (٦٠٤٣، ٦٣٠٤)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٢) البخاري (٣٨٤١، ٦١٤٧)، ومسلم (٢٢٥٦).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٢٢٦-٢٣٣).

فهل يسمع هذا الكلام هؤلاء الذين شرعوا لأنفسهم من الذكر ما لم يأذن به الله، وعبدوا الله بالهوى والبدعة، وصدق عليهم إبليس ظنه فأطاعوه فيما زين لهم من أعمال حمقاء، وحركات رعناء حسبوها قربات وظنوها طاعات: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩].

الدعاء

الدعاء من أهم العبادات القولية التي لها أكبر شأن في الإسلام، بل وفي الرسالات الإلهية - كلها - وهو يرد في القرآن على نوعين: دعاء الشاء والعبادة، ودعاء المسألة والطلب.

وتارة يراد به مجموعهما، والنوعان متلازمان، فإن دعاء المسألة معناه: طلب ما ينفع الداعي أو طلب كشف ما يضره أو دفعه، وذلك ممن يملك النفع والضرر، فإنه هو المعبود حقاً، والمعبود لابد وأن يكون مالِكاً للنفع والضرر، ولهذا أنكر الله - تعالى - على من عبد من دونه ما لا يملك له ضرراً ولا نفعاً، وذلك كقوله تبارك وتعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ [يونس: ١٨].

وقوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]. وهو في القرآن كثير جداً.

وإذا تأملنا الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ الدعاء وجدناه في بعض الآيات يكون أظهر في أحد المعنيين منه في الآخر، فمثلاً قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، أظهر في دعاء العبادة ولهذا عقبه بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: (الدعاء هو العبادة) ^(١).

وكذلك كل موضع ذكر فيه دعاء المشركين لألهتهم وأصنامهم، فالمراد به دعاء العبادة، المتضمن دعاء المسألة، فهو في دعاء العبادة أظهر.

وأما ما هو أظهر في دعاء المسألة والطلب، فمثل قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ۝﴾

[الأعراف: ٥٦، ٥٥].

وقوله - سبحانه - حكاية عن زكريا عليه السلام: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ وَنِدَاءٌ خَفِيًّا ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝﴾ [مريم: ٤، ٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمْ كَانُوا يُسَرِّعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ٩٠].

أما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝﴾ [البقرة: ١٨٦]، فهو متضمن

(١) رواه الترمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وأحمد (٤ / ٢٦٧). قال الترمذي: حسن صحيح.

للتوعين جميعًا، وبكل منهما فسرت الآية، فقل: معناه أعطيه إذا سألتني، وقل معناه: أثيبه إذا عبدني.

والذي يهمننا الكلام عليه هنا هو دعاء المسألة والطلب، لأنه أعظم ما وقع فيه النزاع بين أهل الحق وبين خصومهم ممن يدعون غير الله - عز وجل - ويسألونه ما لا يقدر عليه إلا الله، أو يجعلون بين الله وبينهم واسطة في الدعاء، يعتقدون أنها ترفع حوائجهم إلى الله، وتشفع لهم عنده في قبول دعائهم، وقضاء حوائجهم، وبدون تلك الواسطة لا يسمع لهم دعاء، ولا تقضى لهم حاجة.

فإذا علمنا أن دعاء المسألة والطلب نوع من العبادة بل هو مخ العبادة، لأنه لا يدعى ويسأل إلا من كان مالكا للنفعة والضرر، ومن كان مالكا للنفعة والضرر هو الذي يستحق أن يعبد، علمنا أن دعاء غير الله - تعالى - كما يفعله كثير من الناس عند أضرحة المشايخ من دعائهم لأصحابها واستغاثتهم بهم هو شرك صريح وتوجه بالدعاء الذي هو عبادة إلى غير الله.

وأما من دعا الله - عز وجل - بأحد من خلقه، بمعنى أنه جعله شفيعا إلى الله في أن يقبل دعاءه أو يقضي حاجته، معتقداً أنه لولا تلك الشفاعة لم يسمع دعاؤه ولم تقض حاجته، وأن لتلك الواسطة تأثيرا غيبيا في جلب الخير ودفع الضرر، فهذا - أيضا - شرك يجب أن يستتاب صاحبه منه، فإنه قد جعل هذا الشفيع شريكا مع الله في قضاء حاجاته وكشف كرباته.

كما أنه شبه الله - عز وجل - بخلقه، وجعله كواحد من ملوك الدنيا محتاجاً إلى أعوان وظهراء يرفعون إليه حوائج عبادته، ويعرفونه بما خفي عليه من أحوالهم، ويقدرّون على التأثير في إرادته فينقلونه بشفاعتهم من حال الغضب والقسوة إلى حال الرضى والرحمة .

وهو يستجيب لهؤلاء الشفعاء لأن لهم عنده من الجاه والحرمة ما لا يقدر معه على رد شفاعتهم لحاجته إليهم في تدبير مملكته ومقاومة أعدائه، إلى غير ذلك من المعاني التي يجب تنزيه الله تعالى عنها.

ولهذا أنكر القرآن على المشركين اتخاذهم الوسائط والشفعاء بينهم وبين الله تعالى، واعتبر ذلك شركاً صريحاً لا يقل في شناعته عن دعاء غير الله - عز وجل - قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعْنَا عِنْدَ اللَّهِ فُلْ أَتْلُبُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٨﴾ [يونس: ١٨].

وقال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ٣٠﴾ [الزمر: ٣٠].

فجمع لهم في هذه الآية بين أقبح وصفين، وهما الكذب والكفر، وبين أن ذلك مانع من هداية الله لهم.

وإذا كان هذا هو حكم الله في هؤلاء المشركين الذين ما كانوا يعبدون هذه الأصنام لذاتها، ولا كانوا يعتقدون أنها تملك لهم النفع

والضر، وإنما كانوا يتقربون بها إلى الله ويستشفعون بها عليه - جل شأنه - لاعتقادهم أنها أقرب إلى الله منهم وأرجى إليه شفاعه.

فماذا يكون حكم الله في هؤلاء العاكفين على هذه الأضرحة يوسعونها لثما، ويتمسحون بها تبركاً، ويناجونها في ذله وضراعة، ويسألونها كل حوائجهم، ملتجئين رضاها وبركاتها، خائفين أشد الخوف من سطوها ونقمتها، ومتملقوها بأنواع القرايين والنذور ؟

وإذا سئل أحدهم أن يحلف بواحد منها وكان كاذباً تحاشى ذلك وخشى عاقبته، وإذا طلب منه الحلف بالله - عز وجل - فرح وجاءه الفرج، وبذل ذلك لمن سأل به بذل السماح. ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وإذا كان الدعاء من بين العبادات بهذه المنزلة من الأهمية والاعتبار، حتى جعله الرسول ﷺ هو العبادة أو مخها^(١)، فلا غرو أن يحتاط له الإسلام حتى يبقى خالصاً لله - وحده - بعيداً عن شوائب الوثنية والإشراك.

فجاءت نصوص الكتاب الكريم والسنة المطهرة مصرحة بوجوب الإخلاص في الدعاء، وناعية على من يدعون مع الله غيره إفكهم وضلالهم، وضاربة الأمثال المبينة لحالهم الشنيعة، والمنفرة لكل ذي

(١) الصحيح بلفظ: الدعاء هو العبادة. سبق تخريجه ص ٨٢ .

أما لفظ: الدعاء مخ العبادة: فرواه الترمذي (٣٣٧١)، وقال: غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة.

لب من التردى في تلك الهوة السحيقة.

وإذا كنا لا نستطيع أن نستوعب هذه النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة، فلا أقل من أن نذكر طرفاً منها ليكون أنموذجاً لبقيتها، وليكون حجة دامغة لهؤلاء المنحرفين الذين استجراهم الشيطان ولبس عليهم دينهم، وخدعهم عن أنفسهم حتى رضوا لها الهوان والضععة والوقوف في ذله واستكانة بين يدي أجداث من الخشب والحديد، يناجونها مناجاة الحي للحي، ويدعونها في كل ما يهمهم من الأمور، ويعولون عليها التعويل كله. حتى ربما تركوا الأخذ في الأسباب التي وضعها الله عز وجل، اتكالا على معونة هذه الأجداث وتديرها.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَلُكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ أَلَمْ يَشْعُرْ بِهَا أَمْ لَمْ يَأْتِ بِهَا أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَمْ أَعِزُّ يَصِرُونَ بِهَا أَمْ لَمْ يَأْذَنْ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظِرُونَ ۝ إِنَّ وَلِىَّ اللَّهِ الَّذِى نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ۝ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصَرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ۝ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٩٤-١٩٨].

ففي هذه الآية الكريمة يخبر الله - سبحانه - عمن يدعوهم الناس من الموتى المقبورين، وصورهم بأنهم ليسوا إلا عباداً لله أمثال الداعين لهم، وأنهم مهما بالغوا في دعائهم فلن يستجيبوا لهم بشيء إذ كانوا عن دعائهم غافلين.

ثم يبين - سبحانه - ما صاروا إليه من فقد الأعضاء والآلات التي كانوا يملكون بها الفعل، لا أرجل تمشي، ولا أيد تبطش، ولا أعينا تبصر، ولا آذاناً تسمع.

ثم يتهم بهم فيأمرهم أن يدعوها لكي تظاهرهم في الانتقام والكيد لمن يشتمها ويحقرها بلا مهلة ولا تأخير.

ثم يعلنهم بالبراءة من هذه الآلهة الباطلة، وأنه لا يتخذ شيئاً منها ولياً يلوذ به ويتوكل عليه. وإنما وليه الحق هو الله الذي نزل الكتاب داعياً إلى عبادته وتوحيده هو يتولى عباده الصالحين.

وكرر على ألتههم مرة أخرى، فبين أنها أعجز من أن تنصر من استنصر بها، بل ولا تستطيع نصر نفسها ممن أرادها بسوء وتحطيم.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۚ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ۚ وَإِنْ يَسْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝﴾ [يونس: ١٠٦، ١٠٧].

ففي الآية نهى صريح عن دعاء غير الله مما لا يملك لداعيه نفعاً ولا ضرراً، وتسجيل الظلم العظيم على كل من فعل ذلك حتى ولو كان هو رسول الله المخصوص بغاية القرب والتكريم.

وفي الآية الثانية يبين - سبحانه - عدم جدوى هذا الدعاء، فإن الداعي لغير الله إما أن يطلب منه كشف ضرر نزل به، أو إنزال ما يتمناه

من خير، ولا يكشف الضر إلا الله، ولا يصيب بالخير سواه، ولا يستطيع أحد أن يحبس فضله عمن يريد إصابته من خلقه.

فماذا بقي إذا لهؤلاء الذين يدعوهم الناس من دون الله، وماذا عندهم مما يخاف أو يرجئ حتى نهزع بالجموع إليهم طالبين مستغيثين.

ويقول جل شأنه: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا كَبْسٌ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغٍ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٦].

فأخبر - سبحانه - عن نفسه بأن له وحده دعوة الحق، أي التي حققها صاحبها ولم يضيعها لأنه دعا من هو حقيق بالدعاء، ومن هو قادر على إجابته، بخلاف هؤلاء الذين يدعوهم الناس من دونه، فإن دعوتهم باطلة لم تقع موقعها، بل ضيعها صاحبها حين رجا غير مرجو، وأمل فيمن ليس أهلاً لتأمله، فحال داعيهم في عدم انتفاعه، وعدم استجابتهم له، كحال رجل اشتد به العطش فعمد إلى نهر ليشرب منه، ولكنه بدلاً من أن يتناول الماء بيديه ويوصله إلى فيه، اكتفى بأن بسط كفيه إلى الماء منتظراً بلوغ الماء إلى فيه، وليس ببالغه أبداً.

فكذلك هؤلاء أضاعوا دعاءهم حين توجهوا به إلى غير الله، فقصر بهم عن بلوغ ما طلبوا، كما قصرت حال هذا الباسط كفيه به أن ينال من الماء حاجته.

فما أروع هذا المثل القرآني، وما أجدر أن يتأمله هؤلاء الحيارى،
لعلهم أن ينتهوا عما هم فيه من عمى وضلال.

ويقول عز من قائل: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١﴾ أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢﴾﴾ [النحل: ١٦٩-١٧٠].

فبين سبحانه أن لا ينبغي أن يدعى إلا الخالق الحي لأنه هو الذي
يسمع داعيه ويقدر على الاستجابة له، وليس ذلك إلا الله جل شأنه.

أما هذه الآلهة التي تدعى من دونه، فإنها لم تخلق شيئاً بل هي
مخلوقة، وهم كذلك أموات لا حياة فيهم، ولا يدرون متى يكون قيامهم
من قبورهم؟. فكيف يدعى من هو متصف بالعجز والغفلة، وهما من
أشد الصفات منافاة لإجابة الدعاء؟.

وصدق الشاعر الذي يقول:

لقد أسمعت إذ ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

ويقول جل شأنه: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفِ
الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ
أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴿٢﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٣﴾﴾
[الإسراء: ٥٦-٥٧].

نزلت هذه الآية فيمن يدعو المسيح وأمه وعزيراً والملائكة، كما
روى عن بعض السلف، فقيل لهؤلاء: أن الذين زعمتموهم آلهة مع الله

مهما دعوتموهم فلن يملكوا إزالة الضر عنكم ولا تحويله، أي نقله عنكم إلى غيركم، وأنهم عباد لله مثلكم، يطلبون القرب إليه بطاعته كما تطلبون، ويرجون رحمته كما ترجون، ويخافون عذابه كما تخافون، فكيف يليق أن يدعوا عبداً؟. وكيف يرجى أو يخاف من هو راج وخائف؟. وكيف نمد اليد بالسؤال إلى طالب محتاج؟.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ۚ وَلَا يَتَفَعَّلُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۝﴾ [سبا: ٢٢، ٢٣].

فنفى الله - سبحانه وتعالى - في هاتين الآيتين كل ما يمكن أن يتذرع به المشركون في دعائهم لغيره، فنفى عنهم:

أولاً: ملكيتهم لأقل شيء وأحقره . وهم مقدار الذرة في السماوات أو في الأرض.

ثم نفى عنهم: ثانياً: أن يكون لأحدهم شركة مع الله في شيء منهما.

ثم نفى عنهم: ثالثاً: أن يكون لله منهم ظهير يعاونه في الخلق أو التدبير.

ثم نفى عنهم: رابعاً: أن يكون لهم عند الله شفاععة نافعة إلا بعد إذنه ورضاه.

فانظر كيف سدت هاتان الآيتان أبواب التعللات - كلها - في وجوه القبورين، حتى لم يبق لأحد عذر بعد هذا البلاغ المبين.

ولكن من يشأ الله يضلله، ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم.

وإذا كانت آيات الكتاب العزيز قد تضافرت - هكذا - على وجوب الدعاء لله - سبحانه وتعالى - والتوجه إليه وحده رغبة ورهبة، فقد جاءت السنة المطهرة بتأكيد ذلك المعنى وتشديد النكير على كل من يجعل لله ندًا، يتوجه إليه في دعائه، ويطلب منه ما لا يقدر عليه غيره. ومن ذلك الحديث المشهور، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «كنت خلف النبي ﷺ فقال لي يا غلام: (احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الله الأمت لو اجتمع على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، وطوبى لمن صدقهم)» (١).

وفي الصحيح: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ أي الذنب أعظم؟ فقال: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك) (٢).

ومعنى الند: المساوي الذي يجعل له من الحق في الدعاء والعبادة مثل ما لله عز وجل.

(١) الترمذي (٢٥١٦)، وهو في صحيح الجامع (٧٨٣٤).

(٢) البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).

وقد جاء في حديث آخر: (سلوا الله في كل شيء حتى في شئ نعالكم وملح قدوركم، ومن لم يسأل الله يفضب عليه)^(١).

وعلى الجملة: فالدعاء من أعظم العبادات القولية والقلبية التي يجب إخلاصها لله - جل ذكره - وهذا أمر معلوم بالضرورة من دين الإسلام، بل ومن كل دين بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه.

ولكن الشياطين تلبس على الناس في هذه العبادة، وتزين لهم أن يتخذوا فيها الوسائط والشفعاء التي تقربهم من الله زلفى وترفع إليه أذعيتهم وحوائجهم.

ومن جملة تلبيسه عليهم - في هذا الباب - أن يقول لهم: إنكم قد أسرفتم على أنفسكم في ارتكاب الذنوب والمعاصي التي أبعدتكم عن الله - عز وجل - وجعلت بينكم وبينه حجاباً غليظاً، فلا يعقل أن تفتح لكم أبواب السماء، ولا أن يستجاب لكم دعاء حتى تتوسلوا إلى الله فيه ببعض الصالحين من عباده!!!

وبذلك صرفهم عن ابتغاء الوسيلة إلى الله بما شرعه هو وجعله وسيلة مقبولة عنده لا ابتداع وسائل لم يأذن بها ولم ينزل بها من سلطان. وينكشف ذلك التلبيس بأن اتخاذ الوسائط شرك، والشرك من أعظم الذنوب المبعدة عن الله - عز وجل - فإذا كان ما دون الشرك من الذنوب

(١) رواه بنحوه أبو يعلى (٤٥٦٠)، وابن السني (٣٥٥)، والبيهقي في الشعب (١١١٨) وقال: إسناده غير قوي. ورواه برقم (١١٢٠) مرسلًا.

مانعاً من إجابة الدعاء، كان الشرك أولى بذلك، وبهذا أنكر الله على المشركين قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٢٥]، وقولهم: ﴿هَؤُلَاءِ شَفَعُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، قولاً من عند أنفسهم بلا حجة ولا دليل.

وأما ما يشغب به القبوريون - في هذا الباب - من آثار فلا يصح منها شيء اللهم إلا حديث استسقاء عمر بالعباس - رضي الله عنهما - وقوله: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقنا، وإنا نتوسل إليك الآن بعم نبينا فاسقنا فيسقون»^(١).

على أن هذا الحديث حجة عليهم لا لهم، فإن عمر رضي الله عنه لم يتوسل بذات العباس وشخصه، وإنما توسل بدعائه، فإن التوسل بالذوات لو كان جائزاً لما عدل عمر رضي الله عنه ومن معه من المهاجرين والأنصار عن التوسل برسول الله ﷺ إلى التوسل بالعباس رضي الله عنه مع أن ذات الرسول ﷺ أفضل قطعاً من ذات العباس رضي الله عنه وذاته ميتاً كذاته حياً، ولكن عمر رضي الله عنه أدرك أن ما كان يملكه الرسول ﷺ من الدعاء حال حياته من الاستسقاء وغيره، قد بطل بموته.

فقدم ألصق الناس رحماً به، وهو عمه صنو أبيه، لينوب عنه في هذا المقام.

(١) رواه البخاري (١٠١٠)، (٣٧١٠).

وقد حُفظ من دعاء العباس - يومئذ - قوله: «اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يرفع إلا بتوبة، وهذه نواصينا إليك بالذنوب، وأيدينا إليك بالتوبة».

ولا أطيل الكلام في هذا الموضوع أكثر من ذلك فإن الحق فيه أظهر من أن يخفى. ومن أراد الوقوف على جلية الأمر فيه فليرجع إلى ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وغيره، من علماء السنة الذين بسطوا القول في هذه المسألة^(١).

غير أنني سأنقل هنا - تميمًا للفائدة - ملخصًا لما جاء في رسالة زيارة القبور لابن تيمية، من أحكام تتعلق بذلك الأمر عسى أن يعتبر بها أولئك الذين يروجون لهذه الضلالة فيفيئوا إلى الحق والهدى ويتركوا سبل اللجاج والعناد.

قال رحمه الله: «وتفصيل القول أن مطلوب العبد إن كان من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله - تعالى - مثل أن يطلب شفاء مرضاه من الآدميين أو البهائم، أو وفاء دينه من غير جهة معينة، أو عافية أهله وما به من بلاء الدنيا والآخرة، وانتصاره على عدوه، وهداية قلبه، وغفران ذنبه، أو دخوله الجنة، أو نجاته من النار، أو أن يتعلم العلم والقرآن، أو أن يصلح قلبه، ويحسن خلقه ويذكي نفسه، وأمثال ذلك .

(١) انظر على سبيل المثال: كتابه المفرد (قاعدة جلية في التوسل والوسيلة).

فهذه الأمور كلها لا يجوز أن تطلب إلا من الله - تعالى - ولا يجوز أن يقال لملك ولا لنبي ولا لشيخ سواء كان حيًّا أو ميتًا: اغفر ذنبي، ولا انصرني على عدوي، ولا اشفِ مريضِي، ولا عافني أو عافِ أهلي أو دابتي وما أشبه ذلك، ومن سأل مخلوقًا كائنًا من كان فهو مشرك بربه.

وأما من يأتي إلى قبر نبي أو صالح أو من يُعتقد فيه أنه قبر نبي أو رجل صالح ويسأله ويستنجده، فهذه على ثلاث درجات:

أحدها: أن يسأله حاجة، مثل: أن يسأله أن يزيل مرضه أو مرض دوابه، أو يقضي دينه، أو ينتقم من عدوه، أو يعافي نفسه وأهله ودوابه، ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله - عز وجل - فهذا شرك صريح يجب أن يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل.

وإن قال: أنا أسأله لكونه أقرب إلى الله مني ليشفع لي في هذه الأمور فإني أتوسل إلى الله به، كما يتوسل إلى السلطان وأعوانه، فإن هذا من أفعال المشركين والنصارى الذين يزعمون أنهم يتخذون أحبارهم ورهبانهم شفعاء يستشفعون بهم في مطالبهم، وذلك أخبر الله عن المشركين أنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٢٥].

ثم يقال لهذا المشرك: أنت إذا دعوت غير الله فإن كنت تظن أنه أعلم بحالك وأقدر على عطاء سؤلك أو أرحم بك فهذا جهل وضلال وكفر، وإن كنت تعلم أن الله أعلم وأقدر وأرحم، فلم عدلت عن سؤاله إلى سؤال غيره؟

وإن قلت: هذا إذا دعا الله أجاب دعاءه أعظم مما يجيبه إذا دعوته، فهذا هو القسم الثاني.

ثانيهما: وهو ألا تطلب منه الفعل ولا تدعوه، ولكن تطلب أن يدعو لك، فهذا مشروع في الحي، وأما الميت من الصالحين والأنبياء وغيرهم فلم يُشرع لنا أن نقول: ادع لنا، ولا اسأل لنا ربك.

وأما ثالثهما: فهو أن يقول: اللهم بجاه فلان عندك، أو ببركة فلان، أو بحرمة فلان عندك، أفعل بي كذا وكذا، فهذا يفعله كثير من الناس، ولكن لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين وسلف الأمة أنهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء^(١).

وبعد: فهل آن لهذه الأمة أن تتخلص من تلك الوثنية المدمرة التي تتمثل في تلك الأقوال والأفعال المنكرة التي يرتكبها الناس عند أضرحة المشايخ من الاستغاثة بها، وطلب الحاجات منها، وتقبيل الأرض عندها، ووضع الخد عليها والتزامها، وغير ذلك مما رجع بنا إلى جاهلية شر من الجاهلية الأولى.

وفي ختام الحديث عن الدعاء أرى تنمة للفائدة أن أزيدك بصيرة في هذا الباب بأن أضع لك منهاجاً تلتزمه إذا أردت الدعاء، وأن أذكرك ببعض ما يجب أن تأخذ به نفسك حتى يكون دعاؤك صحيحاً مقبولاً مرجو الإجابة، إن شاء الله.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٧/٦٧ - ٨٣)، وزيارة القبور (ص ٩ - ٣٨).

أولاً: إذا أردت أن تدعو الله بشيء من أمور آخرتك أو دنياك، فالبس ثوب الضراعة و الذلة، واستشعر الفقر والحاجة موقناً أن الله وحده الذي يملك أمرك كله، وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، فتدعوه رغباً ورهباً، ولا تلتفت بقلبك إلى غيره ولو على سبيل الوسيلة، فلا وسيلة لله أنجح من إخلاص الدعاء له وإظهار الفقر والمسكنة بين يديه، كما لا وسيلة أحب إليه من أسمائه الحسني التي أمرنا أن ندعوه بها . فقدم بين يدي حاجتك ما يناسبها من هذه الأسماء التي تفتح لدعائك أبواب السماء.

ثانياً: اجتهد في حفظ الأدعية المأثورة عن رسول الله ﷺ وادع الله بها فإنها ما تركت خيراً من خيرات الدنيا والآخرة إلا سألت الله إياه، ولا تركت من شر إلا استعازت بالله منه. وإياك وهذه الأدعية البدعية التي تمتلئ بها أوراد الصوفية وكتبهم فإنها مليئة بالتوسلات الشركية.

ثالثاً: إياك وأكل الحرام فإنه مانع من إجابة الدعاء، واجتهد في تحري الحلال الطيب، فقد جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا ربّ يا ربّ ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام

فَأَنَّى يَسْتَجَابُ لَزَلَّةٍ) (١).

وروي عنه ﷺ أنه قال لسعد بن أبي وقاص حين قال له يا رسول الله: ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة: (اطب طعمتك يا سعد تجب رجوتك) (٢).

رابعًا: إياك والاعتداء في الدعاء فلا تجهر به كل الجهر، فقد جاء في حديث أبي موسى الأشعري، أن النبي ﷺ حين سمع أصحابه يرفعون أصواتهم. قال: (يا أيها الناس: اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصمًا ولا غائبًا، ولكن تدعون سيقًا بصيرًا، إن الذي تدعون أقرب إلى أهدم من عنق راحلته) (٣).

بل الأفضل أن يكون الدعاء سرًا على جهة المخافة والمناجاة، كما قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ٥٥﴾ [الأعراف: ٥٥].

وقال في شأن نبيه زكريا عليه السلام: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَنِدَاءً خَفِيًّا ٥٦﴾ [مريم: ٣].

ومن الاعتداء في الدعاء - كذلك - أن تطيله أكثر مما ينبغي، فقد جاء في الحديث: (سيكون قوم يعتدون في الطهور والدعاء حسب أهدم من

(١) رواه مسلم (١٠١٥).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٤٩٥). قال الهيثمي في المجمع (٢١٩/١٠): رواه الطبراني في الصغير، وفيه من لم أعرفهم.

(٣) رواه البخاري (٢٩٩٢، ٤٢٠٥)، ومسلم (٢٧٠٤).

دعائه أن يقول: اللهم اني اسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، واعوز بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل^(١).

وقال - عليه السلام - لعائشة رضي الله عنها: (عليك بمجامع الدعاء، مثله: اللهم اني اسألك من الخير كله، عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم، واعوز بك من الشر كله، ما علمت منه وما لم أعلم)^(٢).

ومن الاعتداء فيه أيضًا: أن تدعو الله بإثم أو قطيعة رحم، أو تسأله ما لا ينبغي لمثلك، كأن تسأله درجة الأنبياء في الجنة ونحو ذلك .

خامسًا: تحرر بدعائك الأوقات التي ورد النص باستحباب الدعاء فيها، مثل أدبار الصلوات، وعند سماع الأذان، وفي المعركة عند اشتداد البأس، وعند نزول الغيث، وبين الأذان والإقامة، وفي أواخر الليل وقت السحر، فقد قال تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [ال عمران: ١٧].

وفي الحديث الصحيح: (ينزل ربنا - تبارك وتعالى - حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول: هل من داع فاستجب له، هل من سائل فاعطيه، هل من مستغفر فاعفر له. وهكذا حتى مطلع الفجر)^(٣).

(١) أبو داود (٩٦)، وابن ماجه (٣٨٦٤)، وأحمد (٨٦/٤).

(٢) نسبه في جامع العلوم والحكم ص ٤٥٣ لأبي بكر الأثرم. وانظر سنن الترمذي (٣٥٢١).

(٣) رواه البخاري (١١٤٥)، مسلم (٧٥٨).

والدعاء في السجود: فإنه أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد.
وكذلك ينبغي أن تتوخى بدعائك الأماكن التي يكثُر فيها نزول الرحمة
لأنها مواطن لعبادة الله وإقامة شعائر دينه.

الاستغاثة

الاستغاثة من العبادات القولية، ومعناها: طلب الغوث والنجدة لتفريج كرب وإزالة شدة. وهي لا تجوز إلا بالله - عز وجل - فيما لا يقدر عليه غيره، وأما ما يقدر عليه العباد فيجوز الاستغاثة بهم فيه إذا كانوا أحياء حاضرين، وقد جاء في الحديث الصحيح: (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عن كربة من كرب يوم القيامة) ^(١).

وقد ورد القرآن الكريم بالنوعين معاً:

فمن النوع الأول الذي لا تجوز الاستغاثة فيه إلا بالله، قوله - تعالى - مخاطباً المؤمنين وممتناً عليهم بالنصر يوم بدر: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ﴾ [الأنفال: ٩٠]. وكذلك قوله - تعالى - بصدد تقرير وحدانيته وإبطال الإنهية ما سواه مما لا يملك لعابديه كشف ضر ولا تحويله: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَهْلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٩].

ومن النوع الثاني قوله - تعالى - في شأن كليمة موسى - عليه السلام - حين استغاثة الإسرائيلي لينصره على المصري: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ

(١) رواه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٦٩٩).

عَفَاذُهُ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ
فَاسْتَفَئَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا
مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴿[القصر: ١٥]﴾

والفرق بين هذين النوعين من الاستغاثة يزيل كثيراً من الإشكالات،
فإن الاستغاثة كالسؤال، بل هي نوع منه فلا تجوز بالمخلوقين إلا فيما
يقدرون عليه، كاستغاثة الغريق الذي أحاط به الموج بمن يملك إنقاذه،
واستغاثة من تعرض له عدو وهو أقوى منه بمن يملك دفعه عنه،
واستغاثة أصحاب الدار بالشرطة إذا دهمهم اللصوص، واستغاثة
المريض بالطبيب في تشخيص دائه ووصف العلاج المناسب له.

ففي مثل هذه الحالات - كلها - لا تكون الاستغاثة بغير الله شركاً،
بل تكون من قبيل تحصيل الأسباب التي أمرنا أن نجعل لها اعتباراً في
السعي إلى حاجتنا ومطالبنا.

لكن ينبغي أن لا يعول العبد على هذه الأسباب وحدها، فإن ذلك
ينافي التوكل على الله جل شأنه، كما لا يصح أن يقصر فيها فيكون ذلك
تواكلاً وتضييعاً.

وبهذا البيان يعلم حكم الاستغاثة بالموتى والغائبين، كما يفعله
كثير من الناس الآن، حين يستنجدون بالمشايخ أصحاب الأضرحة أو
بشيوخهم الأحياء البعيدين، حتى أن الواحد من هؤلاء حين يمسه ضر،
أو حين يريد أن يرفع حملاً ثقیلاً ينوء به، أو حين تتعسر امرأته في
ولادة، أو حين يشب في بيته حريق، ونحو ذلك لا يجد أمامه من وسائل

الخلاص إلا أن يصيح باسم واحد من هؤلاء الشيوخ مستغيثاً به معتقداً أنه حي في قبره، وأنه يسمع نداءه على البعد، وأنه سينهض لإغاثته يجر أكفانه.

وقد يتفق حينئذ أن يفرج الله ما نزل به من كرب فسرعان ما ينسب ذلك إلى من استغاث به من شيخ أو غائب، ناسياً أن الذي خلصه من شدته ونجاه من كربته ليس إلا ربه اللطيف الخبير الرحمن الرحيم، كما قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يَنْجِيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ٦٤].

ولقد لفت الرسول ﷺ نظر أصحابه إلى ما في الاستغاثة بغير الله من معنى الشرك، فقال لهم حين جاءوا يستغيثون به من منافق كان يؤذيهم: **أَنَّهُ لَا يَسْتَفَانِي بِهِ، وَأَنَا يَسْتَفَانِي بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ** ^(١).

وفي حديث مانعي الزكاة، يقول - عليه السلام - ما معناه: **(لَا الْفِرَاقَ أَمَدَكُم بِحَيِّهِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَقَبَتُهُ بِعِيرَ لَهُ رَغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةٌ لَهَا غَوَارٌ، أَوْ شَاةٌ تَعِيرُ، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ اغْنَمِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لِلَّهِ مِنْهُ اللَّهُ شَيْئًا قَدْ بَلَّغْتُهُ)** ^(٢).

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٦٢)، وقال: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة، وهو حسن الحديث. ورواه أحمد بن حنبل (٥/٣١٧).

(٢) رواه البخاري (١٤٠٤)، (٣٠٧٣)، ومسلم (١٨٣١).

الاستعاذة

الاستعاذة من العبادات القولية، ومعناها: طلب العوذ، وهو الحماية.

قال ابن كثير رحمه الله: «هي الالتجاء إلى الله، والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر، والعياذ يكون لدفع الشر»^(١).

وهذا المعنى لا يجوز بالنسبة للمخلوقين أصلاً، فليس لأحد أن يستعين بغير الله جل شأنه، ولا أن يلتجئ إلا إليه، وكل الآيات والأحاديث الواردة في هذا الباب، لم يجئ فيها استعاذة بمخلوق بل كلها صريحة في إخلاص الاستعاذة بالله - جل شأنه - قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦].
وقال: ﴿وَإِذَا يَنْزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصل: ٣٦].

وقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١].

وقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١].

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢٧٩).

ولم ترد استعاذة - قط - على لسان أحد من الأنبياء أو الصالحين بغير رب العالمين.

فموسى - عليه السلام - لما راجعه قومه في شأن البقرة التي أمرهم بذبحها: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوعًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧].

وأم مريم - عليها السلام - لما ولدتها واعتذرت إلى الله من كونها أنثى لا تصلح للخدمة في بيت المقدس، قالت: ﴿وَإِنِّي أَعِذُّهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

ونوح - عليه السلام - لما عاتبه ربه على سؤاله ما لا علم له به من نجاة ولده الكافر: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

ومريم - عليها السلام - حين تمثل لها جبريل - عليه السلام - بشراً سوياً، وخشيت أن يكون قد قصد بها سوءاً: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٨].

وقد حكى الله عن الجن الذين استمعوا إلى القرآن ولا ما قومهم في شأن من كان يشرك في الاستعاذة من الإنس^(١): ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنْ

(١) يعني في استعاذتهم بالجن.

الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦٠﴾ [الجن: ٦٠].

وذلك أن الرجل من العرب كان إذا أمسى بواد قفر يخاف فيه على نفسه يقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، يريد كبير الجن، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون - من خوفهم - زادوهم رهقاً، أي: خوفاً ورعباً، حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوداً بهم.

وقد وضع النبي ﷺ لأمته بدلاً من هذه الاستعاذة الشركية، استعاذة فيها التجاء إلى الله وتحصن بكلماته التامات فقال: (من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما هنا، لم يضره شيء، وعنه يروى من منزله ذلك) ^(١) رواه مسلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد نص الأئمة كأحمد وغيره على: أنه لا تجوز الاستعاذة بمخلوق، ولهذا نهى العلماء عن التعازيم والتعاويز التي لا يعرف معناها، خشية أن يكون فيها استعاذة بمخلوق، وذلك شرك» ^(٢).

وبهذا يعلم أن ما يفعله كثير من النساء - وأشباه النساء الآن - من استرضاء الجن بإقامة حفلات الزار ونحوه، وما يصاحب ذلك من عريضة ورقص واختلاط الرجال بالنساء وذبح الذبائح باسم الجن، والتزيي بالأزياء التي يزعم الوسطاء أن الجن يطلبونها كل ذلك داخل في باب

(١) رواه مسلم (٢٧٠٨).

(٢) انظر: الرد على البكري ص ١١٨، ومجموع الفتاوى (١/ ٣٣٦).

الاستعاذة بغير الله، وكله من الشرك الذي يبرأ منه الإسلام.

==

وَأَتَمَّ الْكَلَامَ عَلَى الْعِبَادَاتِ الْقَوْلِيَةِ بِذِكْرِ أَقْوَالٍ تَجْرِي عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ لَا يَلْقَوْنَ إِلَيْهَا بَالًا وَهِيَ مَعْدُودَةٌ مِنَ الشَّرِكِ الْأَصْغَرِ، وَقَدْ تَكُونُ شَرَكًا أَكْبَرَ بِحَسَبِ حَالِ قَائِلِهَا وَقَصْدِهِ.

وَمَنْ أَفْحَشَ ذَلِكَ أَخْطَرُهُ وَأَكْثَرُهُ ذِيوعًا بَيْنَ الْعَامَةِ وَالْخَاصَّةِ:

الْحَلْفُ بِغَيْرِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - كَأَنْ يَحْلِفَ أَحَدُهُمْ بِالنَّبِيِّ ﷺ أَوْ بِالْكَعْبَةِ الْمُشْرِفَةِ، أَوْ بِحَيَاتِهِ، أَوْ بِحَيَاةِ أَبِيهِ، أَوْ يَحْلِفُ بِوَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الشُّيُوخِ أَصْحَابِ الْأَضْرَحَةِ حَتَّى تَرَى الْوَاحِدَ مِنْهُمْ يَحْلِفُ بِاللَّهِ، فَإِذَا أَرَادَ تَغْلِيظَ الْيَمِينِ لِيَحْمِلَ النَّاسَ عَلَى تَصْدِيقِهِ شَفَعَ ذَلِكَ بِالْحَلْفِ بِسَيِّدِهِ فَلَانَ أَوْ بِشَيْخِهِ فَلَانَ.

فَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ) ^(١).

وَلِهَذَا يَقُولُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَأَنْ أَحْلِفَ بِاللَّهِ كَاذِبًا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا» ^(٢).

(١) أَبُو دَاوُدَ (٣٢٥١)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٥٣٥)، وَأَحْمَدُ (٤٧/١)، (٢/٣٤، ٦٩، ٨٦)، (٨٧).

(٢) ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (١٧٩/٤)، وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي الْمَجْمَعِ (٤/١٧٧): رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَرَجَالَهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

وإنما عني بذلك أن الحلف بالله كاذباً وإن كان كبيرة من الكبائر فإن الحلف بغيره شرك، والكبيرة مهما عظمت فهي دون الشرك وأهون منه.

وإذا فليس لمخلوق أن يحلف إلا بالله - عز وجل - أو بصفة من صفاته، كأن يقول: وعزة الله، وقدرة الله، وجلال الله، ونحو ذلك، ولكن الخالق - سبحانه - له أن يقسم بما يشاء من خلقه، تنبيهاً لذوي العقول إلى ما اشتمل عليه من دلائل القدرة، وبالغ الحكمة، وجسيم النعمة، كقوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [الحاقة: ٣٨-٤٠]، وغير ذلك من الأقسام التي اشتمل عليها الكتاب العزيز.

وإنما كان الحلف بغير الله شركاً لأنه فوق ما فيه من تعظيم المحلوف به تعظيماً بالغاً هو - أيضاً - متضمن لإشهاده على صدق الحالف فيما يخبر به، إن كان الحلف على شيء مضي، ولا شك أن الذي يملك الشهادة على ذلك هو من رآه أو سمعه وأحاط به علماً وليس ذلك إلا الله عز وجل. فالحلف بغير الله في هذه الحالة يكون معناه: اعتقاد أن له من علم الغيب ما لا ينبغي إلا لله، فيكون حينئذ قد جعل لله نداً.

وإن كان الحلف على أمر مستقبل يكون معناه: أنه يعاهد المحلوف به أن يقوم بما حلف عليه، وهذا من جنس النذر الذي هو عبادة لا ينبغي لغير الله، وفيه كذلك معنى الاستعانة به على إتمامه، ولهذا إذا حنث ولم يوف لزمته الكفارة، فإذا كانت اليمين مطلقة ماضية كانت أو مستقبلية متضمنة لمثل هذه المعاني التي هي أدخل في باب التعبد. لا جرم كانت

مخصوصة بالله جل شأنه، وأما غيره فليس أهلاً لأن يحلف به لا على الماضي الذي لم يشهده لعدم علمه به، ولا على المستقبل لأن الحالف لا يجوز أن يلتزم نحوه بشيء.

ولهذا يفهم معنى الحديث في كون الحلف بغير الله شركاً.

ولكن الذين لا يعلمون يستهولون ذلك ويرمون من يقوله بالتشدد والمبالغة، وذلك لأنهم اعتادوا على الحلف بغير الله، وكثر جريان ذلك على ألسنتهم حتى هان الأمر عليهم، والله يقول: ﴿إِذْ تَقُولُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسِبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

ومن ذلك - أيضاً - قول الرجل للرجل: «ما شاء الله وشئت»، وهذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، ومالي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، وأنا في حمى الله وحماك». ونحو ذلك بما يفيد اتخاذه نداً لله سبحانه وتعالى، فإن العطف بالواو في هذه الكلمات يقتضي المشاركة، ومساواة المعطوف للمعطوف عليه في الحكم، بحيث تكون مشيئته مساوية لمشيئة الله، وحمايته مساوية لحمايته، وتوكله مساوياً لتوكله على الله، ولا معنى للندية إلا ذلك.

أما إذا عطف بـ «ثم» بدلاً من الواو، فقال: ما شاء الله ثم شئت فلا بأس. فإن ثم تقتضي تأخر المعطوف في الرتبة عن المعطوف عليه فتنتفي المساواة.

كما روي عن حذيفة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لا تقولوا: ما شاء الله وما شاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان)^(١).

وروي النسائي عن قتيلة الأنصارية - رضي الله عنها - أن يهوديًا أتى إلى رسول الله فقال: إنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت. وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا، أن يقولوا: ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت^(٢).

وروي النسائي - أيضًا - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رجلاً قال للنبي ﷺ: «ما شاء الله وشئت». فقال: (اجعلتني لله نذا، قل: ما شاء الله ومعه)^(٣).

وروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، أنه قال: «الأنداد: هو الشرك أخفى من دبيب النمل، على صفة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلان وحياتي. وتقول: لولا الكلب لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقولة الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلانًا، هذا كله شرك»^(٤).

(١) رواه الدارمي (٢/ ٢٩٥)، وابن ماجه (٢١١٨)، وأحمد (٥/ ٧٢، ٣٩٣).

(٢) النسائي (٣٧٧٣)، والحاكم ٤/ ٣٣١، والبيهقي ٣/ ٢١٦.

(٣) رواه أحمد (١/ ٢١٤، ٢٢٤، ٢٨٣، ٣٤٧).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٦٢)، وابن كثير (١/ ٥٨ - ٥٩).

فليتدبر العاقل هذا كله، وليحذر من مزالق الشرك ومداخله، وليبتعد عن كل ما يوهم الندية لله حتى يسلم له توحيدَه الذي هو رأس الأمر كله، وليكثر من قوله: «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم»، حتى يكون قد برئ من الشرك كله.

وإذ قد فرغنا من الكلام على العبادات القلبية والقولية، وعرفنا ما قد يلبس هذه العبادات من معانٍ شركية تؤدي إلى حبوطها، بل وتحيلها إلى أوزار وآثام تكون وبالاً على صاحبها.

نريد أن نتحدث على نوع آخر من العبادات لا يتعلق بالقلب وحده ولا باللسان وحده ولكنه يجمع بين عمل اللسان والقلب والجوارح، وهو ما يسمونه بالعبادات البدنية.

العبادات البدنية

وأهم هذه العبادات على الإطلاق هي: الصلاة، من حيث إنها أجلّ مظهر للعبودية، وأوضح عنوان على التوحيد، وقد ورد في الحديث: (إِنَّ وَجْهَ رَبِّكَمُ الصَّلَاةُ، فَلَا يَغْبِرُ أَهْلكُمْ وَجْهَ رَبِّكَمُ) ^(١).

وفي صحيح مسلم من حديث الحارث بن عاصم الأشعري: (الصلاة نور) ^(٢).

(١) لم نجده.

(٢) رواه مسلم (٢٢٣).

ولهذا ورد من التأكيد في شأنها والتنبيه على عظيم خطرهما ما لم يرد بالنسبة لعبادة غيرها.

ويكفي دليلاً على هذا أنها كانت أول فريضة في الإسلام بعد التوحيد، وأن فرضيتها تمت في السماء ليلة الإسراء من الله إلى رسوله ﷺ بلا وساطة . وأنها لا تسقط عن أحد من المكلفين بعذر من مرض أو خوف أو سفر إلا عن حائض أو نفساء .

بل أمر الله بالمحافظة عليها حتى مع التحام الصفوف ومباشرة القتال، فقال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قِسْمَيْنِ ﴿١﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨، ٢٣٩].

وجعل المحافظة عليها والخشوع فيها أول خصال الإيمان وآخرها، فقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ أَبْتَغَىٰ ذَاكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾﴾ [المؤمنون: ١-١٠].

كما جعل التهاون فيها والتكاسل عن أدائها أبرز علامات النفاق وديدن الأشرار والفساق، فقال تعالى في صفة المنافقين: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ

يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِّعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٦﴾ [النساء: ١٤٦].

وفي آية أخرى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَدِرْهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [التوبة: ٥٤].

وقال بعد أن ذكر المنعم عليهم بالهداية والاجتباء: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيَا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٩].

وسمى الله تركها شركاً، فقال: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الرود: ٣١].

وأخبر عن أصحاب اليمين أنهم: ﴿فِي جَنَّتٍ يَسْأَلُونَ ﴿٦٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٦٢﴾﴾ [المدثر: ٤٠-٤٣]، فيجيبهم هؤلاء بقولهم: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٦٣﴾﴾ [المدثر: ٤٤].

بل ولا يقبل من مشرك توبة إلا بعد إقامتها، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَفُصِّلَ الْآيَاتُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [التوبة: ١١].

وفي الحديث الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنه محمد رسول الله، ويقوموا

الصلاة، ويؤتوا الزكاة^(١).

وفي الحديث الآخر: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر)^(٢).

كما سمي أداءها إيماناً لأنها أظهر علاماته، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي: صلاتكم إلى بيت المقدس، لأنها نزلت في شأن من ماتوا قبل تحويل القبلة.

وقد أخبر الله عن الصلاة إنها دواء لكثير من أدواء النفوس ورذائل الأخلاق مثل الهلع والحرص وحب الشهوات والجزع عند المصيبة والغفلة عن ذكر الله، قال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

وقال: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقال: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِرِّ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]. وكان النبي ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة^(٣).

ولقد كانت الصلاة أعظم شعارات الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأعظم ما يهتمون له من أعمالهم.

(١) رواه البخاري (٢٥).

(٢) رواه الترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٢٣٢/١)، وابن ماجه (١٠٧٩).

(٣) أبو داود (١٣١٩)، وأحمد (٣٨٨/٥).

فهذا إبراهيم خليل الرحمن يقول في دعائه: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي﴾ [إبراهيم: ٤٠].

وهذا ولده إسماعيل يمدحه القرآن بأنه: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ [مريم: ٥٥].

وهذا عيسى ابن مريم يقول لقومه وهو يتحدث إليهم في المهد ببراءة أمه: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٠، ٣١].

فأين هذا مما يزعم المخدوعون من الصوفية أن الصلاة وسائر التكاليف قد سقط عنهم لأنهم وصلوا إلى درجة من الشهود والمعرفة لا يحتاجون معها إلا أداء رسوم العبادات.

ونسي هؤلاء الجاهلون أن النبي ﷺ وهو في مرض موته كان يخرج يهادي بين الرجلين من أصحابه حتى يدخل في الصف وأن آخر وصيته له ظل يرددها حتى تجلجل لسانه في قوله: (الصلاة وما ملكت أيمانكم) ^(١).

وأن الله أمره أن يدوم على عبادته حتى الموت، بقوله: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

(١) أبو داود (٥١٥٦)، وابن ماجه (٢٦٩٨)، وأحمد (٢٩٠ / ٦، ٣١١، ٣٢١) من حديث علي. وقد ورد عن أم سلمة وأنس رضي الله عنهم.

ونكتفي بهذا القدر في بيان فضيلة الصلاة وعظيم خطرهما في الإسلام، ولا سيما وأن هذا خارج عن موضوعنا، إذا ليس من غرضنا في هذا البحث إلا بيان أنواع العبادات التي تعبدنا الله بها، وما قد يدخل كلاً منها من ألوان الشرك التي تنافي توحيد الإلهية، ولا شك أن الصلاة من جملة العبادات التي قد يعرض لها ما يفسدها، ويذهب بما يجب فيها من الإخلاص الذي هو روحها وروح العبادات - كلها - فمن ذلك مثلاً: الرياء، وقد سماه الرسول ﷺ الشرك الأصغر^(١)، وذكر أنه يدخل على القلب أخفى من دبيب النمل، كما يزين الرجل في صلاته لما يرى نظر الناس إليه، طلباً للمحمدة والثناء.

وقد ورد في ذم الرياء كثير من الآيات والأحاديث، وأخبر الله عنه أنه محبط للأعمال، وأنه من خصال المنافقين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وقال سبحانه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٩﴾﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا

(١) مسند أحمد ٥/ ٤٢٨، ٤٢٩، والحاكم (٤/ ٣٦٥)، والطبراني في الكبير

(٤٣٠١)، والبخاري (٣٤٨١).

صَنَعُوا فِيهَا وَبَطَلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [هود: ١٥، ١٦].

وقد صح أنها نزلت في المرأين.

ومن ذلك - أيضاً - الصلاة عند القبور أو إليها، بأن يتخذها قبلة في الصلاة، وهذا العمل حرام، فقد صح عن النبي ﷺ أنه نهى عن اتخاذ القبور مساجد. وأخبر أنه كان سبباً للجنة اليهود والنصارى^(١).

ولا شك أن هذا الوعيد الشديد باللعن وهو الطرد والإبعاد من رحمة الله لا يترتب إلا على ارتكاب أمر بالغ في الحرمة.

فكيف إذا انضم إلى هذا قصد التبرك بصاحب الضريح، واعتقاد أن الصلاة عنده أكثر ثواباً وأرجى قبولاً لما يتوهم من شفاعته صاحب الضريح في قبولها ومضاعفة الثواب عليها؟

لا شك أن هذا يكون شركاً صريحاً، لأنه جعل لغير الله مدخلاً في قبول الأعمال أو ردها، كما هو حال هؤلاء العاكفين على أضرحة المشايخ ممن لا يحلوا لهم الصلاة إلا فيها. يعدون ذلك من أعظم القربات، بل وقد يقيمون فيها الجماعات مع سماعهم لهذه الأحاديث التي تشدد النكير على اتخاذ القبور مساجد.

ومن المضحك أن بعضهم يحمل النهي فيها على كراهة التنزيه، وبعضهم يحمله على ما لو صلى فوقها أو إليها، ومنهم من يقول إنما

(١) رواه البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٣١).

ينهى عن بناء المساجد عليها لا عن الصلاة عندها إلى غير ذلك من التأويلات السمجة التي يريدون بها تبرير جريمتهم النكراء. وهيهات فإن الأحاديث من الصراحة والوضوح بحيث لا تقبل هذا الروغان.

وقد روي عن عائشة - رضي الله عنها - قالت بعد أن روت الحديث: «ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن خشي أن يتخذ مسجداً»^(١).

ولا شك أنها لم تكن تقصد بذلك الصلاة فوق القبر الشريف ولا إليه، ولكن الصلاة عنده، ومن ذلك شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة بقصد التقرب إلى الله - تعالى - بالصلاة فيه، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: (لا تشد الرحال إلا في ثلاث مساجد، المسجد الحرام، ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى)^(٢).

والنهي هنا عام بالنسبة لكل مكان يشد إليه الرحال بقصد التعبد، سواء كان مسجداً أو غير مسجد.

وهذا لا ينافي طبعاً شد الرحال لطلب العلم أو لصلة الرحم أو للتجارة ونحو ذلك مما لا يقصد للتعبد.

وبهذا يعلم فساد قول من زعم من الصوفية: أن الاستثناء في الحديث ليس من عموم الأمكنة بل من عموم المساجد، وذلك لكى

(١) رواه البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٣١).

(٢) رواه البخاري (١١٩٨)، ومسلم (٥١١).

فرروا حبهم إلى أضرحة شيوخهم وحثهم المطايا إلى أجداتهم مهما كلفهم ذلك من نفقة وجهد، جاعلين ذلك من أفرض الفرائض، حتى لقد يؤثرونه على حج بيت الله الحرام، ولا عجب في أن تأليه الصوفية لشيوخها أمر واضح معلوم.

ومن العبادات البدنية - كذلك - الصيام، وهو في لسان الشرع: إمساك عن المفطرات من الطعام والشراب والجماع بنية صحيحة، من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس إيماناً واحتساباً لله عز وجل.

والصوم من أحب العبادات إلى الله - سبحانه - ومن أجل ذلك اختاره ليكون مظهر الشكر له على نعمته العظمى بإنزال القرآن الكريم هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وجعل الشهر الذي يقع فيه الصوم خير شهور السنة - كلها - وجعل فيها ليلة خيراً من ألف شهر وسماها ليلة القدر.

ولا غرو فالصائم وقد ترك الطعام والشراب وهما مادة حياته، وهجر كل طبياته ومستلذاته لا يقصد بذلك إلا وجه الله والدار الآخرة، صار حقيقة بالوعد الذي وعد الله به الصائمين، وهو أن يتولى جزاءهم بنفسه، كما جاء في الحديث القدسي الصحيح: (كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي) ^(١).

(١) رواه البخاري (٧٤٩٢)، ومسلم (١٦١) تحت (١١٥١).

ومعنى أن الصوم وحده من بين سائر الأعمال لله، أنها جميعاً مظنة الرياء، ولا تخلو من أن يكون للنفس فيها حظ، لأنها أفعال ظاهرة، وأما الصوم فمن قبيل التروك، إذ هو كف النفس عن مشتيتها فهو عبادة سلبية، وسر بين العبد وبين ربه، لا يطلع عليه غيره، فكان أبعد عن الرياء.

ولما كان خلو المعدة من الطعام بالصوم سبباً في تغير رائحة الفم جعل خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك^(١).

وشبه الرسول ﷺ الصائم برجل في عصابة ومعه صرة مسك فكلهم يجد ريح ذلك المسك^(٢).

والصوم كالصلاة من العبادات التي لا يخلو عنها دين من الأديان حتى تلك الأديان الوضعية التي لم تتصل بسبب إلى السماء تعرض على أتباعها أنواعاً مختلفة من الصيام، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وذلك لأن الصوم فيه من وسائل التربية وأساليب الرياضة النفسية ما لا يتوفر في غيره من العبادات. فهو يقوي، الإرادة ويقهر النفس الأمارة بالسوء، ويكفكف نوازع الشر، ويعود على الاحتمال بالصبر.

(١) رواه البخاري (١٧٩٥، ١٨٠٥)، ومسلم (١١٥١).

(٢) الترمذي (٢٨٦٣)، وأحمد (٤/ ١٣٠، ٢٠٢).

وهو كذلك انتصار للجانب الروحي الملائكي في الإنسان، على الحيوان الرابض فيه، فالصائم يسمو على كل شهوة ويعافها من أجل أن الله أمره بذلك، وإذا عرف الإنسان كيف يقهر نفسه ويحجزها عن محبوباتها من أجل غاية أسمى فإنه يسهل عليه بعد ذلك أن يقودها إلى كل ما فيه نجاتها وسعادتها، وأن يردها عن موارد الهلكة والشقاء، فيسعد بها، وتسعد به، ويعيش حياته حرًا، لا تستعبده شهوة، ولا يستفزه طمع، ولا تضربه فتنة.

ولعل هذا هو معنى الحديث الصحيح: (الصائم بمنزلة^(١))، إذ المراد أنه: وقاية لها من كل ما يدنسها ويوبقها، ويهبط بها إلى حضيض الشهوات المؤثمة.

ولنكتف بهذا القدر في بيان فضيلة الصوم، فإن الذي يعنينا - هنا أيضًا - هو التنبيه على ما قد يداخل هذه العبادة الشريفة من أنواع الفساد والبدع، فإن الشيطان لا يريد أن يدع عبادة من العبادات حتى يدخل عليها من وساوسه وتلبيساته ما يفسد على الناس معناها حتى لا يبقى حظهم منها إلا كسراب بقيعة .

فمن ذلك ما سوله لبعض المتصوفة من المبالغة في الجوع والحرمان حتى تراهم يصومون أيامًا وليالي متصلة، زاعمًا لهم أنهم إذا جاعوا ماتت فيهم الشهوات، فتقوى عند ذلك أرواحهم، وتصفوا نفوسهم،

(١) رواه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١٦٢) تحت (١١٥١).

وتتخلص من قيود الجسد.

وليس هذا طبعاً صيام أهل الإسلام، ولكنه صيام عباد الأوثان من فقراء الهنود وأتباع بوذا وجماعات (النيرفانا).

وقد يمسك بعضهم عن أنواع معينة من الطعام كاللحوم ونحوها مكتفياً ببعض النباتات أو الخبز القفار، مما يسبب لهم هزالاً في البدن، وفساداً في الخيال، وسقماً في التفكير، وضعفاً عن القيام بواجبات العبادة من الصلاة والجهاد ونحوها.

وقد يزيد في التلبس عليهم فيوهمهم أنهم لا يطيقون شكر هذه الأطعمة الدسمة والمآكل اللذيذة فيجب أن يقتصروا على ما يستطيعون أن يقوموا بشكره.

وقد روي للحسن رضي الله عنه أن رجلاً من هؤلاء الصوفية قال: «إني لا أكل الخبيص لأنني لا أطيق شكره». فقال الحسن رضي الله عنه: «ويح هذا الأحمق، وهل يطيق شكر نعمة الماء البارد؟»^(١).

ومن ذلك أيضاً ما اعتاده كثير من المسلمين من الإسراف البالغ في تناول الأطعمة المختلفة عند الإفطار بكميات هائلة لا تلبث أن تثقل على المعدة، فتكسلهم عن الصلاة، وتجلب لهم النوم، وترهق أجسامهم أشد الأرهاق. وهذا نتيجة للجهل بحقيقة الصوم والغرض المقصود منه، فإنه لم يشرع لكي يجوع الناس طول النهار ثم يقوموا بتعويض ما فاتهم

(١) البيهقي في الشعب (٤٥٨٣).

في الليل. بل يجب أن لا يزيد الإنسان عما اعتاده في غير رمضان إن لم يستطيع أن يقلل عنه.

ولعل هذا الإسراف في الأكل والشراب في رمضان هو الذي جعل المسلمين لا يستفيدون من صوم شهرهم الفائدة المرجوة لصالح أرواحهم وجسومهم.

ومن العبادات البدنية: الحج إلى بيت الله الحرام، وهو آخر فريضة فرضت في الإسلام. ويزيد على الصلاة والصوم: أن فيه عنصر المال إلى جانب ما يشتمل عليه من الأعمال والأقوال.

والحج رحلة إلى الله - تعالى - يقوم به المسلم لينال بها إذا هو أداها على وجهها الصحيح: طهارة لنفسه من أوزارها حتى يرجع كيوم ولدته أمه، ويفوز على ذلك برضوان الله وجنته. ف «الحج المبرور: ليس له جزاء إلا الجنة» كما جاء في الحديث^(١).

وكثير من الناس لا سيما أدعياء الثقافة والعلوم العصرية لأنهم لا يفقهون الحكمة من هذه الفريضة، تراهم يثيرون الشكوك حول كثير من الأعمال التي جعلها الله مناسك للحج كاستلام الحجر الأسود وتقبيله، ورمي الجمار ونحو ذلك، ويتساءلون عن الحكمة فيها، وإذا حاول أحد إقناعهم بما تعكسه هذه الأعمال المختلفة مع ما يلابسها من الأدعية المضارعة والأذكار الخاشعة على النفس من انطباعات وأحاسيس تزيد

(١) البخاري (١٦٨٣)، ومسلم (١٣٤٩).

معنى الإسلام فيها صقلاً وجلاءً، وتشعرها بمعاني العبودية الكاملة الخائفة الراجية، لم يجد الكلام مساعاً لدى هذه القلوب الشاردة الغافلة. ولكننا مع ذلك سنحاول جهد الطاقة أن نقرب إليهم هذه المعاني، وإن كنا لا نرى ذلك واجباً؛ فإن واجب المسلم أن يذعن ويمثل كل ما أمر به، علم الحكمة في ذلك أم لم يعلمها. فإن الاعتراض على الأمر إبليسية قديمة أعادنا الله منها.

فالحاج يخرج من بلده بعد أن يكون قد رد الحقوق والودائع إلى أهلها، وتحلل من كل مظلمة ظلمها، تاركاً وطناً يحبه، ومسكناً يرضاه، وأهلاً وأولاداً يخاف عليهم، وتجارة يخشى كسادها، متحملاً مشقة السفر، وألم الفراق، ووحشة الاغتراب، كل ذلك في سبيل الاستجابة لنداء ربه حيث دعاه لزيارة بيته الذي اختصه لنفسه، وجعله أول بيت وضع لعبادته في أرضه .

وما هو إلا أن يبلغ الميقات حتى يتأهب للقدوم على مولاه، فيتجرد من ثياب زينته، ويتلف بثياب العبودية المحضة إزاراً ورداء، بعد أن يكون قد اغتسل وتطيب، ثم يهل بعد الصلاة بنسكه من حج أو عمرة، قارناً ذلك بالتلبية: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

هذه الكلمات التي تفيض بمعاني التوحيد والإخلاص، وتعلن إقبال العبد على ربه، وإسراعه في طاعته، وتخصه وحده - سبحانه - بأن له الحمد كله والنعمة والملك، وتنفي عنه الشريك في ذلك كله.

ثم هو بعد ذلك يلتزم في تصرفاته كلها ما التزمه العبد بحضرة سيده، فلا يصدر منه عدوان - أصلاً - بل كل شأنه سلم وأمن، فلا يقتل حيواناً حتى ولو كان من هوام الجسم، ولا ينفر صيداً، ولا ينتف شعراً، ولا يغطي رأساً، متجنباً الرفث والفسوق والمراء والجدال.

حتى يقدم مكة - بلد الله الحرام - فيبادر إلى أداء مناسك عمرته التي هي: الطواف بالكعبة المشرفة، والسعي بين الصفا والمروة، ذاكرًا في طوافه وسعيه أنه في جوار ربه الكريم، الذي يقبل التوبة من عباده، ويعفو عن السيئات، فيدعوه في ذلة وضراعة أن يحط عنه أوزاره وخطاياها.

ومن عجب أن كل ملوك الدنيا ورؤسائها يتخذون لهم قصورًا يؤمها الناس من رعيّتهم وغيرهم في المناسبات المختلفة إعرابًا عن ولائهم لهم، حتى ولو لم يكونوا هم موجودين فيها. فماذا ينكر إذاً من وجود بيت الله في أرضه يؤمه عباده إظهارًا لذل العبودية، وقيامًا بواجب الطاعة، وتخففًا من أثقال الذنوب، وطلبًا للفضل والرحمة من الكريم المنان.

وهكذا كل أعمال الحج من: السعي والوقوف بعرفة والمزدلفة ورمي الجمار والذبح، لا تخلو كلها من معاني التعبد المحض والتزلف للسيد المالك جل شأنه، كما تتزلف الرعايا ملوكهم، ولله المثل الأعلى.

أما تقبيل الحجر الأسود، فإنه لا يخطر ببال مسلم - أبدًا - وهو يقبله أنه ينفع أو يضر، كما روي عن الفاروق رضي الله عنه أنه قال بعد أن قبله: «إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ

يقبلك، ما قبلتك»^(١).

فنحن نقبله كما قال عمر رضي الله عنه: اقتداء برسولنا ﷺ وهو - عليه السلام - لم يفعل ذلك من عند نفسه بل بوحى من ربه. فماذا إذا في تقبيل حجر تعبدنا الله بتقبيله، فنحن نقبله عبادة لله، لا عبادة للحجر. وأما رمي الجمار: فإن المسلم يذكر عند الرمي أنه يرمي الشيطان، الذي كان سبباً في صرفه عن طاعة ربه، والذي يتسلط عليه بإغوائه ووسوسته ليجعله من أصحاب السعير.

فكان المسلم حين يرمي هذه الحصيات مكبراً عند كل حصاة، يريد بذلك أن يعلن مخالفته لذلك الشيطان الرجيم حتى لا يصير من جنده الخاسرين. ويذكر عندئذ ما كان من أمر إبراهيم وولده إسماعيل - عليهما السلام - حين عرض لهما الشيطان يريد منعهما عن تنفيذ أمر الله في ذبح إسماعيل - عليه السلام - فرجماه، فارتد خاسئاً مدحوراً.

فما أحرى الناس أن يتدبروا هذه المعاني السامية حين قيامهم بمناسك حجهم وعمرتهم، حتى يشعروا فيها بطعم العبودية، ولا يرين على صدورهم شيء من الشك في حكمتها.

وما أحرهم - كذلك - أن يذكروا ما في الحج وراء هذه الفوائد الروحية الفردية من فوائد اجتماعية - عظيمة - تتمثل في ذلك اللقاء والتعارف بين المسلمين الوافدين من شتى أقطار الأرض تظلمهم جميعاً

(١) البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠).

راية التوحيد، وتؤلف بينهم أخوة الإسلام حيث يتبادلون المنافع، ويتشاورون فيما يهمهم من عظام الأمور، مصداق قول الله - تعالى -
لَخَلِيلُ إِبرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۖ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنَّمَا أَسْرَأَ اللَّهُ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكَلُّوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْبَاسِ الْفَقِيرَ ۝﴾
[الحج: ٢٨، ٢٧].

العبادات المالية

العبادات المالية: هي التي تعبدنا الله بها في أموالنا من الصدقات والذبائح والندور ونحوها، وهذا النوع من العبادات قد دخله من ألوان الشرك وصوره ما يصعب حصره، فإن كثيرا من الناس يجهلون أن الله عليهم عبادة في أموالهم التي هي من رزقه وفضله، وقد لبس عليهم الشيطان في أمرها كما لبس عليهم في غيرها بل أشد، فألقى في روعهم أن هذه الأموال إنما سيقت إليهم ببركة الشيخ (فلان) أو بسبب دعائه وشفاعته، وأنه هو القائم على حراستها وتنميتها فهي ستبقى ما بقي الشيخ راضيا وهو لا يرضى - طبعًا - حتى يجعلوا له في هذه الأموال نصيبًا مفروضًا، فتراهم ليسوا على شيء أحرص منهم على سوق هذه الأموال من الندور الذبائح إلى أضرحة هؤلاء المشايخ وعلى شهود المهرجانات الشريكة التي تقام لهم.

وإذا سولت لأحدهم نفسه أن يأكل النذر، الذي نذره لواحد من أصحاب هذه الأضرحة، فإنه يبقى طيلة عامه متوقعًا للمصائب التي تحيق به على يد الشيخ صاحب النذر - لاسيما - إذا كان الشيخ غضوبًا. كما تزعمه العامة في أبي العينين الدسوقي، فإذا جرى على هذا الأكل للنذر شيء من قدر الله عز وجل، من فقد مال أو ولد أو نحو ذلك أيقن أن الذي أصابه إنما بسبب غضب الشيخ عليه لعدم وفائه بالنذر.

وهكذا يعيش هؤلاء التعساء من عباد القبور في هم ناصب، وقلق واصب، لأنهم لا يدرون مواقع الرضى والغضب من نفوس هؤلاء الموتى، وأيهم أحق أن يرضوه، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ١٨].

ونرى - بعد هذه المقدمة الطويلة - أن نكشف للناس عن هذه التلبيسات التي يلبس بها عليهم شياطين الإنس والجن، وأن نقول كلمة في هذه المسائل إعدارًا إلى الله - عز وجل - ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة، ويكفيها في هذا المجال أن نثبت أن هذه الأمور من جملة العبادات التي يتقرب بها إلى الله سبحانه، فإنه إذا ثبت ذلك علم قطعًا أنه لا يجوز صرفها إلى غير الله، كما هو الشرط في سائر العبادات.

أما الصدقات فلا يشك مسلم في أنها من أعظم القربات إلى الله - عز وجل - وقد قرنها الله بالصلاة في كثير من آيات الكتاب الحكيم، وجعلها من أعظم خصال الإيمان، ووعد عليها بجزيل الثواب، بل وسماها قرصًا، ووعد عليه أضعافًا كثيرة.

ويطول بنا القول لو تتبعنا ما ورد في شأن الصدقة من الآيات والأحاديث، وهو أمر معلوم لكل من له إلمام بنصوص الوحيين، ولكن الذي يحتاج للتنبيه عليه هو ما يعرض للصدقة من أعمال شركية تحبطها وتبطل ثوابها، وذلك من الرياء والمن بها على الآخذ والاستطالة بها عليه، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [البقرة: ٢٦٤].

ومن ذلك - أيضًا - أن يتحرى بصدقته الفقراء المجاورين عند الأضرحة لما يلتمسه من بركة أصحابها، أو أن يقيم لهم بها موالد، أو يشتري لهم بها أستارًا، أو بسطا، أو سرجا، أو نحو ذلك مما تزين به هذه الأضرحة ظنًا منه أن تلك قُرب يتقرب بها إلى الله عز وجل فلا يزداد بها من الله إلا بعدًا.

وهذه حال كثير من الناس لا يتحرون بصدقاتهم إلا هذه المواضع مما يدل على أنهم لم يقصدوا بها وجه الله - بل - إنما قصدوا إلى إرضاء أصحاب هذه الأضرحة - بل - قد يترك بعضهم الفقراء من ذوي قرابته أو أهل بلده ممن هم أحق بصدقته، ويدفعها إلى من لا يستحقها من سدنة هذه الطواغيت والعاكفين عليها.

وأما النذر فهو في الأصل غير مشروع، بل قد ورد النهي عنه، قال ﷺ: (لا تنذروا، فإنَّ النذر لا يقدم شيئاً ولا يؤخره، وإنما يستخرج به من البخل)^(١).

ولكنه إذا نذر لزمه الوفاء، وصار النذر حينئذ قرينة وعبادة لا تنبغي إلا لله، وعلى هذا يحمل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَتَفَقَّهْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذْرَةٍ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [البقرة: ٢٧٠]، وقوله: ﴿وَلْيُؤْفُوا نَذْرَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩]، وقوله في صفة الأبرار: ﴿يُؤْفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

وفي الحديث الصحيح: (من نذر أن يطيع الله فليطعم، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه)^(٢).

وبهذا يتبين: إن ما ينذره بعض الجهلة لأصحاب الأضرحة من نقود وشموع ونحوهما هو نذر باطل وشرك صريح، وأنه لا يلزم أحداً الوفاء بهذا النذر إذ لا وفاء لنذر في معصية الله عز وجل.

وقد روي أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إني نذرت أن أنحر إبلاً بمكان كذا، فسأله النبي ﷺ عن هذا المكان، هل كان فيه صنم يعبد؟. فقليل: لا. ثم سأل: هل كان يقام فيه عيد من أعياد الجاهلية؟ فقليل: لا. فقال للرجل:

(١) رواه البخاري ٦٦٩٢، ومسلم (١٦٣٩).

(٢) رواه البخاري (٦٣١٧).

(أوف بنذرک فإنہ لا وفاء بنذر فی مصیۃ، ولا فیمالا یملک ابن آدم) (١).

ومن العجیب أنه قد صدرت فی هذا الموضوع عدة فتاویٰ رسمية، وأذیعت عنه أحادیث كثيرة - كلها - مجمعة علی بطلان هذه النذور واعتبارها شركًا، ولكن الناس لا یزالون سادرین فی غوایتهم ومصرین علی ضلالتهم لا یقبلون فیها لومة لائم، وقديمًا قیل: حبك الشيء یعمي ویصم.

وأما الذبح أو النحر: فلا یشك مسلم - كذلك - فی أنه عبادة مأمور بها، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴿[الأنعام: ١٦٦، ١٦٣] والنسك هنا معناه: الذبح.

وقال: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ فَالْيَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ ﴿[الحج: ٣٤].

وقد أمر الله من تمتع بالعمرة إلى الحج أن يذبح ما استيسر من الهدي. وأوجب علی من ارتكب شيئًا من محظورات الإحرام فدية من صيام أو صدقة أو نسك.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ ﴿[الكوثر: ٢]، فجعل الأمر بالنحر قرين الأمر بالصلاة.

(١) أبو داود (٣١١٣). قال في خلاصة البدر المنير (٢/ ٤٢٢): بإسناد صحيح علی شرط الشيخين.

وقد ورد أنه ﷺ نحر في حجة الوداع مائة بدنة، وأنه كان يضحي يوم عيد الأضحى بكبشين أملحين، ولم تزل الأضحية واجبة على كل قادر عليها من المسلمين. فدل ذلك كله على أن الذبح عبادة يتقرب بها إلى الله عز وجل، وفي الحديث: (افضل الحج اجمع والنج)^(١).

والمراد بالثج: صب الدماء.

وعلى هذا فمن ذبح ذبيحة وأهل بها لغير الله، أو قصد التقرب بذبحها لغيره، أو أطعمها الناس على اسم غيره، كهذه الذبائح التي تذبح في مولد البدوي وغيره. فقد أتى عملاً فظيلاً من أعمال الشرك، وضاهى أهل الجاهلية الأولى في ذبحهم لآلهتهم على النصب، وفي الحديث: (لعن الله من ذبح لغير الله)^(٢).

* * *

(١) الترمذي (٨٢٧)، وابن ماجه (٢٩٢٤) عن أبي بكر. والترمذي (٢٩٩٨)، وابن

ماجه (٢٨٩٦) عن ابن عمر. وفيه رجل ضعيف.

(٢) رواه مسلم (١٩٧٨).

توحيد الأسماء والصفات

توحيد الأسماء والصفات: هو النوع الثالث من أنواع التوحيد، وله أهمية خاصة لكثرة ما يقع فيه من اللبس، ولطالما احتدم حوله الجدل وثار النزاع بين الطوائف المختلفة. فهو بحق مدحضة العلماء، ومذلة أقدامهم، ومحك اختبارهم، كم ضل فيه من علماء أعلام، وتاه في تيهه كثير من أولي النهى والأحلام، ولا سبب لذلك - طبعًا - إلا الجري وراء الفلسفات الدخيلة والمذاهب الوثنية، وإحسان الظن بها، وتقديم ذلك على هدي الكتاب والسنة، وقد عالجت هذه الموضوع في كتابي المعروف: «ابن تيمية السلفي» عند الكلام على المذاهب المختلفة في الصفات، وفي شرحي للعقيدة الواسطية المعروف بالثمار الشهية.

وقد ألفت فيه أخيرًا رسالة صغيرة بعنوان: «مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية في صفات الله تعالى»، ولكنني مع ذلك لازلت أرى أن الموضوع من الخطورة بحيث يحتاج إلى مزيد من الإيضاح والتأكيد.

وقد رأيت أن أقتصر هنا على إثبات المذهب الحق، ضاربًا صفحًا عن ذكر ما عداه من المذاهب، سواء ما كان منها غاليًا في الإثبات كمذاهب المشبهة والممثلة، أو غاليًا في النفي والتعطيل كمذاهب الجهمية والمعتزلة والفلاسفة.

وإن فيما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية - رحمهما الله تعالى - في هذا الباب لغنية وشفاء، فقد أوفيا فيه على الغاية

إيرادًا للحجج والبراهين، وردًا على المشاغبين والمعاندين، وتركًا في هذا الموضوع من المؤلفات الصغيرة والكبيرة ما يعيا به الحصر. فعلى طالب الهدى الرجوع إلى ذلك ليعلم أين يكون الحق في هذا المضطرب الذي تتصارع فيه الآراء والأفهام.

ولقد رأيت أن أفتح الكلام في هذا الموضوع بتلك المقدمة القوية الرائعة التي صدر بها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - فتواه الحموية التي ألفها جوابًا على سؤال ورد إليه من حماة، يقول فيها صاحبه: «ما قول السادة الفقهاء أئمة الدين في آيات الصفات كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩]. وقوله جل شأنه: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]، إلى غير ذلك من الآيات.

وأحاديث الصفات كقوله ﷺ: (إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن) ^(١).

وقوله عليه السلام: (يضع الجبار قدمه في النار) ^(٢).

إلى غير ذلك. وما قالت العلماء فيه؟ وابتسطوا القول في ذلك مأجورين إن شاء الله تعالى.

(١) النسائي في الكبرى (٧٨٦١) عن عبد الله بن عمرو، وأحمد ٤/ ١٨٢ عن النواس.

(٢) البخاري (٤٥٦٧، ٤٥٦٨، ٦٢٨٤، ٧٠١١)، ومسلم (٢٨٤٦، ٢٨٤٨).

فأجاب الشيخ رحمه تعالى وغفر له: «الحمد لله رب العالمين، قولنا فيها ما قاله الله ورسوله ﷺ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين ابتعواهم بإحسان، وما قاله أئمة الإسلام بعد هؤلاء، الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب، وغيره.

فإن الله - سبحانه وتعالى - بعث محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، وشهد له أنه بعثه داعيًا إليه بإذنه وسراجًا منيرًا، وأمره أن يقول: ﴿هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

فمن المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، وأنزل معه الكتاب بالحق، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وأمر الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم إلى ما بعث به من الكتاب والحكمة وهو يدعو إلى الله، وإلى سبيله بإذنه على بصيرة. وقد أخبر الله بأنه أكمل له ولأئمة دينهم وأتم عليهم نعمته.

محال مع هذا وغيره أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبسًا مشتبهًا، ولم يميز بين ما يجب لله من الأسماء الحسنی والصفات العليا، وما يجوز عليه، وما يمتنع عليه، فإن معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته العقول، فكيف يكون ذلك الكتاب، وذلك الرسول، وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يحكموا هذا الباب اعتقادًا وقولاً؟

ومن المحال أيضاً أن يكون النبي ﷺ وقد علم أمته كل شيء وقال: (زَلَّكُمْ عَنْهُ السَّحَابَةُ الْبَيْضَاءُ، لَيْلَهَا كُنْهَارُهَا، لَا يَرْفَعُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ) ^(١).

وقال فيما صح عنه أيضاً: (مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانَ مَقَامًا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى غَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهَا مِنْهَا لَهَا عَنْ شَرِّ مَا يَعْلَمُهُ لَهَا) ^(٢).

وقال أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَقَدْ تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا طَائِرٌ يَقْلُبُ بِجَنَاحِيهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا» ^(٣).

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامًا فَذَكَرَ بَدْءَ الْخَلْقِ، حَتَّى دَخَلَ أَهْلَ الْجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ، وَأَهْلَ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ، حَفِظَ ذَلِكَ مِنْ حَفْظِهِ، وَنَسِيَهُ مِنْ نَسِيهِ»، رواه البخاري ^(٤).

ومحال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين - وإن دقت - أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه بقلوبهم، فربهم ومعبودهم رب العالمين، الذي معرفته غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب.

بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الإلهية، فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مسكة من إيمان أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من

(١) ابن ماجه (٤٣)، وأحمد (١٢٦/٤).

(٢) رواه مسلم (١٨٤٤).

(٣) أحمد (١٥٣/٥، ١٦٢).

(٤) رواه البخاري (٣١٩٢).

الرَّسُولَ ﷺ عَلَى غَايَةِ التَّمَامِ.

ثَمَّ مِنَ الْمَحَالِ - أَيْضًا - أَنْ تَكُونَ الْقُرُونُ الْفَاضِلَةُ، الْقَرْنَ الَّذِي بَعَثَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثَمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثَمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، كَانُوا غَيْرَ عَالَمِينَ، وَغَيْرَ قَائِلِينَ فِي هَذَا الْبَابِ بِالْحَقِّ الْمُبِينِ، لِأَنَّ ضِدَّ ذَلِكَ إِمَّا عَدَمُ الْعِلْمِ وَالْقَوْلِ، وَإِمَّا اعْتِقَادَ نَقِيضِ الْحَقِّ، وَقَوْلَ خِلَافِ الصَّدَقِ وَكِلَاهُمَا مَمْتَنَعٌ.

إِلَى أَنْ يَقُولَ: «وَلَا يَجُوزُ - أَيْضًا - أَنْ يَكُونَ الْخَالِفُونَ أَعْلَمَ مِنَ السَّالِفِينَ، كَمَا قَدْ يَقُولُهُ بَعْضُ الْأَغْيَاءِ مِمَّنْ لَا يَعْرِفُ قَدْرَ السَّلَفِ - بَلْ - وَلَا عَرَفَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ حَقِيقَةَ الْمَعْرِفَةِ الْمَأْمُورِ بِهَا مِنْ أَنْ: «طَرِيقَةُ السَّلَفِ أَسْلَمَ، وَطَرِيقَةُ الْخَلْفِ أَعْلَمَ وَأَحْكَمَ»، وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ إِذَا صَدَرَتْ مِنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ فَقَدْ يَعْنِي بِهَا مَعْنَى صَحِيحًا.

فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُبْتَدِعِينَ الَّذِينَ يَفْضُلُونَ طَرِيقَةَ الْخَلْفِ مِنَ الْمُتَفَلِّسَةِ وَمِنْ حَذَا حَذْوِهِمْ عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ، إِنَّمَا أَتَوْا مِنْ حَيْثُ ظَنُّوا أَنَّ طَرِيقَةَ السَّلَفِ هِيَ مَجْرَدُ الْإِيمَانِ بِالْأَفَاطِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ مِنْ غَيْرِ فِقْهِ؛ فَهُمْ لِذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْأَمِيِّينَ، الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّا﴾ [البقرة: ٧٨].

وَأَنَّ طَرِيقَةَ الْخَلْفِ هِيَ اسْتِخْرَاجُ مَعَانِي النُّصُوصِ الْمَصْرُوفَةِ عَنْ حَقَائِقِهَا بِأَنْوَاعِ الْمَجَازَاتِ وَغَرَائِبِ اللُّغَاتِ.

فَهَذَا الظَّنُّ الْفَاسِدُ، أَوْجِبَ تِلْكَ الْمَقَالَاتِ الَّتِي مَضْمُونُهَا نَسَبُ الْإِسْلَامِ وَرَاءَ الظُّهْرِ، وَقَدْ كَذَّبُوا عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ، وَضَلُّوا فِي تَصْوِيبِ

طريقة الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، والضلال بتصويب طريقة الخلف»^(١).

وإذا كان توحيد الأسماء والصفات يقوم على أن الله سبحانه مختص بما له من الأسماء والصفات، لا يشاركه فيها أحد من خلقه، وعلى وجوب إثبات كل ما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسول الله ﷺ من الأسماء والصفات من غير تمثيل ولا تعطيل. فإن هناك قواعد عامة في هذا الباب يجب رعايتها حتى تكون بمنجاة من التورط في ورطات الضلال التي وقعت فيها الفرق المختلفة، فمنهم من غلا في الإثبات حتى مثل الله بخلقه، حتى أدى به - ذلك - إلى جحد الذات - نفسها - واعتبارها عدمًا، لا وجود له، ومنهم من أثبت الأسماء دون الصفات تحكمًا بلا دليل، ومنهم من أثبت بعض الصفات دون بعض، جريًا وراء وهم فارغ لا أصل له.

ولم يكن لهذا الضلال كله من سبب إلا الإعراض عن هدي الكتاب والسنة، والتصرف في نصوصهما بالتأويلات الفاسدة، والجري وراء الظنون الكاذبة بدعوى أنها عقليات لا تقبل النقض، والقول على الله سبحانه بلا علم.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥ / ٥ - ٩).

القواعد والأسس التي يجب ملاحظتها في معرفة توحيد الأسماء والصفات:

أما تلك القواعد والأسس التي تجب ملاحظتها في هذا الباب فهي:
أولاً: لا يصح أن يسمى الله - عز وجل - إلا بما سمي به نفسه، أو سماه به رسوله ﷺ ولا أن يوصف - كذلك - إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ فإن أسماء الله - تعالى - كلها توقيفية لا يجوز إطلاق شيء منها على الله في الإثبات أو في النفي إلا بإذن من الشرع.

وما لم يصرح الشرع بنفيه ولا بإثباته يجب التوقف فيه حتى يعلم ما يريد به قائله، فإن أراد به معنى صحيحاً موافقاً لما ورد به النص قبل، ولكن لا يعبر عنه إلا بألفاظ النصوص، ولا يعدل عنها إلا لضرورة، وإن أراد به معنى فاسداً وجب رده.

والأصل في ذلك أن معرفة الله - عز وجل - بأسمائه وصفاته، هي من شئون الغيب التي لا سبيل إلى إدراكها بالعقل وحده، فإن العقل لا يتجاوز بقدرته نطاق هذا الوجود الحسي الذي يمكن أن ينفذ إليه من طريق الحواس.

أما شئون الغيب فلا مجال له أن يحكم عليها بمقتضى أقيسته وبراهينه، وإنما وظيفته أن ينظر فيما جاءت به النصوص من أخبار هذه الغيوب فيثبت ما أثبتته النصوص، وينفي ما نفتته، من غير أن يضيف من عنده شيئاً لا في الإثبات ولا في النفي.

ومهما توهم العقل أن صفة ما هي صفة كمال لا يجوز له إثباتها، ما لم تكن ثابتة بالشرع، ومهما توهم أن صفة ما هي صفة نقص، لا يجوز

له نفيها ما لم تكن منفية بالشرع، إذ لا عبرة في هذا الباب بوهم العقل فإنه قد أدى في كثير من الأحوال إلى نفي كثير من صفات الكمال الثابتة بالكتاب والسنة.

ثانيًا: يجب أن يكون معلومًا أن الله - عز وجل - لا يماثل شيئًا من خلقه ولا يماثله شيء، فكل ما ثبت له من الأسماء والصفات فمعناه يختص به لا يشاركه فيه أحد.

ثم قد يكون هناك أسماء مشتركة بين الله وبين خلقه أو بين صفاته وصفات خلقه فهذه يجب أن لا توهم تشابهًا في المسمى . فإن الاشتراك إنما هو في محض الاسم وفي القدر المشترك الذي يدل عليه عند الإطلاق، وذلك لا يوجب مماثلة أصلاً بين الله عز وجل وبين من يسمى بهذه الأسماء أو يوصف بهذه الصفات من المخلوقين.

فتسمية الله تعالى قادرًا لا توجب مماثلة قدرة الله لقدرة العبد، وكذا تسميته عالمًا ومريدًا وحياً وسميعاً وبصيراً ومتكلمًا وغير ذلك من أسمائه الحسنی التي قد تطلق على غيره لا توجب أن علمهم كعلمه ولا إرادتهم كإرادته ولا حياتهم كحياته .. الخ.

والأصل في ذلك أن ما يوصف به العباد إنما يتعين ويتخصص بالإضافة؛ فإن أضيف إلى الله كان معنى مختصًا به لا يليق بغيره، وإن أضيف إلى المخلوق كان معنى مختصًا به يتنزه الله عز وجل عن الاتصاف به.

وفي تقرير هذه القاعدة على هذا الوجه حلّ لإشكالات كثيرة، فإن الذين نفوا عن الله - عز وجل - ما يطلق على خلقه من الأسماء والصفات، وتأولوا ما ورد فيها من الآيات والأحاديث، إنما فعلوا ذلك لتوهمهم أن إثبات هذه الأسماء والصفات يقتضي المماثلة بين الله وخلقه فعتلوا خوف التشبيه.

ولو أنهم أدركوا أن لهذه الألفاظ إذا أطلقت على الله معاني آخر غير التي تناسب المخلوق لما وقعوا في حماة التعطيل، ولكن من يضل الله فما له من سبيل.

وبناء على هذه القاعدة العظيمة: يمكن أن نثبت لله كل ما ورد به الكتاب العزيز من صفات الاستواء والمجيء والإتيان يوم القيامة والتكليم والنداء والمناجاة بأصوات مسموعة وحروف مفهومة والرحمة والحكمة والرضى والغضب والمحبة والكراهة واليدين والعينين والوجه أو غيرها.

وكذلك نثبت له ما وردت به السنة الصحيحة من صفات النزول إلى سماء الدنيا كل ليلة، والدنو من الحجاج عشية عرفة، والفرح بتوبة عبده حين يتوب، والضحك وغيرها، ما دما نعتقد أن كل ما ثبت لله من هذه الصفات هو غير ما ثبت منا للمخلوقين.

ثالثاً: أن كل ما ثبت لله من الصفات الوجودية فهو ثابت له على جهة الكمال المطلق الذي هو أقصى ما يمكن من الأكملية بحيث لا يكون وراءه كمال آخر، ولا يمكن أن يعرض لها النقص بوجه من الوجوه؛ فيه.

سبحانه له المثل الأعلى في كل ما ثبت له من الأسماء والصفات، ولا يمكن أن يكون هذا المثل لأحد سواه فصفاته وجدت كاملة من الأزل إلى الأبد، ولا يمكن أن يطرأ عليها النقص الذي قد يطرأ على صفات المخلوقين .

فحياته سبحانه أكمل حياة؛ لأنها من لوازم ذاته، فهي أقدم حياة، وأدوم حياة، وأقوى حياة . ولا يمكن أن تسبق بموت، ولا أن يلحقها موت قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْيَحْيَى الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ [الفرقان: ٥٨] .

وفي الحديث: (اعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت، أنت تضرني، أنت
الحي الذي لا تموت، والجن والإنس يموتون) ^(١) .

وكذلك كل ما تستلزمه هذه الحياة الكاملة من الصفات هو ثابت على أكمل وجه وأتمه . فقد رتبته أكمل قدرة لا يعجزها شيء ولا يصيبها لغوب أو إعياء .

وعلمه أوسع علم وأشمله، فهو محيط بجميع المعلومات لا يمكن أن يند عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء .

وإرادته أتم إرادة فلا يقع في ملكه إلا ما يريد .

وسمعه وسع الأصوات كلها مهما خفتت فهو يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء . قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ

(١) رواه البخاري (٧٣٨٣)، ومسلم (٢٧١٧) .

بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ [طه: ٧].

وبصره أكمل الأبصار رؤية، فلا تغيب عنه ذرة مهما دقت، ولا يؤثر فيه بعد، ولا يحجبه حيطان ولا أستار، قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وكلامه أتم كلام وأبلغه، فلا يمكن أن يكون في كلامه خفاء أو قصور قال تعالى: ﴿وَمَتَّ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

وهكذا الحال في جميع الصفات، لا يجوز أن تثبت له إلا على هذا الوجه من الكمال.

وأما ما نفاه الله عز وجل عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب، فإن هذا النفي بمجرد ليس كمالاً، إذ الكمال لا يكون إلا أمراً موجوداً، وأما الأمور السلبية أو العدمية فلا تكون كمالاً إلا إذا تضمنت أمراً وجودياً.

ولهذا لم يرد في الكتاب ولا في السنة نفي نقص عن الله عز وجل إلا ويراد به إثبات ما يضاده ذلك النقص من صفات الكمال. فنفي العجز في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [فاطر: ٤٤].

ونفي السنة والنوم في قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، إنما يراد به إثبات كمال حياته وقيوميته.

ونفي الظلم في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، إنما هو لإثبات كمال عدله وحكمته . وهكذا في بقية الصفات ^(١).

ولهذا أيضاً لم يرد النفي في الكتاب ولا في السنة إلا مجملاً في أغلب أحواله، كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله جل شأنه: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وقوله عز وجل: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

وأما صفات الإثبات فيكثر ورودها على جهة الاستيعاب والتفصيل .
رابعاً: أن صفات الله تعالى نوعان:

أحدهما: صفات ذات، وهي التي تكون لازمة لذاته لا تنفك الذات عنها أزلاً وأبداً، ولا يتعلق شيء منها بمشيتها وقدرته، وذلك مثل صفات الحياة والعلم والقدرة والعزة والكبرياء والملك والمجد والعظمة والقوة ونحوها.

(١) انظر: درء التعارض (٦/ ١٧٧)، والصفدية (٢/ ٦٤)، والجواب الصحيح (٣/ ٢٠٩)، ومجموع الفتاوى (١٠/ ٢٥٠)، و منهاج السنة النبوية (٢/ ١٨٣)، (٣١٩)، والفتاوى الكبرى (٢/ ٣١٢).
وانظر دقائق التفسير (٢/ ١٢٧، ٣٦٤). والصواعق المرسلة (٤/ ١٣٦٩).

وثانيهما: صفات أفعال لا تكون لازمة لذاته بل يجوز خلو الذات عنها، وتعلق بها مشيئته وقدرته، فهو يحدثها سبحانه في ذاته شيئاً بعد شيء حسب اقتضاء حكمته، ولكن ليس لما يحدث منها في ذاته ابتداء بل تصدر أفرادها على التعاقب في الوجود متسلسلة شيئاً بعد شيء دون أن تنتهي السلسلة، لا في جانب الأزل، إذ لا ابتداء لها، ولا في جانب الأبد حيث لا انتهاء لها. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

ولنضرب لذلك مثلاً بصفة الكلام، فإن الكلام منه صفة ذات، وهو: قدرته تعالى على أن يتكلم متى شاء وكيف شاء، ولكن صدور الكلام منه بالفعل لا يكون إلا حادثاً بمشيئته وقدرته. إذ لا يعقل أن يكون كلمه موسى في الأزل وقال له: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ [طه: ١٢]، بل كلمه حين جاء إلى الميقات كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وكذلك صفة الإرادة، لا يعقل أن يكون أراد الأشياء كلها في الأزل وإلا لوجدت كلها في الأزل، بل كل مراد من المرادات إنما يقع بإرادة جزئية خاصة به كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

وهكذا في جميع صفات الأفعال لا توجد أفرادها مجتمعة في الأزل بل لا توجد إلا على التعاقب فيما لا يزال. وهذا البحث مبسوط في كتابي «ابن تيمية السلفي» وفي كثير من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فليرجع إليه من شاء^(١).

(١) انظر ابن تيمية السلفي ص ٨٧ - ١٦٩ .

وهذا الكلام له قاعدة عظيمة ينبغي الانتهاء إليها وهي: «أننا نصف الله بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ، ثم نقف ولا نتجاوز ذلك». فنقول: إنه تعالى كلم موسى، فالقرآن كلامه غير مخلوق، وأنه عَلِمَ وأَرَادَ وشَاءَ بلا ابتداء ولا انتهاء، ولم يرد إلينا في القرآن ولا في السنة في شيء من ذلك متنى وكيف يكون؟ ولا تفصيل المراد بالكلام القديم والمحدث والفرق بين المحدث والقدرة على الكلام... إلخ فنمسك عن الخوض في كل ذلك لأنه من العقليات التي خاض فيها بعض العلماء بشيء من الحذر والحيلة لأجل ردّ شبهات الجهمية والمعتزلة والفلاسفة وأضرابهم من المتكلمين، فهم معذرون بما تكلموا فيه من ذلك لأجل الردّ على أولئك الفرق المعتدية، وهؤلاء العلماء لم يؤثر عليهم إلا ألفاظ قليلة في ذلك مثل قول الإمام أحمد: «لم يزل الله متكلمًا إذا شاء»، «ولم يزل الله عالمًا متكلمًا، والقرآن كلام الله غير مخلوق، وعلى كل جهة، ولا يوصف الله بشيء أكثر مما وصف به نفسه» - الفتاوى ١٥٧/٦ - وأما من عداهم فلا ينبغي أن يخوض في هذا الكلام لأن الخلاف فيه مستطير ومشهور وحطير: انظر الفتاوى ١٤٤/٦ - ١٦٣ لابن تيمية.

الأسماء الحسنى

سأقدم الآن - بتوفيق الله عز وجل - شرحاً بسيطاً موجزاً لبعض الأسماء الحسنى التي تدور - كثيراً - على الألسنة، والتي قد تخفى معانيها على بعض الناس، أو قد يحملها المعطلة النفاة على معاني أخرى غير المعاني الظاهرة منها، لأنهم يتوهمون أن في حملها على ظواهرها تشبيهاً لله - عز وجل - بخلقه.

وقد تضمن كتابي «الثمار الشهية في شرح العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله شرح كثير من هذه الأسماء الحسنى . ولكني مع ذلك لا أرى بأساً بإعادة القول فيها تعميماً للفائدة، وزيادة في التذكرة، فإن الأمر من الأهمية والخطر بحيث لا يستكثر فيه كلام . إذ أصل العلوم كلها ومحورها الذي تدور عليه هو العلم بالله وأسمائه وصفاته؛ فمن لا علم له بذلك أو نقص حظه منه لم ينتفع بشيء من علمه: فأقول وبالله أستعين:

(الله): علم على الذات الواجب الوجود المستجمع لسائر صفات الكمال التي لا تنبغي لأحد سواه، والتي يستحق عليها غاية الحمد والثناء . واختلف في لفظ الجلالة هل هو اسم جامد أو مشتق، فقل أنه جامد غير مشتق من قبيل الأعلام المحضة التي لا تتضمن صفات تقوم بمسمياتها.

واحتج أصحاب هذا القول بأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها واسمه تعالى قديم بقدمه، والقديم لا يجوز أن يكون له مادة، وإلا كان مسبوقاً بمادته، والمسبوق بغيره حادث.

والصحيح أنه مشتق كغيره من الأسماء الحسنی التي وضعت للدلالة على معان قائمة بذاته تعالى، ولكن اختلف في مبدأ اشتقاقه . فقليل من ياله ألوهة والوهية بمعنى عبد عبادة.

وقد قرأ ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَيَذَرُكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، أي: عبادتك، ويقال: إلهه بتشديد اللام يؤلّهُه تأليهاً: إذا عبده أو اعتقد ألوهيته . وعلى هذا الرأي فهو إله بمعنى مألوه أي معبود كما قال ابن عباس رضي الله عنهما «الله ذو الإلَهية والعبودية على خلقه أجمعين».

وقيل: هو مشتق من إله بكسر اللام يألُه بفتحها ألهاً، كوله ولها إذا تحير . وذلك لأن العقول تحار في اكتناه سر جلاله وعظمته . ولا تستطيع الإحاطة بكل أسمائه وصفاته، كما قال صلوات الله وسلامه عليه: (سبحانهُ لا يَخْصِيهِ ثناءُ عليهِ، أنتَ كما اِنتَبَهَ علَيهِ نفسهُ) ^(١).

وعلى القول بأنه مشتق يكون وصفاً في الأصل، ولكن غلبت العلمية فتجري عليه بقية الأسماء الحسنی إخباراً كقوله تعالى: ﴿إِلَهُ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وكقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

وتجرى عليه أوصافا كقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٩].

والفرق بين (الله) و(إله) أن الأول مختص به سبحانه لا يطلق على غيره لأنه علم عليه . وكان المشركون في جاهليتهم يعرفون ذلك .

قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾

[لقمان: ٢٥، والزمر: ٢٨].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۝ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۝ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۝ قُلْ فَأَنَّى تُشْحَرُونَ ۝ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الزمر: ٢٨-٩١].

وأما الثاني: وهو إله فيطلق على كل ما عبد بحق أو بباطل، ولهذا كانت كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» تدل بصدرها على نفي كل معبود باطل والبراءة منه، وتدل بعجزها على إثبات وصف الإلهية لله - عز وجل - وحده . فهى مركبة من نفي وإثبات . ولهذا كانت هي كلمة الإخلاص، ومحور الإسلام التي أمر النبي ﷺ أن يقاتل الناس حتى

يقولوها . فمن قالها فقد عصم دمه وماله بحقها .

ولهذا - أيضاً - كانت أساس كل دعوة بعث بها رسول من عند الله كما قال تعالى: ﴿يُنْزِلُ الْمَلَكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٩٠].

وكما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

فهاتان الكلمتان هما بمعنى لا إله إلا الله .

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥٠].

ومادام لفظ الجلالة - كما قلنا - علماً على الذات المتصفة بسائر صفات الكمال المختصة بها، يكون مشتملاً على جميع الأسماء الحسنی إجمالاً . وتكون هي بمنزلة التفصيل لذلك الإجمال، فمن قال: (الله) فقد دخل فيه كل اسم سمى به نفسه أو سماه به رسوله ﷺ . وهذا هو السر في أن الأسماء الحسنی كلها تجرئ أوصافاً عليه لأنه متضمن لها مشتمل عليها .

وبعض من يزعمون لأنفسهم أو يزعم لهم الناس التحقيق والمعرفة من الصوفية يؤثرون الذكر بلفظ الجلالة (الله) على الذكر (بلا إله إلا الله) مع أنه لم يرد في الكتاب ولا في السنة ولا أثر عن أحد من السلف الذكر بلفظ مفرد . بل جميع الأذكار الواردة في الكتاب الكريم والسنة

المطهرة هي جمل وعبارات تامة كسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، إلخ .

وما يحتاجون به من قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ تَعَالَى ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١]، فهذا مما يدل على فرط جهلهم لمعاني كتاب الله - عز وجل - فإن لفظ (الله) الذي أمر أن يقول الرسول ﷺ ليس لفظاً مفرداً، بل هو جزء من جملة وقعت جواباً عن الاستفهام السابق في قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾ [الأنعام: ٩١].

فأمر النبي ﷺ أن يقول لهم: (الله)، بمعنى أن: الله هو الذي أنزل الكتاب، فهو بمنزلة قولك: (زيد)، لمن قال لك: (من عندك ؟) أي: عندي زيد.

ومن تلبيس الشياطين عليهم في هذا: أن من قال: (الله) لم يخطر بباله الشريك فيسلم توحيده من المنازعة . وأما من قال: (لا إله إلا الله) فقد خطر بباله غير الله، وهو يشوش عليه توحيده !

ونسي هؤلاء أن تمام التوحيد وكماله لا يكون إلا بقطع العلائق عن جميع الأغيار، ووصلها بالله وحده، فإنك إذا قلت لأحد من الناس: (إني أحبك) كان هذا إخباراً بحبك له . وهو لا ينفي حبك لغيره، بخلاف ما لو قلت له: (لا أحب إلا أنت) فإن فيه إخباراً عن إخلاصك الحب له، بحيث لا يتسع قلبك لسواه . ففرق بين هذا وهذا . ولهذا كانت (لا إله إلا الله) أبلغ في إخلاص التوحيد من قولنا: (الله واحد) لأن الأولى لا

تحتمل الاثنينية بوجه، بخلاف الثانية فإن فيها شائبة احتمال .

(الرب): قال الراغب في المفردات: (الرب في الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام، ويقال: ربه ورباه وربَّه وقيل: لأن يربني رجل من قريش خير من أن يربني رجل من هوازن. فالرب مصدر مستعار مستعمل للفاعل، ولا يقال الرب مطلقاً إلا لله تعالى، المتكفل لمصلحة الموجودات.

وفي النهاية لابن الأثير: (الرب مطلق في اللغة على المالك والسيد والمدبر والمربي والقيم والمنعم. ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى، وإذا أطلق على غيره أضيف فيقال: رب كذا).

من هذا وغيره يتبين أن لفظ الرب عدة معان، فهو يطلق ويراد منه المربي للشيء ينميه بالتغذية، وينقله من طور إلى طور حتى يبلغ غاية كماله. ويطلق ويراد به المالك للشيء المدبر له وصاحب السيادة عليه.

ولا شك أن هذه المعاني كلها مما يصح أن تراد بلفظ الرب إذا أطلق على الله تعالى، فهو المربي عباده بنعمه تربية مادية بالأغذية والأقوات، وتربية روحية بإرسال الرسل، وإنزال الكتب والشرائع . وهو أيضاً: المالك للأشياء والقيم عليها والمدبر لشئونها والمتكفل بمصالحها وحفظها.

واسمه تعالى (الرب) من أصول الأسماء الحسنی التي تعتبر مدار الكثير من هذه الأسماء . فهو متضمن لصفات الخلق والرزق والملك

والتدبير والحفظ، ونفوذ المشيئة، والحلم وغيرها من شئون الربوبية المختصة به سبحانه. والإقرار بربوبيته تعالى لكل شيء أمر مركوز في الفطر لا يكاد ينازع فيه إلا مكابر أو مغالط. كما حكى الله - عز وجل - عن فرعون أنه قال لموسى: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣].

وقد أجابه موسى - عليه السلام - بما يقربه في نفسه، وإن جحدته لسانه، فقال له: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٤].

وكذلك أخبر الله - سبحانه - عن المشركين الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ أنهم مع إشراكهم في إلهيتهم واتخاذهم الأنداد التي ساووها بالله تعالى في استحقاق العبادة والتعظيم - كانوا يقرون لله بالربوبية المطلقة لجميع الأشياء، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجَ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمِنَ الْمَيِّتِ إِلَى الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١].

وقال: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [النكبت: ٦١].

(الرحمن الرحيم) اسمان كريمان من الأسماء الحسنى، يدلان على اتصافه تعالى بصفة الرحمة، وهي صفة حقيقية لله - عز وجل - على ما يليق به. فلا يجوز القول بأن المراد بها لازمها، كإرادة الإحساس

ونحوه، كما تزعم المعطلة .

واختلف في سر الجمع بين هذين الاسمين الكريمين بعد الاتفاق على أن أولهما: (الرحمن) أكثر مبالغة من الرحيم، فقليل المراد بالرحمن: الذي وسعت رحمته جميع خلقه في الدنيا، وبالرحيم: الذي تخصص رحمته المؤمنين في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وقد ذهب العلامة ابن القيم رحمه الله إلى أن الرحمن دال على الصفة القائمة بالذات، وأما الرحيم فдал على تعلقها بالمرحوم، فهو الرحمن في ذاته، الرحيم لعباده بالفعل بتلك الرحمة^(١).

ولعل مما يشهد لهذا، أن اسمه تعالى الرحمن لم يستعمل في القرآن الكريم متعديًا بخلاف الرحيم، قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وفي الحديث الصحيح: (أنا الرحمن فلقته الرمم وشققته لها اسمًا منه اسمي، فمنه وصلها وصلته، ومنه قطعها قطعته)^(٢).

واسمه تعالى (الرحمن) من الأسماء المختصة به فلا يطلق على غيره، ولهذا يقع في ابتداء الكلام، وتجري عليه النعوت، كاسم الجلالة

(١) انظر: بدائع الفوائد ص ٢٨ .

(٢) أبو داود (١٦٩٤)، والترمذي (١٩٠٧).

تمامًا، قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿طه: ٥﴾.

وقال جل شأنه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ

أَنْسُجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ ﴿الفرقان: ٦٠﴾.

وقال عز وجل: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ

الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ﴿الإسراء: ١١٠﴾.

قيل: كانت العرب لا تعرف اسمه تعالى: (الرحمن) حتى رد الله

عليهم بهذه الآية . ولهذا قال كفار قريش يوم الحديبية، لما قال رسول

الله ﷺ لعلي رضي الله عنه: (أنت بسم الله الرحمن الرحيم): لا نعرف الرحمن ولا

الرحيم^(١).

وفي بعض الروايات: لا نعرف الرحمن إلا الرحمن الإمامة^(٢).

وروي عن الحسن رضي الله عنه قال: «الرحمن اسم لا تستطيع الناس أن

ينتحلوه، تسمى به تبارك وتعالى».

==

(الملك): قال الراغب: (الملك) هو التصرف بالأمر والنهي في

الجمهور، وذلك يختص بسياسة العقلاء، ولهذا يقال: ملك الناس، ولا

يقال ملك الأشياء .

(١) رواه مسلم بنحوه (١٧٨٤).

(٢) نسبه في الدر المنثور (٣٧٦/٥) لابن المنذر عن مجاهد.

وقوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، فتقديره الملك في يوم الدين،
وذلك كقوله: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦].

والملك الحق الدائم لله، فلذلك قال: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ [التغابن: ١]، وقال: ﴿مَلِكِ الْمُلْكِ﴾ [آل عمران: ٩٦]، والملك ضبط الشيء المتصرف بالحكم.

وقال الحافظ ابن كثير: (والملك) في الحقيقة هو الله عز وجل. قال
الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ﴾ [الحشر: ٢٣]^(١).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: (أمنع اسم عند الله رجل
تسمى بملك الأملاك ولا ماله إلا الله)^(٢).

وفيهما عنه عن رسول الله ﷺ قال: (يقبض الله الأرض ويطوي
السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك. أين ملوك الأرض؟ أين الجبارون؟ أين
المكبرون؟)^(٣).

وفي القرآن العظيم: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ
الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/٢٦).

(٢) رواه البخاري (٥٨٥٣)، ومسلم (٢١٤٣).

(٣) رواه البخاري (٦٥١٩)، ومسلم (٢٧٨٨).

فأما تسمية غيره في الدنيا بملك فعلى سبيل المجاز، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [البقرة: ٢٤٧].

واسمه تعالى (الملك) من الأسماء الأصول التي تدور في فلكها كثير من الأسماء الحسنی كالعزيز، الجبار، المتكبر، الحكم، العدل، الخافض، الرافع، المعز، المذل، العظيم، الجليل، الكبير، الحسيب، المجيد، الوالي، المتعال، مالك الملك، المقسط، الجامع، إلى غير ذلك من الأسماء العائدة إلى الملك.

والخلاصة: أن الملك الأمر الناهي، صاحب السلطان القاهر والمشیئة النافذة الذي يصرف أمور عباده كما يحب ويقلبهم كما يشاء سبحانه وتعالى.

(القدوس) هو المقدس المعظم المنزه عن كل نقص وعيب، فيدخل في ذلك تنزيهه سبحانه عن كل ما يضاد صفات كماله التي وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ من الجهل والعجز والموت والفقر والإعياء والتعب والضلال والنسيان والسفه والجور والسنة والنوم، إلى غير ذلك من صفات النقص التي يتنزه الله عن الاتصاف بها.

ويدخل في ذلك أيضًا تنزيهه عن الشريك له في ربوبته أو ألوهيته، وعن الظهير الذي يعاونه في خلق شيء من المخلوقات أو تدبيرها، وعن الشفيع الذي يشفع عنده بغير إذنه، وعن الزوجة والولد، وعن أن يكون له ولي من الذل والحاجة، تعالى الله عن ذلك كله.

ويدخل فيه أيضًا تنزيهه عن مشاركة أحد من الخلق له في صفاته الخاصة به، بل يجب حفظ صفات كماله ونعوت جلاله عن تشبيهها بصفات المخلوقين .

فلا يقال مثلاً: علم الله أو قدرة الله كعلم الخلق أو قدرتهم، ولا رحمته كرحمة خلقه، فإنه كما أن ذاته لا يشبهها ذوات المخلوقين فصفاته لا يشبهها صفاتهم، ومن قال بهذا فإنه إنما يمثل بفكره صنماً ووثناً يعبد.

كما يجب تنزيهه عن المماثلة لخلقه في شيء من صفاته، يجب تنزيهه عن التعطيل، والجدد لصفات كماله التي ثبتت بالكتاب والسنة . فاسمه القدوس يتضمن تنزيهه عن كل ما لا يليق به من النقص، متصلاً كان أو منفصلاً، وهو متضمن أيضاً لتعظيمه، فإن من برئ من صفات السوء والعيب، لا بد أن يكون حائزاً لصفات الكمال والعظمة . بل إن إثبات الكمال والعظمة هو المقصود الأصلي من سائر التنزيهات فإن التنزيه لا يراد لذاته بل يقصد به حفظ كماله سبحانه عن الظنون السيئة كظن الجاهل .

وعلى الجملة فإذا قال العبد مثنيًا على ربه (سبحان الله) أو (تقدس الله) أو (تعالى الله) ونحو ذلك كان جامعًا بين الأمرين: السلامة من كل نقص، وإثبات كل كمال.

(السلام) ورد اسمه تعالى (السلام) عقيب اسم (القدوس) في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾ [الحشر: ٢٣].

وفي الصحيح أنه ﷺ كان إذا سلم قال: (اللهم أنتَ السلام ومنك السلام تباركتَ يا ذا الجلال والإكرام)^(١).

وفيه أيضًا: أنهم كانوا يقولون في التشهد «السلام على ربنا» فنهاهم النبي ﷺ وقال لهم: (إن الله هو السلام)^(٢).

ومعنى اسمه تعالى «السلام» قريب من معنى اسمه القدوس، فإن معناه السلامة من كل شائبة نقص، فيتناول سلامته - سبحانه - من الشريك والند والكفاء والسمي والظهير والولي والشفيع والشبيه والنظير إلى آخر ما ذكرناه آنفا عند شرح «القدوس» والسلام على هذا التفسير يكون صفة ذات.

وقيل معناه: الذي يسلم على عباده المؤمنين في الجنة كما قال سبحانه: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٤]، وكما قال: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

وقيل معناه: الذي يسلم عباده المؤمنين من المعاطب، ويحفظهم مما يسوءهم.

(١) رواه مسلم (٥٩١)، (٥٩٢).

(٢) رواه مسلم (٤٠٢).

وقيل معناه: الذي يسلم من حيفه وظلمه.

والسلام على هذه التفسيرات - كلها - يكون صفة فعل.

(المؤمن): اسم فاعل من قولهم: آمنه يؤمنه بمعنى أزال مخاوفه، ومنه آمن به بمعنى صدق لأن من صدقته فقد أمنتته التكذيب والمخالفة. وإذا عدي الفعل آمن بالباء كان معناه التصديق بالخبر نفسه، كقوله تعالى: ﴿أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وإذا عدي باللام كان المراد به تصديق المخبر كقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]، وقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧].

ويجوز إطلاق هذا الاسم على الله - عز وجل - بالمعنيين جميعاً إفادة الأمن أو التصديق، فبالمعنى الأول: ما رواه الضحاك عن ابن عباس أنه هو الذي آمن خلقه أن يظلمهم. وبالمعنى الثاني ما رواه قتادة أنه هو الذي آمن بقوله: أنه حق، أو الذي يصدق عباده المؤمنين إيمانهم به . أو الذي يصدق رسله بالمعجزات الشاهدة بصدقهم فيما يبلغونه عنه.

قال أبو حامد في (المقصد الأسنى): المؤمن هو الذي يعزى إليه الأمن والأمان بإفادته أسبابه، وسده طرق المخاوف، ولا يتصور أمن إلا في محل المخاوف، ولا خوف إلا عند إمكان العدم والنقص والهلاك.

والمؤمن المطلق هو الذي لا يتصور أمن وأمان إلا ويكون مستفادًا من جهته وهو الله تعالى.

والعبد ضعيف في أصل فطرته وهو عرضة للأمراض والجوع والعطش من باطنه، وعرضة للآفات المحرقة والمغركة والجارحة والكاسرة من ظاهره. ولم يؤمنه من هذه المخاوف إلا الذي أعد الأدوية دافعة لأمراضه، والأطعمة مزيلة لجوعه، والأشربة مميطة لعطشه، والأعضاء دافعة عن بدنه، والحواس جواسيس منذرة بما يقرب من مهلكاته، ثم خوفه الأعظم من هلاك الآخرة، ولا يحصنه عنه إلا كلمة التوحيد، والله تعالى هاديه إليها ومرغبه فيها.

والمؤمن من الأسماء المشتركة بين الله عز وجل وبين خلقه. قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [غافر: ٢٨]، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ﴾ [التين: ٢٠].

وهو يطلق على المخلوق بكل من المعنيين أيضًا. فهو مؤمن بصدق ما يجب التصديق به من أخبار الله ورسوله، ويقابله الكافر. وهو مؤمن بمعنى مزيل لأسباب الخوف المتوقعة من جانبه؛ فالناس يأمنون بوائقه، وقد يؤمنهم أيضًا مما يتوقعون من ظلم غيره وبطشه إن كان ذا عدل وسلطان.

وأحق العباد باسم المؤمن من كان سببًا لأمن الخلق من عذاب الله بالهداية إلى طريق الله، والإرشاد إلى سبيل النجاة، وهذه وظيفة الأنبياء والعلماء.

(المهيمن): قال ابن عباس وغير واحد من السلف أي: الشاهد على خلقه بأعمالهم بمعنى: أنه رقيب عليهم فهو كقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [السجادة: ٦٠]، وقوله: ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٤٦].

والحق أن معنى (المهيمن) أوسع من معنى (الشاهد) فهو القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم، باطلاعه واستيلائه وحفظه؛ لأنه لا يقال مهمين إلا لمن كان مشرفاً على الأمر، مستولياً عليه، حافظاً له، فالإشراف يرجع إلى كمال العلم، والاستيلاء على المال والقدرة، والحفظ إلى كمال التدبير والرعاية.

وهذه المعاني الثلاثة لا تجتمع لأحد على الإطلاق، وما الكمال إلا لله تعالى وحده.

وأما إخباره تعالى عن القرآن بأنه مهيمن على ما سبقه من الكتب، فمعناه كما قال ابن عباس وغيره أنه أمين وحاكم عليها؛ فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه منها باطل. والله تعالى أعلم.

(العزیز): أي الموصوف بالعزة، وهي الغلبة والقهر للغير، والامتناع ممن يريد به.

قال ابن كثير: أي الذي قد عز كل شيء فقهره، وغلب الأشياء فلا

ينال جنابه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه^(١).

وأقسم سبحانه بها كما في حديث الشفاعة: (وعزتي وكبريائي وعظمتي لأفرجن منها من قال لا اله الا الله)^(٢).

وأخبر القرآن عن إبليس أنه قال متوعدًا بني آدم: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۖ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣].

وفي صحيح البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه: (يلا أيوب عليه السلام يفتسله عرياناً فله عليه جدار من ذهب فعمله يحيط فيه ثوبه . فناداه به: يا أيوب ألم أكنز أغنيته عما رزق؟ قال: بل هو وعزته ولكن لا غنى عنه بركتاه)^(٣).

وفي حديث الدعاء الذي علمه النبي ﷺ لمن كان به وجع: (اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر)^(٤).

والعزة تأتي بمعنى الغلبة والقهر، من عز يُعز بضم العين في المضارع، يقال: عزه إذا غلبه. وتأتي بمعنى القوة والصلابة، من عز يعز

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٣٦).

(٢) رواه البخاري (٧٠٧٢).

(٣) رواه البخاري (٢٧٥، ٣٢١١، ٧٠٥٥).

(٤) رواه مسلم (٢٢٠٢).

بفتحها، ومنه قولهم: أرض عزاز، وتأتي بمعنى النفاسة والقدرة وعلو القدر من عز يعز بكسرهما. وهذه المعاني كلها للعزة، ثابتة لله عز وجل . قال أبو حامد الغزالي: «العزیز»: هو الخطير الذي يقل وجود مثله وتشتد الحاجة إليه، ويصعب الوصول إليه . فما لم تجتمع له هذه المعاني الثلاثة لم يطلق عليه اسم العزيز . فكم من شيء يقل وكم من شيء يعظم خطره، ويكثر نفعه، ولا يوجد نظيره، ولا يصعب الوصول إليه لم يسم عزيزاً، كالشمس مثلاً، فإنها لا نظير لها، والأرض كذلك، والنفع عظيم في كل واحد منهما، والحاجة شديدة إليهما، ولكن لا يوصفان بالعزة؛ لأنه لا يصعب الوصول إلى مشاهدتها، فلا بد من اجتماع المعاني الثلاثة»^(١).

(الجبّار) صيغة مبالغة من الجبر، وهو يطلق بمعنيين الإرغام والقهر ونفوذ المشيئة، وعلى هذا يكون معنى الجبار الذي يجبر خلقه على ما يشاء بحيث لا يستطيع أحد منهم أن يخرج عن قبضته وقهره، فما شاء كان، وإن لم يشأ لم يكن وإن شاءوا.

وثانيهما: إصلاح الخلل ورأب الصدع، من قولهم: جبر الله كسرک، ومنه سميت (الجبيرة) التي تشد على العضو المكسور، وعلى هذا يكون

(١) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص ٧٣ .

معنى الجبار المصلح أمور خلقه، المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم.

(المتكبر) قيل: معناه المترفع عن السوء والنقص، وقيل: المتعظيم الذي يرى الكل حقيرًا بالإضافة إلى ذاته . ولا يرى العظمة والكبرياء إلا لنفسه، كما جاء في الحديث الصحيح: (العظمة لازري والكبرياء رداي، فمن نازعني واصلها عنبره)^(١) ولهذا ورد أن الكبر شعبة من الشرك.

ولا متكبر بحق إلا الله - عز وجل - لأن رؤيته من دونه حقيرًا بالإضافة إليه رؤية صادقة مطابقة للواقع.

وأما غيره فلا حق له في التكبر لأن زعمه العظمة والكبرياء لنفسه دون غيره، زعم باطل . ولهذا وردت الآيات الكثيرة في ذم المتكبرين.

(الخالق البارئ المصور) قال ابن كثير: (الخلق التقدير، والبرء هو الفري، وهو التنفيذ، وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود . وليس كل من قدر شيئًا ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده، سوى الله - عز وجل - .

قال الشاعر يمدح آخر:

ولأنت تفـري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

(١) أبو داود (٤٠٩٠)، وابن ماجه (٤١٧٥)، وأحمد (٢/٢٤٨، ٣٧٦، ٤٤٢).

ورواه مسلم بنحوه (٢٦٢٠).

أي أنت تنفذ ما خلقت أي قدرت بخلاف غيرك فإنه لا يستطيع ما يريد.
فالخلق التقدير، والفري التنفيذ .

ومنه يقال: «قدر الجلال ثم فرى» أي قطع ما قدره بحسب ما يريده.
وقوله تعالى: ﴿الْخَلْقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤] ، أي الذي إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون، على الصفة التي يريد والصفة التي يختار كقوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الأنعام: ٨].

ولهذا قال: المصور، أي الذي ينفذ ما يريد إيجاداً على الصفة التي يريدها^(١).

والحاصل أن هذه الأسماء الثلاثة ليست مترادفة على معنى واحد، بل لكل منها معنى يخصه، وهي متكاملة لا بد منها جميعاً على هذا الترتيب.

فالخلق أولاً لأنه تقدير الأشياء على إحكام واستواء، ثم البرء ثانياً لأنه الإبراز والإيجاد على وفق التقدير السابق، ثم التصوير ثالثاً لأنه اختراع صور الأشياء وترتيبها في الوجود على أحسن الوجوه.

ويضرب الغزالي لذلك مثلاً بالبناء فإنه يحتاج إلى مقدر ما لا بد منه من الخشب واللبن ومساحة الأرض وعدد الأبنية وطولها وعرضها، وهذا يتولاه المهندس، في رسمه ويصوره، ثم يحتاج إلى بناء يتولى الأعمال

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٤٤).

التي عندها تحدث حصول الأبنية، ثم يحتاج إلى مزين ينقش ظاهره،
ويزين صورته، ويتولاه غير البناء . فهذه هي العادة في التقدير والبناء
والتصوير، أن تقوم بها عدة أشخاص . وليس كذلك أفعال الله - عز
وجل - بل هو وحده المقدر والموجد والمزين، فهو الخالق البارئ
المصور، والله أعلم^(١).

(الغفار) صيغة مبالغة من الغفر بمعنى الستر . ومنه سمي المغفر
الذي يلبس في الرأس عند الحرب لأنه يسترها من الضرب . فمعنى
الغفار الكثير المغفرة لذنوب عباده وسيئاتهم كما قال تعالى ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ
لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٩].

وكما قال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن
رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وهذه المغفرة تتسع لما شاء من الذنوب إلا الشرك بالله
- عز وجل - فهو الذنب الذي لا يغفر، والكسر الذي لا يجبر .

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن
يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وفي الحديث القدسي: (يا عبادي إنكم تخطئون بالليل

(١) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص ٧٥ .

والنهار، وأنا اغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني اغفر لكم^(١).

وفي الحديث الآخر: (يا ابن آدم الله لو اتيتني بقراب الأرض خطايا لم لقيتني لا تشغلني بي سبنا غفرت ما كان منك ولا أبالي)^(٢).

ولكن سعة هذه المغفرة يجب أن لا تجرئ العبد على معصية الله - عز وجل - بل يجب أن يكون على حذر، وأن لا يأمن مكر الله، فإنه لا يدري إن كان ممن سيدخل بحبوحه المغفرة أو مضيق المؤاخذه. فعليه أن يكثر من الاستغفار، ويقدم التوبة النصوح التي لا يبقى معها في القلب عزم على العودة إلى الذنب أو الإصرار عليه، بل يكثر الندم والبكاء كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحرير: ٨].

والاستغفار الذي هو طلب المغفرة من أفضل الذكر، فهو اعتراف من العبد على نفسه بالتقصير والعجز المستوجب للمؤاخذه، واعتراف منه بأنه كذلك لا يغفر الذنب إلا الله، ففيه إظهار لمنتهى الذل والعبودية مع الإقرار لله بعزة الإلهية. ولهذا ورد في فضل الاستغفار كثير من الآيات والأحاديث.

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) الترمذي (٣٥٤٠) عن أنس. ومسلم بنحوه (٢٦٨٧) عن أبي ذر رضي الله عنه.

وقد ورد أنه يجلو صدأ القلب كما يجلو الكير صدأ الحديد^(١).

وفي الحديث الصحيح سيد الاستغفار أن يقول العبد: (اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)^(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نعد لرسول الله ﷺ أكثر من مائة مرة في المجلس الواحد يقول: (اللهم اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور)^(٣).

(القهار): صيغة مبالغة من القهر وهو الإرغام والإذلال بحيث لا يبقى للمقهور مكنة للتخلص من آثاره، فهو سبحانه وتعالى القاهر فوق عباده، يجبرهم على ما أراد، ويجري عليهم أحكامه القدريّة وسنته الكونية في الإحياء والإماتة، والبسط والقبض، والصحة والمرض، واللذة والألم، والقدرة والعجز، والعزة والذل، والإعطاء والمنع، وغير ذلك مما لا يستطيعون منه فكأكًا، ولا له تبديلاً، فلا موجود إلا وهو مسخر تحت قهره وقدرته عاجز في قبضته.

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٦٨٩٤)، وفي الصغير (٥٠٩)، وفي الدعاء (١٧٩١).

قال في المجمع (٢٠٧/١٠): فيه الوليد بن سلمة الطبراني، وهو كذاب.

(٢) رواه البخاري (٦٣٢٣).

(٣) مسند أحمد (٢/٢٨٤)، وأبو داود (١٥٠٢)، والترمذي (٣٤٣٤)، وابن ماجه

وهو سبحانه يقصم ظهور الجبابرة من أعدائه، فيديل لأوليائه منهم، وينصرهم عليهم، ويأخذهم في الدنيا بالمثلثات وعذاب الخزي وفي الآخرة يضطرهم إلى عذاب النار وبئس المصير.

وقد ورد هذا الاسم الجليل في القرآن دائماً مقروناً بكلمة التوحيد إشارة إلى أنه القاهر لعباده وحده، لا قاهر لهم سواه . قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام في حديثه مع صاحبي السجن: ﴿يَصْحَبِي السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهِ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقِيمَةُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٠﴾

[يوسف: ٦٠-٦١]

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَنْ إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ [ص: ٦٦-٦٧].

وقال تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].

(الوهاب): الهبة العطية الخالية عن العوض . فمن كثرت عطاياه بهذه الصفة يسمى جواداً وهاباً . ولن يتصور الجود والعطاء والهبة الحقيقية إلا من الله تعالى، فهو الذي يعطي كل محتاج إليه لا لعوض، وهو مفيض الوجود على كل موجود، وكل ما بالعباد من نعمة فهي من

فيض جوده قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُخْلِقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ۚ أَوْ يَزُوجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠].

وقال تعالى على لسان الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

وقال سبحانه على لسان سليمان بن داود عليهما السلام: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

وفي الحديث الصحيح: (إن يمين الله ملائ لا تقضيها نفقة الليل والنهار لم تروا إلى ما انفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يفيض مما في يده) ^(١).

وفي الحديث القدسي: (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته، ما نقص ذلك من ملكي إلا كما ينقص المحيط إذا دخل البحر) ^(٢).

والهبة تشمل النعم المادية المحسوسة من الأموال والبنين والحروث والأنعام وأنواع الرزق التي يتفضل الله بها على عباده، وتشمل الهبات

(١) رواه البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٣٧) تحت (٩٩٣).

(٢) رواه مسلم (٢٥٧٧).

الروحانية، وهو ما يجعله الله في القلوب من الرحمة والمحبة والإخلاص والتقوى، وما يفتحه على عبده من الفهوم والمعارف التي يتخلص بها من ظلمات الجهل والضلال. فنسأل الله أن يهب لنا من رحمته ما يرينا الحق حقاً فننتبهه، والباطل باطلاً فنتجنبه إنه ولي المتقين.

(الرزاق): وهو اسم فاعل يدل على الكثرة فهو أبلغ من رازق مأخوذ من الرزق بفتح الراء الذى هو المصدر وأما الرزق بكسرها فهو اسم لنفس الشيء الذى يرزقه لعباده الذى يرزق الله به العبد . فمعنى الرزاق الكثير الرزق لعباده الذى لا تنقطع عنهم إمداده وفواضله طرفة عين كما قال ﷺ : (إن يمين الله ملائى لا تفيضها نفقة، سماء الليل والنهار، الم تروا إلى ما أنفق منذ خالق السماوات والأرض فإنه لم يفيض مما بيده) ^(١) .

أو كما قال.

والرزق كالخلق صفة الفعل المتعدية التي تقتضي رازقاً، وهو شأن من شئون ربوبيته - عز وجل - التي تتناول أنواع التدبير المختلفة، من إحياء وإماته، وقبض وبسط ونحو ذلك .

والحق في صفات الأفعال هي أنها تقوم بذاته سبحانه، لأنها صفات تأثير، والتأثير معنى يقوم بالموثر . ولكنها ليست لازمة للذات أزلاً وأبداً، بل متعلقة بمشيئته وقدرته ما شاء متى شاء وكيف يشاء، وهو

(١) رواه البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٣٧ تحت ٩٩٣).

يرزق كذلك عباده بما يشاء من أرزاق متى شاء وكيف شاء .

وإذا أردت أن تصور لنفسك سعة رزق ربك ومبلغ فيضة وإحسانه، على قدر ما يطيقه عقلك الضئيل، ويسعه علمك القاصر، فتأمل كم من المخلوقات تعيش في البر من إنس وجن وحيوان وحشرات ووحش وطيور؟ وكم من الأسماك والحيتان يحويها البحر؟ ثم تأمل كيف سواها ربنا - جل وعلا - وأعطى كل نوع منها الصورة التي هو عليها، ثم جعل لكل نوع منها ما يصلحه ويناسبه من غذاء، ثم هداه إلى طلبه، وأعطى كلاً منها من الآلات والوسائل ما يمكنه من تحصيل قوته وجلب غذائه .

ثم قدر في نفسك كم من ملايين الأطنان من الغذاء تحتاج هذه المخلوقات في كل وجبة طعام؟ إنه ولا ريب أمر يضل فيه الفكر، ولا يملك إلا الإذعان والتسليم بقدرة اللطيف الخبير، الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً، والذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

ومن آثار فضله ورحمته أن تكفل بتوصيل الرزق إلى ما يعجز عن تحصيل رزقه بنفسه لضعف آله وقلة حيلته، فرزق الأجنة في بطون أمهاتها بأن أجرى لها من دم الأمهات غذاءها، ثم ألهمها بعد الولادة أن تمص أثداءها فيجري لها من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين .

وإذا كان الرزق شأناً من شئون الربوبية ومظهرًا من مظاهرها، فلا يصح أن ينسب إلى غير الله عز وجل، فلا يسمى غيره رازقاً كما لا يسمى خالقاً . قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمْيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ

شُرَكَاءِكُمْ مَّنْ يَّفْعَلُ مِنْ ذَٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ [الروم: ٤٠].

وقد عاب الله على المشركين عبادتهم ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا ولا يستطيعون .

قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام: ١٤].

وقال: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجَ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجَ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرِ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿١٩﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الحجر: ١٩-٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا كُفَّ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٢٢﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَسْتُمْ لَهَا عَمَّا كُنْتُمْ تَقْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النحل: ٥٣-٥٦].

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ أَلَيْسَ لَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل: ٦٤].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النكيت: ١٧] .

ويطول بنا القول لو أردنا استقصاء ما في الكتاب العزيز من آيات تدل على انفراده سبحانه برزق خلقه ولكننا نختم ذلك بهذه الآيات الجامعة من قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٢١﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرِّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨] .

وقد جاء الحديث القدسي الصحيح، قوله تعالى: (يا عبادي كلّم ضال إلا من هديته فاستهتروني اهتكم، يا عبادي كلّم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني اطعمكم، يا عبادي كلّم عار إلا من كسوته فاستكسوني اكسكم)^(١) .

وإذا كان الله - سبحانه وتعالى - قد أجرى عادته أن يرزق العباد بعضهم من بعض، وأن يقسم بين الناس معيشتهم في الحياة الدنيا ويرفع بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً، فلا ينبغي أن نتوهم من هذا أن أحداً من العباد يرزق أحداً، بل الأرزاق كلها بيد الله وحده، فهو خالق الأرزاق والمرتزقة، وموصلها إليهم، وخالق أسباب التمتع بها، فالواجب نسبتها إليه وحده وشكره عليها، فهو مولياها

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧) .

وواهبها . كما كان ﷺ يقول إذا أصبح الصبح وإذا أمسى : (اللهم ما أصح بي من نعمة أو بأحد من خلقك، فمنك وعبدك، فلك الحمد ولك الشكر) ^(١) .

وفي الحديث القدسي يقول الله عز وجل : (إني والإنس والجن في نبأ عظيم، أخاف ويعد غيري، وارزق ويشكر سواي) ^(٢) .

واعلم أن: الرزق اسم عام لكل ما ينتفع به العباد من أرزاق مادية تحتاج إليها الأبدان في نموها وحفظها: من الأطعمة والأقوات الحيوانية والنباتية وأنواع الأشربة . كذلك من ماء ولبن وعسل، وأنواع الملابس والأغطية والأثاث التي تتخذ من الأصواف والأوبار والجلود والقطن والكتان والحرير .

وقد استطاع الإنسان في هذا العصر أن يرتقي كثيرًا في هذه الناحية المادية، وأن يستخرج كثيرًا من منافع الأشياء وخواصها، وأن يصنع من الآلات ما يسر له سبيل العيش على الأرض، ووفر له كثيرًا من مطالبه وحاجاته.

وأرزاق أخرى معنوية: وهي ما ينزله سبحانه من الشرائع والكتب على رسله من البشر لهداية الخلق، وإرشادهم إلى ما فيه صلاحهم وخيرهم، وتكميل فطرهم بالعلوم النافعة والمعارف الصحيحة، وما ينزله

(١) أبو داود (٥٠٧٣)، والنسائي في الكبرى (٩٨٣٥)، وابن حبان (٨٦١).

(٢) الطبراني في مسند الشاميين (٩٧٥)، والبيهقي في الشعب (٤٥٦٣)، وابن

عساكر (٧٧/١٧)، والفردوس (٤٤٣٩).

كذلك على قلوب أوليائه من السكينة، وما يفتح عليهم من أبواب المعرفة به سبحانه، وبأنواع الحقائق التي تزيل عنهم غشاوة الجهل، وتبدد عنهم غياهب الخرافة والوهم.

ولا شك أن هذا كما يقول الغزالي^(١): أشرف الرزقين؛ فإن ثمرته حياة الأبد، وثمره الرزق الظاهر قوة الجسد إلى مدة قريبة الأمد . والله المتولي الخلق بالرزقين، والمتفضل بالإيصال إلى كلا الفريقين، ولكنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بعباده لخبير بصير.

(الفتاح): ومن أسمائه الحسنی سبحانه «الفتاح» وقد ورد في القرآن مرة بلفظه في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبا: ٢٦].

ومرة بصيغة التفضيل في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

والفتح في كلتا الآيتين بمعنى الحكم، وهو أحد المعاني التي تستعمل فيها هذه المادة.

قال صاحب «النهاية»: (في أسماء الله تعالى «الفتاح» هو الذي يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده، وقيل معناه الحاكم بينهم . يقال: فتح

(١) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنی ص ٨٤ .

الحاكم بين الخصمين إذا فصل بينهما، والفتاح الحاكم، والفتاح من أبنية المبالغة^(١).

ويقول الإمام ابن قيم الجوزية في قصيدته «النونية»^(٢):

وكذلك الفتاح من أسمائه والفتح في أوصافه أمان
فتح بحكم وهو شرع إلها والفتح بالأقدار فتح ثان
والرب فتاح بدين كليهما عدلاً وإحساناً من الرحمن

ومعنى هذه الأبيات أن الفتاح الذي هو صفة الرب - جل شأنه - أحدهما: فتحه بحكمة الديني، وهو هدايته لعباده، وشرعه لهم على السنة رسله جميع ما يحتاجون إليه من العقائد الصحيحة، والشرائع المستقيمة، والأخلاق الكريمة، ويدخل في هذا فتحه الجزائي بين الرسل والمكذبين لهم حيث ينجي الرسل وأتباعهم ويهلك ويخزي أعداءهم. وكذلك فتحه يوم القيامة وحكمه بين الخلائق حين يوفى كل عامل جزاء عمله.

والثاني: فتحه بحكمه القدري، وهو ما يجري على عباده مما سبق به قدره من الخير والشر، ومن النفع والضرر، وأنواع الابتلاء كما قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ

(١) انظر: شرح القصيدة النونية (٢/ ٢٣٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٠٧).

بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩٠﴾ [فاطر: ٩٠].

فهو سبحانه الفتاح العليم الذي يفتح لعباده الطائعين خزائن جوده وكرمه، ويفتح على أعدائه أبواب نقمته وسخطه، وذلك كله بفضلِهِ وعدله.

(العليم): ومن أسمائه الحسنَى «العليم» وعلمه سبحانه محيط بالأشياء كلها، ظاهرها وباطنها، دقيقها وجليلها، أولها وآخرها، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض.

وليس علمه - سبحانه - قاصراً على ما وجد أو ما يقدر وجوده من الممكنات بل يعلم جميع الواجبات والممتنعات والممكنات، ما وجد منها في الماضي وما سيوجد في المستقبل، وما لم يقدر وجوده لعدم تعلق مشيئة الله به .

أما الواجبات فإنه سبحانه يعلم ذاته الكريمة وبقوته المقدسة التي لا يجوز انتفاؤها بحال، بل يجب وجودها فلا يحصى أحد من خلقه ثناء عليه كما أثنى هو على نفسه.

وأما الممتنعات فإنه يعلمها حال امتناعها، ويعلم ما يترتب على وجودها فرضاً . كما أخبر سبحانه وتعالى عن الآثار المترتبة على وجود آلهة معه في قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢٢].

فهذا فساد لم يقع لأنه ترتب على شيء ممتنع، وهو وجود إله مع الله، ولكن الله يعلم أن لو وقع هذا الممتنع فرضاً لوقع هذا الفساد.

ومثل ذلك قوله سبحانه: ﴿مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمن: ٩١].

فذهاب كل إله بخلقه وعلو بعضهم على بعض كان يترتب على وجود آلهة معه بحيث لو حصل هذا فرضاً لحصل ذاك، وعلمه سبحانه محيط بهذا وذاك.

وأما الممكنات وهي التي يجوز في العقل وجودها وعدمها فهو يعلم كما قلنا ما وجد منها وما لم يوجد مما لم تقتض الحكمة إيجاده. وعلمه محيط بجميع العالم العلوي والسفلي لا يخلو عن علمه مكان ولا زمان. فهو يعلم - كما قدمنا - الغيب والشهادة والظاهر والباطن والجلي والخفي، ولا يطرأ على علمه - سبحانه - ما ينافيه من غفلة أو ذهول أو ضلال أو نسيان، كما قال تعالى على لسان كليمه موسى: ﴿عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢].

وكما أن علمه محيط بجميع ما في العالم علويه وسفليه من المخلوقات بذواتها وأوصافها وجميع أمورها فهو يعلم - أيضاً - ما كان منها في الماضي وما يكون في المستقبل الذي لا نهاية له، ويعلم ما لم يكن منها لو كان كيف يكون. ويعلم أحوال المكلفين منذ أنشأهم

وبعد ما يميتهم، قد أحاط علمه بأحوالهم كلها خيرها وشرها، وجزاء تلك الأعمال، وتفاصيل تلك الأجزاء في دار القرار.

والدليل العقلي على علمه تعالى أمور:

أولاً: أنه يستحيل إيجاد الأشياء مع الجهل بها؛ لأن إيجاد الأشياء بإرادته، والإرادة تستلزم العلم بالمراد كما قال سبحانه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

ثانياً: ما في المخلوقات من الإحكام والإتقان وعجيب الصنعة ودقيق الخلقة، يشهد بعلم الفاعل لها لا امتناع صدور ذلك عن غير ذي علم.

ثالثاً: في المخلوقات من هو عالم، والعلم صفة كمال، فلو لم يكن - سبحانه - عالماً لكان في مخلوقاته من هو أكمل منه.

رابعاً: كل علم في المخلوق إنما استفاده من خالقه، وواهب الكمال أحق به، وفاقد الشيء لا يعطيه. فسبحان من أحاط بكل شيء علماً، وقهر كل مخلوق عزة وحكماً.

ومن أسمائه الحسنی سبحانه ما لا يذكر وحده منفرداً عن قرينه، بل لا يذكر إلا مقترناً به. وذلك مثل القابض والباسط، والخافض والرافع، والمعز والمذل، والضرار والنافع، والمعطي المانع إلخ

وذلك لأن الكمال لا يحصل إلا باجتماعهما، فإذا أفرد أحدهما عن مقابله فات هذا الكمال. وهذه كلها صفات أفعال متعدية إلى الخلق

تتعلق بها مشيئة الله وقدرته على وفق علمه وحكمته .

ولهذا يعبر عنها كثيراً في القرآن بصيغة الفعل كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وكقوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

أما القبض والبسط فيتعلقان بكل ما من شأنه أن يقبض أو يبسط، وذلك مثل الأرزاق، فهو سبحانه يفيض الرزق ويقدره على من يشاء من خلقه، ويبسطه ويوسعها على من يشاء كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبا: ٣٦].

وكقوله: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى: ١٢].

وكقوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧].

ومنها قبضه - سبحانه - لأرواح العباد عند الموت، وبسطه لها في الأجساد عند الحياة، فهو القابض والباسط لذلك على الحقيقة، وإن كان قد وكل ملائكة بإخراج الأرواح وتوفيها كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّنُكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]، وقوله: ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧].

ومنها قبضه الرحمة وإمساكها عمن يشاء، وبسطها وفتحها على من يشاء، كما قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٦٥] .

ومنها قبضه لقلوب أعدائه من الكفار والمجرمين فيضييقها حتى لا تتسع لقبول شيء من الخير والهدى، وبسطه لقلوب أحبابه وأوليائه بما يودعها من معاني صفاته وأسمائه، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] .

وأما الخفض والرفع فهما - كذلك - يتعلقان بكل ما من شأنه أن يخفض أو يرفع، فهو - سبحانه - يخفض أعداءه من الكفار والمجرمين بالإذلال والإهانة والإشقاء والإبعاد، ويرفع أوليائه من المؤمنين المتقين بالتكريم والإعزاز والتقريب والإسعاد .

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَقَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَانْقَسَحُوا يُفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ؕ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١] .

فهو سبحانه بيده الملك يخفض ويرفع، فلا رافع لمن خفضه الله، ولا خافض لمن رفعه .

وهو المعز لأهل طاعته بالعز الحقيقي الذي لا يشوبه ذل، فإن المطيع لله عزيز وإن كان فقيرًا محرومًا ليس له أنصار ولا أعوان .

وهو المذل لأهل معصيته وأعدائه ذلاً في الدنيا والآخرة، فإن العاصي وإن ظهر بمظاهر العز فقلبه حشوه الذل وإن لم يشعر به لانغماسه في الشهوات . فالعز كل العز في طاعة الله - عز وجل - والذل كل الذل في معصيته . قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المناقون: ٨٠].

وهو سبحانه المانع المعطي، فلا معطي لما منع، ولا مانع لما أعطى.

ويجب أن يعلم أن هذه الأمور كلها تابعة لعدله وحكمته وحمده، فإن له سبحانه الحكمة البالغة في خفض من يخفضه ويذله ويحرمه، ولا حجة لأحد على الله، كما أن له الفضل المحض على من رفعه وأعطاه وبسط له في الخير، فعلى العبد أن يعترف بحكمة الله، كما عليه أن يعترف بفضله وبشكره بلسانه وجنانه وأركانه.

وكما أنه - سبحانه - هو المنفرد بهذه الأمور كلها، وكلها جارية تحت أقداره فإن الله جعل لرفعه وإعطائه وإكرامه أسباباً، وجعل لضده ذلك من الخفض والإهانة والمنع أسباباً من قام بها ترتبت عليها مسبباتها . وكل ميسر لما خلق له.

أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة.

وهذا يوجب على العبد القيام بتوحيد الله تعالى، والاعتماد عليه في تحصيل ما يجب، مع الاجتهاد في فعل الأسباب النافعة، فإنها محل

حكمة الله تعالى . والله أعلم.

من أسمائه الحسنی سبحانه (السمیع و البصیر) وكثيراً ما يرد هذان الاسمان الكريمان مقترنين في القرآن العظيم كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

وكقوله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

وكقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

والحكمة في مجيئهما هكذا مقترنين غالباً، أن كلا منهما دال على صفة من صفات الإدراك، فالسميع دال على صفة السمع التي تدرك بها المسموعات من الأصوات والكلمات، والبصير دال على صفة البصر التي تدرك بها المرئيات من الأشخاص والألوان.

والسميع مبالغة من اسم الفاعل الذي هو سامع، فمعناه الذي لا يعزب عن إدراكه مسموع مهما دق وخفي، بل يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا

هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ نَبِّئْهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ [المجادلة: ٧].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع قومًا يرفعون أصواتهم بالتكبير فقال: (أيها الناس اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعوا أصمًا ولا غائبًا، ولكن سميقًا بصيرًا) ^(١).

وسمعه تعالى نوعان: أحدهما: سمع عام يتعلق بكل مسموع من الأصوات والأقوال لا يخفى عليه شيء منها؛ سواء كان محبوبًا له أم مكروهًا، مرضيًا عنده أو مسخوطًا.

والثاني: سمع خاص يتعلق بالإجابة لدعاء الداعين، وشكاية المضطرين، وضراعة المبتهلين. ومن هذا النوع قوله تعالى على لسان أم مريم عليهما السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ [ال عمران: ٣٥].

وقوله على لسان خليله إبراهيم عليه وعلى سائر الرسل أتم الصلاة وأزكى التسليم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم: ٣٩].

فالسمع هنا في كلتا الآيتين إنما هو سمع القبول والإجابة للدعاء .
ومنه أيضًا قول المصلي حين يرفع من ركوعه: «سمع الله لمن حمده»

(١) رواه البخاري (٢٨٣٠)، ومسلم (٢٧٠٤).

استجاب له وقبل حمده.

والله سبحانه يصغي إلى بعض الأصوات ويحب سماعها، فقد جاء في الحديث الصحيح: (ما أذن الله لشيء، كإذنه لنبي حسن الصوت بالقرآن يتغنّى به) (١).

ومعنى أذن: أصغى واستمع.

وينبغي أن يعلم أن سمعه تعالى للأصوات إنما هو بصفة قائمة به، بها يدرك الأصوات والكلمات، ويميز بينها، لا أنه يسمع بذاته كما تزعم المعتزلة وغيرهم من نفاة الصفات.

وروى البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات» عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، فوضع إبهامه على أذنه، والتي تليها على عينه (٢).

والقصد من ذلك واضح لا خفاء فيه، وهو تنبيهنا على أنه سبحانه يسمع بسمع، ويرى بعين، كما نسمع بأذاننا ونرى بأعيننا لكن السمع ليس كالسمع ولا العين كالعين إذ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

(١) رواه البخاري (٧٥٤٤)، ومسلم (٧٩٢).

(٢) الأسماء والصفات (٣٩٠).

وسمعه تعالى يتعلق بصوت نفسه الذي هو غير مخلوق كما يتعلق بأصوات المخلوقين، فهو إذا قرأ بصوت نفسه سمعه من نفسه كما يسمع غيره من كلامه، وإذا قرأه العباد بأصواتهم سمعه منهم كما يسمع غيره من كلامهم.

وأما البصير فهو فعيل، بمعنى مبصر. ومعناه الذي يشاهد كل شيء من المرئيات ويراه، فلا يعزب عنه ما تحت الثرى، ولا يحجب رؤيته جدار ولا أستار، ولا ينفع معها تخف ولا استتار. قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠].

يعني أنه يستوي عند سمعه إسراركم بالقول وجهركم به، ويستوي عند بصره استخفاؤكم في ظلمة الليل وسروبكم أي ظهوركم بالنهار.

وقال تعالى مخاطبًا الكفار الذين كانوا يستترون بأعمالهم ظنًا منهم أن الله لا يراهم: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢، ٢٣].

واعلم أن كلا من السمع والبصر وإن كان أزليا بمعنى القدرة عليه، لكنه بالفعل حادث يتجدد في ذاته سبحانه بحسب تجدد المسموعات والمبصرات، فهو إذا خلق المخلوقات رآها، ويسمع أصوات عباده حين يتكلمون بها، قال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ

أَغْنِيَاءُ ﴿١٨١﴾ [آل عمران: ١٨١].

وقال: ﴿أَمْ يَحْسُبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ ﴿١٨٠﴾ [الزخرف: ٨٠].

وقال: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿١﴾ [البجادلة: ١].

وقال في شأن الرؤية: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ ﴿١٤٤﴾ [البقرة: ١٤٤].
وقال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٠٥﴾ [التوبة: ١٠٥].

وقال جل شأنه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿٢١٧﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢١٩].
وَقَلْبُكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢١٨﴾

ومن الجهل الفاضح ما يزعمه أرباب الكلام من أن السمع والبصر قد تعلقا في الأزل بكل مسموع ومبصر، إذ كيف يرى الأشياء قبل أن يخلقها؟ أم كيف يسمع الأصوات التي لم توجد بعد؟ بل الحق أنه كلما خلق شيئا رآه، وكلما حدث صوت سمعه.

وأشد من ذلك جهلاً وأعظم شناعة قولهم: إن كلا من السمع والبصر متعلق بكل موجود، فكيف يتعلق السمع بما ليس من شأنه أن يُسمع من الأشخاص والألوان، وكيف يتعلق البصر بما ليس من شأنه أن يُرى من الألفاظ والأصوات.

فانظر إلى هذا الخلط العجيب بين الصفتين وتعدية كلا منهما إلى وظيفة أخرى، كأنهم ظنوا أن قصر السمع على المسموعات والبصر على المبصرات نقص ينافي الكمال، وهذا خيال ما بعده خيال؛ فإن كمال الصفة إنما هو في إحاطتها بمدركاتها الخاصة بها بحيث لا يفوتها شيء منها، وليس كمالها في أن تدرك ما لا يدرك إلا بصفة أخرى، إذ لو كان الأمر كذلك لاستغنى بإحدهما عن الأخرى، ولم يكن هنا معنى لوجودهما معاً.

(الحكم): من أسمائه الحسنی (الحكم) وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، وهو أبلغ من الحاكم لأنه يدل على تعيينه للحكومة واختصاصه كما يدل على خبرته بوجود الحكم ورضى كل من الخصمين بتحكيمة.

قال الراغب ما تلخصه:

«والحكم بالشيء أن تقضي بأنه كذلك وليس بكذا، سواء ألزمت غيرك أو لم تلزمه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

وقال عز وجل: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥].

وقال عز وجل: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ

يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

ويقال: حاكم وحكام لمن يحكم بين الناس، قال الله تعالى:

﴿وَتَذْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ [البقرة: ١٨٨].

والحكم المتخصص بذلك فهو أبلغ، قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي

حَكْمًا﴾ [الأنعام: ١١٤].

وقال عز وجل: ﴿فَابْتَغُوا حَكْمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٣٥].

وإنما قال: حكماً تنبيهاً أن من شرط الحكمين أن يتوليا الحكم عليهم

ولهم وحسبما يستصوبانه من غير مراجعة إليهم في تفصيل ذلك»^(١).

وهذا النص من كلام الراغب يدل على أن الحكم هو الذى يحكم

بلا مراجعة في حكمه، ويكون حكمه ملزماً، يعني أنه حكم مشفوع

بالتنفيذ. ويدل عليه قوله ﷺ في دعائه: (اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن

امتك ناصيتي يمينك ماض في حكمك عدل في قضاؤك)^(٢).

فوصف حكمه سبحانه بالمضاء وهو النفوذ.

قال الإمام ابن القيم: «وفرق بين الحكم والقضاء، وجعل المضاء

للحكم، والعدل للقضاء؛ فإن حكمه سبحانه يتناول حكمه الديني

الشرعي وحكمه الكوني القدري، والنوعان نافذان في العبد، ماضيان فيه،

(١) المفردات ص ٢٤٨.

(٢) أحمد (١/ ٣٩١، ٤٥٢)، وأبو يعلى (٥٢٩٧)، وابن حبان (٩٧٢).

والنص المذكور ورد بالمعنى.

وهو مقهور تحت الحكمين، قد مضيا فيه ونفذا فيه شاء أم أبي . لكن الحكم الكوني لا يمكنه مخالفته، وأما الديني الشرعي فقد يخالفه»^(١) .

وحكمه الكوني سبحانه يتمثل في خلقه الأشياء على هذا النحو البديع المحكم، وفي إعطائه كل مخلوق صورته التي تؤهله للقيام بما نيظ من وظيفة، وهدايته إلى ذلك، كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه:٥٠] .

ويتمثل - أيضًا - في وجوه التدبير المختلفة التي تجري على نظام الأسباب والمسببات وما بينها من روابط وعلاقات ثابتة لا تتحول ولا تزول، كما قال جل شأنه: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم:٢٠] .

وقال جل في علاه: ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء:٧٧] .

وأما حكمه الديني الشرعي فيتمثل فيما شرعه من شرائع تكفل لهم انتظام حياتهم الدنيا؛ لما تتضمنه هذه الشرائع من قواعد العدل، ووضع حدود المعاملات، وتفصيل الحقوق والواجبات .

كما تكفل لهم سعادة الآخرة إن هم قاموا بها كما ينبغي؛ لأنها متضمنة لكل ما يحبه الله ويرضاه .

وأما حكمه الجزائي فيتمثل في الدنيا في نصره للرسول وأتباعهم وجعل العقوبة لهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ

(١) الفوائد: ص ٢٤ .

الْذُنْيَا ﴿٥١﴾ [غافر: ٥١].

وقال جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿٥٢﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الصافات: ١٧١، ١٧٢].

وفي خذلانه للطغاة والظالمين وإنزال العذاب بهم، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿٥٤﴾﴾ [هود: ١٠٩].

وقال جل شأنه: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٥﴾﴾ [الكهف: ٥٩].

وأما في الآخرة فيتمثل في حكمه بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون، وفي إعطائه كان عامل جزاء عمله بلا ظلم ولا تضييع، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٥٦﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٥٧﴾﴾ [الزلزلة: ٨، ٧]. ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٥٨﴾﴾ [الكهف: ٤٩]، ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٥٩﴾ وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَىٰ ﴿٦٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٦١﴾﴾ [النجم: ٢٩-٤١]، ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ يَخْلُقُ بَيْنَهُمْ قَالِدِينَ ؕ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٦٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الحج: ٥٦، ٥٧].

وبالجملة فحكمه - تعالى - متعلق بالمخلوقات والشرائع، وكلها في غاية الإحكام. فهو - سبحانه - الحكيم في أحكامه القدرية

وأحكامه الشرعية وأحكامه الجزائية.

والفرق بين أحكام القدر وأحكام الشرع: أن القدر متعلق بما كونه وقدره، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. وأحكام الشرع متعلقة بما شرعه، والعبد لا يخلو منهما أو من أحدهما، فمن فعل منهم ما يحبه الله ويرضاه، فقد اجتمع فيه الحكمان، ومن فعل ما يضاد ذلك فقد وجد فيه الحكم القدري، فإن فعله واقع بقضاء الله وقدره، ولم يوجد فيه الحكم الشرعي لكونه ترك ما يحبه الله ويرضاه. فالخير والشر والطاعات والمعاصي كلها متعلقة وتابعة للحكم القدري، وما يحبه الله منها هو تابع الحكم الشرعي ومتعلقه.

(العدل): ومن أسمائه الحسنى كذلك (العدل)، وهذا الاسم الكريم يجيء عقيب اسمه تعالى الحكم لأنه في الحقيقة وصف له، يقال: (فلان حكم عدل) ومعناه الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم. وهو في الأصل مصدر سمي به. فوضع موضع العادل وهو أبلغ منه لأنه جعل المسمى نفسه عدلاً.

فهو سبحانه العدل في وصفه، فإن العدل صفة ذاته من حيث أنه كمال يستحيل خلوه عنه، إذ لو خلا عنه لا تصف بضده، وهو الظلم، والظلم نقص ينتزه الله عنه. وهو سبحانه العدل في فعله فإن أفعاله كلها قائمة على العدل المطلق من حيث وضعه كل شيء في موضعه اللائق به.

ولهذا قال الغزالي: «إنه لا يعرف عدل الله تعالى من لم يعرف فعله، وأنه ينبغي لمن أراد أن يفهم هذا الوصف أن يحيط علماً بأفعال الله تعالى من أعلى ملكوت السماوات إلى منتهى الثرى»^(١).

وهو سبحانه العدل في قوله؛ فإن أقواله إما إخبار فهي في غاية الصدق وهو عدل . وإما أوامر ونواه وهي مشتملة على الحكمة والمصلحة والعدل، قال تعالى: ﴿وَمَتَّ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ [الأنعام: ١١٥].

(اللطيف الخبير): ومن أسمائه الحسنَى سبحانه (اللطيف، الخبير) وقد جاء هذان الاسمان الكريمان مقترنين كثيراً في القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج: ٦٣]، ﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الناس: ١٦]، ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا بُنِيَ فِي يَوْمِكُمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤].

(١) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنَى ص ٩٨ .

أما اللطيف فهو اسم من اللطف، يقال لطف به وله، بفتح الطاء، يلطف لطفاً إذا رفق به، وأما لطف بالضم فهو من اللطافة بمعنى الصغر والدقة.

واللطيف هو الذي اجتمع له الرفق في الفعل والعلم بدقائق المصالح وإيصالها إلى من قدرها له من خلقه، فلا يستحق هذا الاسم على وجه الكمال إلا من يعلم دقائق المصالح وغوامضها ثم يسلك في إيصالها إلى مستحقها سبيل الرفق دون العنف، ولا يتصور كمال ذلك في العلم والفعل جميعاً إلا في حقه سبحانه؛ فإن الغوامض والخفيات هي في علمه كالظواهر الجليات.

وكذلك رفقته جل شأنه في الأفعال هو بالغ غاية الكمال، لأنه تابع لمعرفته بتفاصيلها وإحاطته بغوامضها.

يقول الغزالي: «فمن لطفه خلقه الجنين في بطن الأم في ظلمات ثلاث، وحفظه فيها، وتغذيته بواسطة السرة إلى أن ينفصل فيستقل بالتناول بالفم، ثم إلهامه إياه عند الانفصال التقام الثدي وامتصاصه ولو في ظلام الليل من غير تعليم ومشاهدة، بل فلق البيضة عن الفرج وقد ألهمه التقاط الحب في الحال، ثم تأخير خلق الأسنان عن أول الخلقة إلى وقت الحاجة للاستغناء في الاغتذاء باللبن عن السن، ثم إنباته السن بعد ذلك عند الحاجة إلى طحن الطعام، ثم تقسيم الأسنان إلى عريضة للطحن، وإلى أنياب للكسر، وإلى ثنايا حادة الأطراف للقطع»^(١).

(١) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص ١٠١ .

ويقول العلامة ابن القيم في قصيدته النونية^(١).

وهو اللطيف بعبده ولعبده واللفظ في أوصافه نوعان
إدراك أسرار الأمور بخبرة واللفظ عند مواقع الإحسان
فيريك عزته ويبيدي لطفه والعبد في الغفلات عن ذا الشأن
يعني أنه سبحانه يلفظ بعبده في أموره الداخلية المتعلقة بنفسه،
ويلطف له في الأمور الخارجية عنه، فيسوقه ويسوق إليه ما به صلاحه
من حيث لا يشعر . وهذا من آثار علمه وكرمه ورحمته، فاللفظ الذي
وصفه سبحانه نوعان:

أحدهما: الخبرة التامة وإحاطة علمه بالبواطن والأسرار ومكنونات
الصدور ومغيبات الأمور، وما لطف ودق من كل شيء.

والثاني: لطفه بعبده ووليه الذي يريد أن يتمم عليه نعمته ويشمله
بإحسانه وكرمه، ويرقيه إلى المنازل العالية، فييسره لليسرى، ويجنبه
العسرى، ويجري عليه من صنوف المحن وأنواع البلاء التي يكرهاها
وتشق عليه ما علم أن فيها صلاحه والسبيل إلى سعادته . كما امتحن
الأنبياء عليهم السلام بأذى قومهم، وبالجهد في سبيله، وكما امتحن
أوليائه بما يكرهونه لينيلهم ما يحبون . واعتبر في ذلك بما جرى على
يوسف الصديق عليه السلام من أحوال كانت في ظاهرها محنة، ولكنها

(١) انظر: شرح القصيدة النونية (٢/ ٢٢٨).

في حقيقة الأمر ألوان من البلاء والتمحيص كمل بها، وصفا بها عنصره حتى أوصلته في النهاية إلى حسن العقبي في الدنيا والآخرة.

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «فكم لله من لطف وكرم لا تدركه الأفهام ولا تتصوره الأوهام، وكم استشرف العبد على مطلوب من مطالب الدنيا من ولاية أو رياسة أو سبب من الأسباب المحبوبة، فيصرفه الله عنها ويصرفها عنه، رحمة به لئلا تضربه في دينه، فيظل العبد حزيناً من جهله وعدم معرفته بربه . ولو علم ما ذخر له في الغيب وأريد إصلاحه فيه، لحمد الله وشكره على ذلك . فإن الله بعباده رؤوف رحيم، لطيف بأوليائه^(١).

وفي الدعاء الماثورة: (اللهم ما رزقتني مما أصب فاجعله قوة لي فيما تحب، وما رزيت عني مما أصب فاجعله فراغاً لي فيما تحب، اللهم الطف بنا في قضائك، وبارك لنا في قدرك حتى لا نحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت^(٢)).

(الخبير) و(العليم) وأما الخبير فهو العليم الذي نفذ علمه إلى كل خفي من الأمور، وأحاط بتفاصيلها ودقائقها بحيث لا يعزب عنه شيء من الوجوه الممكنة لها، يعلم ما غاب كما يعلم ما حضر، ويعلم ما دق وصغر كما يعلم ما جل وكبر، فالكل في علمه سبحانه سواء كما قال الله

(١) انظر: الحق الواضح المبين ص ٢٤٤ .

(٢) رواه الترمذي (٣٤٩١)، وقال: حسن غريب.

تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ۝ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ۝ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ۝﴾ [الرعد: ٨-١٠].

ولهذا لا يجيء وصفه تعالى بهذا الوصف إلا بالنسبة للأمور التي فيها دقة وخفاء بحيث يعجز عن تناولها إدراك المخلوقين كقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝﴾ [الملك: ١٤].

وقوله: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكُمْ مِثْلُ خَيْرٍ ۝﴾ [فاطر: ١٤].

وقوله: ﴿وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُمْ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ۝﴾ [التحرية: ٣].

وهكذا في كل موضع ذكر فيه هذا الوصف في القرآن العظيم تجده لا يذكر إلا حيث يكون الكلام متعلقًا بالخفايا ومغيبات الأمور.

(الحليم) و(العليم) ومن أسمائه الحسنَى سبحانه: (الحليم) وقد ورد في القرآن مرتين مقترنًا باسم (العليم).

أولاهما: في قوله تعالى: ﴿لِيَدْخُلْنَهُمْ مُدْخَلَ رِضْوَنِهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ خَلِيمٌ ۝﴾ [الحج: ٥٩].

والثانية: في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥١].

كما ورد مقترناً باسمه تعالى الغفور، في موضعين :

الأول: قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَقْضُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

والثاني: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُنْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١].

والمناسبة بين هذا الاسم الكريم وكل من هذين الاسمين ظاهرة، فإن علمه تعالى بأحوال خلقه وما ركبوا عليه من ضعف وعدم استمساك عند الشهوات يقتضي حلمه بهم، وعدم معاجلتهم بالعقوبة، كما أن حبه سبحانه للمغفرة يوجب كذلك إمهالهم عسى أن يتوبوا فيتوب الله عليهم.

ومعنى الحليم كما قال ابن الأثير: «هو الذي لا يستخفه شيء من عصيان العباد، ولا يستفزه الغضب عليهم»^(١).

فهو سبحانه يشاهد معاصي العصاة، ويرى أنواع المخالفات والجرائم التي يرتكبونها ثم لا يسارع إلى مؤاخذاتهم والانتقام منهم مع استحقاقهم لذلك قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ

(١) النهاية (١/ ٤٣٣ - ٤٣٤).

دَاتِيَّةٌ وَلَكِنْ يُؤَخَّرُهُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿[النحل: ٦١]﴾.

وهذا الاسم الكريم قد يقع وصفاً لبعض العباد، كما قال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿[التوبة: ١١٤]﴾.

وكما قال عن ولده إسماعيل: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ ﴿[الصافات: ١٠١]﴾.

ولكن هذا اشتراك في الاسم فقط لا يقتضي أن حلمهم كحلمه بل حلمه وسع السماوات والأرض وجميع ذنوب العباد وجرائمهم، فلا أحد أحلم منه سبحانه، كما لا أحد أصبر على أذى سمعه منه، وكما لا أحد أغير منه.

وهكذا يقال في كل الأسماء المشتركة: أن الثابت لله عز وجل منها هو ما يليق به من الكمال الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه . والثابت منها للمخلوق هو ما يليق به من الضعف والنقص بحيث لا توهم مماثلة أصلاً بين صفة المخلوق وصفة الخالق.

(العظيم): ومن أسمائه الحسنَى (العظيم) وقد ورد مقترناً باسمه تعالى: (العلي)، في آية الكرسي التي هي سيدة آي القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿[البقرة: ٢٥٥]﴾.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [الشورى: ٤].

ولا يخفى ما بين صفتي العلو والعظمة من مناسبة، فالشيء كلما علا على غيره كان أعظم منه، ولهذا كان العرش أعظم من الكرسي، لأنه فوقه حتى إن الكرسي في جوفه كحلقة في فلاة، قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فما ظنك بعظمة من العالم كله من عرشه إلى فرشه بين يديه كخردلة في كف أحدنا؟

إنها عظمة تتقاصر العقول عن إدراك كنهها، والإحاطة بها، وبحسبنا أن نعلم أن العظمة المطلقة التي لا يتصور لها نهاية ولا حد تقف عنده، هي ثابتة لله عز وجل وحده على أكمل وجه وأتمه.

وقد ورد في الحديث القدسي: (العظمة لازية، والكبرياء رداي، فمن نازعني في شيء منهما قصمه)^(١).

فهو سبحانه إن وصف بعض عباده بالعظمة، كقوله في العرش: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: ٨٦].

وكقوله في عرش بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ

(١) أبو داود (٤٠٩٠)، وابن ماجه (٤١٧٥)، وأحمد (٢/٢٤٨، ٣٧٦، ٤٤٢).

ورواه مسلم بنحوه (٢٦٢٠). (١) رواه مسلم (٩١).

عَظِيمٌ ﴿١١٦﴾ [النمل: ١١٦].

وكقوله في شأن السحر الذي جاء به سحرة فرعون: ﴿قَالَ أَتَوَا فُلَمَّا
الْقَوَا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْأَرَهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦].

فإنما يراد بها العظمة التي تناسب المخلوق حين ينسب إلى ما هو
أحقر منه.

يقول العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله:

(واعلم أن معاني التعظيم الثابتة لله وحده نوعان:

أحدهما: أنه موصوف بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله
وأعظمه وأوسع، فله العلم المحيط، والقدرة النافذة، والكبرياء والعظمة.
ومن عظمته أن السموات والأرض في كف الرحمن أصغر من الخردلة،
كما قال ذلك بن عباس وغيره.

وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا
مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١].

فله تعالى الكبرياء والعظمة الوصفان اللذان لا يقدر قدرهما ولا
يبلغ كنههما.

والنوع الثاني من معاني عظمتة تعالى: أنه لا يستحق أحد من الخلق

أن يعظم كما يعظم الله، فيستحق جل جلاله من عباده أن يعظموه بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم، وذلك ببذل الجهد في معرفته ومحبته، والذل له، والانكسار له، والخضوع لكبريائه، والخوف منه، وإعمال اللسان بالثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته.

ومن تعظيمه أن يتقى حق تقاته فيطاع ولا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر .

ومن تعظيمه ما حرمه وشرعه من زمان ومكان وأعمال ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٢٦] ، ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠] .

ومن تعظيمه أن لا يعترض على شيء خلقه أو شرعه^(١).

(العلي): ومن أسمائه الحسنى سبحانه: (العلي)، وقد ورد هذا الاسم الكريم في القرآن العظيم مقترناً باسمه تعالى: (الكبير)، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ يُشْوزُهُنَّ فِعْظُهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤]. وكما في قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْ ثِقَالٍ ذَرَّةً فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ

(١) الحق الواضح المبين ص ٢٢٤ .

ظهير ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿ [سبا: ٢٢، ٢٣].

ومقترنا باسمه (العظيم) كما في قوله سبحانه: ﴿ وَلَا يَتُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله تعالى: ﴿ حَمْدٌ ۝ عَسَقَ ۝ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ۚ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿ [الشورى: ١-٤].

ولعل المناسبة بين اسمه سبحانه (العلي) وبين كل من هذين الاسمين في غاية الظهور؛ فإن من كان علياً فوق جميع خلقه فإن كل شيء يتضاءل دون كبريائه وعظمته بحيث يكون هو المخصوص بهما وحده .

وهذا الاسم الكريم دال على أن جميع معاني العلو ثابتة لله - تعالى - من كل جهة فله علو الذات فإنه - سبحانه - مستو على عرشه فوق جميع خلقه، كما قال: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥]. ولا معنى لاستوائه على العرش إلا علوه وارتفاعه عليه .

وأما تأويل ذلك بـ «استولى» كما تزعمه النفاة الجاحدون لوصف العلو، فهو تأويل باطل لغة وعقلا وفطرة.

وله كذلك علو القدر وهو علو صفاته وعظمتها فلا تماثلها صفات المخلوقين بل لا يقدر الخلق كلهم أن يحيطوا بمعنى صفة واحدة من صفاته.

قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

وله علو القهر فإنه الواحد القهار الذي قهر بعزته وعلوه الخلق كلهم، فنواصيهم جميعاً بيده، وهو الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. فلو اجتمع الخلق على إيجاد ما لم يشأ الله لم يقدرُوا، ولو اجتمعوا على منع ما حكمت به مشيئته لم يمنعه؛ وذلك لكمال اقتداره، ونفوذ مشيئته، وشدة افتقار المخلوقات كلها إليه من جميع الوجوه.

وخلاصة القول: أن الثابت لله عز وجل من وصف العلو هو العلو المطلق الكامل الذي يتناول هذه الوجوه كلها، فتخصيصه ببعضها كعلو القدر والرتبة أو علو القهر والغلبة هو تنقص من الصفة، وتقييد لما دلت عليه من الإطلاق بلا دليل.

وينبغي أن يعلم أن هناك فرقاً بين صفتي العلو والاستواء على العرش، فإن علوه تعالى فوق جميع المخلوقات ومباينته لها أمر دل عليه العقل والفطرة مع النصوص الكثيرة المتواترة.

وقد أثبت ذلك العلامة ابن القيم في قصيدته النونية التي وفقني الله لشرحها، من واحد وعشرين وجهاً. فمن أراد شفاء نفسه من هذا الموضوع فليرجع إليها^(١).

(١) انظر: شرح قصيدة ابن القيم ص ٣٩٧ - ٣٩٨.

وأما استواءه تعالى على العرش فهو ثابت بالنقل الصريح من الكتاب والسنة؛ فقد أخبر الله سبحانه أنه استوى على عرشه في سبعة مواضع من كتابه، كما صرحت بذلك أحاديث كثيرة ليس هنا موضع ذكرها. ومن أراد الاطلاع عليها فليرجع إلى كتاب (العلو للعلي الغفار) للعلامة الذهبي.

كما ينبغي أن يعلم - أيضًا - أننا حين ثبت استواء حقيقياً لله على عرشه لا نخوض في كيفية ذلك الاستواء، ولا نشبهه باستواء المخلوق على المخلوق، فإنه سبحانه ليس كمثله شيء، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله. بل نقول كما قال الإمام مالك - رحمه الله - لمن سأل عن الاستواء: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب»^(١).

ونجعل قوله مالك هذه دستوراً لنا في جميع ما أخبر الله به عن نفسه أو أخبر به عنه رسول الله ﷺ فنؤمن به على الوجه الذي يليق بجلال الله وعظمته، وننزهه عن مشابهة المخلوقين.

هذا وإن علماء أنصار السنة المحمدية لم يألوا جهداً في بيان منهج السلف القويم في هذا الباب حتى تميزت بذلك دعوتهم، وأما ما يشنع به خصومهم عليهم ويرمونهم به من ألقاب السوء، كقولهم مشبهة مجسمة، فإنها شنشنة قديمة يضاهئون بها قول إخوانهم الذين سبقوهم

(١) انظر: ذم التأويل ص ١٣، ٢٦.

في النفي والتعطيل حين كانوا يرمون كل من يثبت الصفات بالتجسيم والتمثيل . ونحن لا ننفي صفات الله عز وجل التي نطقنا بإثباتها النصوص الصريحة من الكتاب والسنة لأجل شناعة يشنع بها علينا مارق كذاب لا يؤمن بالسنة والكتاب، بل نقول كما قال الشاعر:

إن كان تجسيمياً ثبوت صفاته فليشهد الثقلان أنني مثبت

وأحب قبل أن أنتقل من الكلام على هذا الاسم الكريم أن أنقل إلى إخواني قراء (الهدي) كلام إمام من أئمة النفي والتعطيل في شرح هذا الاسم الجليل حتى يدركوا الفرق بين ما قلناه في معناه وبين ما يذهب إليه هؤلاء المعطلة النفاة، وليعلم من لم يكن يعلم أي الفريقين منا ومنهم أهدي سبيلاً وأقوم قِيلاً.

يقول أبو حامد الغزالي في كتابه (المقصد الأسنى) ما نصه: (العلي: هو الذي لا رتبة فوق رتبته، وجميع المراتب منحطة عنه؛ وذلك لأن العلي مشتق من العلو مأخوذ من العلو المقابل للسفل، وذلك إما في درجات محسوسة كالدرج والمراقي وجميع الأجسام الموضوع بعضها فوق بعض، وإما في الرتب المعقولة للموجودات المترتبة نوعاً من الترتيب العقلي فكل ما له الفوقية من الرتبة فله العلو في الدرجات العقلية.

إلى أن يقول (سامحه الله): فهكذا ينبغي أن نفهم فوقيته وعلوه، فإن هذا الأساس وضعت أولاً بالإضافة إلى إدراك البصر، وهو درجة العوام، ثم لما تنبه الخواص لإدراكات البصائر ووجدوا بينها وبين الأبصار

موازنات استعاروا منها الألفاظ المطلقة، وفهمها الخواص، وأنكرها العوام الذين لم يتجاوزوا إدراكهم من الحواس التي هي مرتبة البهائم، فلم يفهموا عظمة إلا بالمساحة، ولا علواً إلا بالمكان، ولا فوقية إلا به.

فإذا فهمت معنى كونه فوق العرش لأن العرش أعظم الأجسام وهو فوق جميعها، والموجود المنزه المقدس عن التحديد والتقدير بحدود الأجسام ومقاديرها فوق الأجسام كلها في الرتبة، ولكن خص العرش بالذكر لأنه فوق جميع الأجسام، فما كان فوق جميعها، وهو كقول القائل: (ال خليفة فوق السلطان) تنبيهاً به على أنه إذا كان فوقه كان فوق جميع الناس الذين هم دون السلطان^(١).

هذا هو كلام الغزالي فارس حلبة التعطيل الذي انتهت إليه رياسة مذاهب أهل التأويل.

انظر كيف نفى وجود الله من حيث لا يدري حيث جعله وجوداً معقولاً مدركاً بالبصيرة لا بالبصر، وجعل علوه وفوقيته بالرتبة والمكان لا بالجهة والمكان.

(الجليل) و(الجميل): ومن أسمائه الحسنی سبحانه «الجليل والجميل» ولم يرد ذكرها في القرآن بهذه الصيغة بل ورد (ذو الجلال) وصفاً للوجه مرة كما في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝﴾ [الرحمن: ٢٧، ٢٦].

(١) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله احسنی ص ١٠٦ .

ووصفًا مرة كما في قوله تعالى: ﴿تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨].

وأما اسمه الجميل فقد ورد به الحديث الصحيح وهو قوله عليه السلام: (إن الله جميل يحب الجمال)^(١).

وكثيرًا ما يقرن هذين الاسمين الكريمين، لأنهما متضمنان لسائر نعوت الجلال والجمال.

وإنما يكون تمام التعبد لله عز وجل بهما جميعًا، فالتعبد (بالجليل) يقتضي تعظيمه وخوفه وهيبته وإجلاله، والتعبد باسمه (الجميل) يقتضي محبته والتأله له، وأن يبذل العبد له خالص المحبة وصفو المودة بحيث يسبح في رياض معرفته وميادين جماله.

فالجليل هو الذي له أوصاف الجلال كلها من العظمة والكبرياء والغنى والملك والتقديس والعلم والقدرة ونحوها، فهو يرجع إلى كمال الصفات، كما أن اسمه (الكبير) يرجع إلى كمال الذات. وهو سبحانه الجليل على الإطلاق لا يستحق هذا الوصف غيره لأنه هو وحده الجامع لكل أوصاف الجلال، وهو بالغ في كل صفة منها غاية الكمال.

قال العلامة (ابن قيم الجوزية) في قصيدته النونية^(٢):

وهو الجليل فكل أوصاف الجلال له محققَةٌ بلا بطلان

(١) رواه مسلم (٩١).

(٢) شرح النونية (٢/ ٢١٤).

وأما الجميل فهو اسم له - سبحانه - من الجمال، وهو الحسن الكثير. فهو الجميل بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله. أما جمال الذات فلا يمكن لمخلوق أن يعبر عن بعض جمال ذاته، حتى إن أهل الجنة مع ما هم فيه من النعيم المقيم واللذائذ العظيمة والسرور والبهجة التي لا يقادر قدرها، إذا رأوا ربهم، وتمتعوا بجماله، نسوا ما هم فيه من ذلك النعيم، وتلاشوا في أعينهم حتى لا يكادون يحسون به، وكانت قلوبهم في شوق دائم وحنين إلى رؤية ربهم، ويفرحون بيوم المزيد فرحاً تطير له قلوبهم.

وأما جمال الأسماء فإن أسماء سبحانه كلها حسنى، بل هي أحسن الأسماء على الإطلاق وأجملها. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، أي مسامياً يساميه ونظيراً يستحق مثل اسمه، فأسماءه كلها دالة على غاية الحمد والمجد والكمال، ليس فيها ما ينقسم إلى كمال وغيره.

وأما جمال الصفات فإن أوصافه كلها أوصاف كمال ونعوت ثناء وحمد، فهي أوسع الصفات وأعمها وأكثرها تعلقاً، خصوصاً أوصاف الرحمة والبر والكرم والجود.

وأما جمال الأفعال فإن أفعاله - سبحانه - في غاية الجمال إذ هي دائرة بين أفعال البر والإحسان التي يحمد عليها ويثنى عليه بها ويشكر. وبين أفعال العدل التي يحمد - كذلك - لموافقتها للحكمة. فليس في أفعاله عبث ولا سفه ولا جور ولا ظلم بل كلها خير وهدى ورحمة ورشد

وعدل، قال تعالى: ﴿رَبِّ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦].

وإن جميع أنواع الجمال الماثلة في صور الموجودات وأصناف المخلوقات، هي من آثار جماله - سبحانه - فهو الذي أعطاها هذا الجمال، وكساها ثياب الحسن، فهو أولى منها به؛ لأن معطي الشيء لا يصح أن يكون فاقداً له، فمعطي الجمال أحق بالجمال.

قال الشيخ ابن ناصر السعدي - رحمه الله^(١) -: فكل ما وجد في المخلوقات من كمال لا يستلزم نقصاً فإن معطيه وهو الله أحق به من المعطى بما لا نسبة بينه وبينهم، كما لا نسبة لذواتهم إلى ذاته، وصفاتهم إلى صفاته.

فالذي أعطاهم السمع والبصر والحياة والعلم والقدرة والجمال، أحق منهم بذلك، وكيف يعبر أحد عن جمال الله تعالى وقد قال الرسول وهو أعلم الخلق بالله: (لا إلهي تناء عليك أنت كما أئتميت على نفسك)^(٢)، وقال: (مجاير النور، لو كشف لأعرق سموات وعمر ما انتهى إليه بصر من خلقه)^(٣).

فسبحان الله وتقدس عما يقول الظالمون النافون لكماله علواً كبيراً.

(١) الحق الواضح المبين ص ٢٢٧ .

(٢) رواه مسلم (٤٨٦).

(٣) رواه مسلم (١٧٩).

(الحسيب): ومن أسمائه الحسنی سبحانه (الحسيب) وله معنيان:

أحدهما: أن يكون من الحسب بمعنى الكفاية، وهي إما كفاية عامة تشمل جميع الخلق، فهو - سبحانه - كافي الخلق كلهم، لا يحتاجون معه إلى شيء آخر يدبر مصالحهم، ويوصل إليهم أقواتهم، وينيلهم مقاصدهم وحاجاتهم، فهو الذي ابتداء خلقهم دون معونة أحد أو مشورته، وهو الذي يمدهم بأسباب البقاء إلى الأجل الذي قدره لهم، وهو الذي يسوق كل موجود إلى غايته التي بها تمامه وكماله.

وليست حاجة العبد إلى الطعام والشراب واللباس والمأوى وغير ذلك من ضرورات عيشه حاجة إلى غير الله عز وجل، فإنه هو الذي تفضل عليه فأعطاه من ذلك كفايته وأزال ضرورته، بل أعطاه من ألوان الترف وصنوف اللذات ما هو فوق حاجته، قال تعالى: ﴿وَأَتَّكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [البراهير: ٣٤].

فكل ما يملكه العباد من منافع وأرزاق إنما هو فيض جوده ورحمته، ولو شاء لقطعه عنهم، فكيف إذا تكون حاجتهم إلى غيره؟ بل هو وحده سبحانه حسيب كل أحد، وليس في الوجود شيء هو وحده يكون حسيب شيء آخر إلا الله عز وجل، فإن الأشياء مهما يتعلق بعضها ببعض وتظهر حاجة كل منها إلى غيره فمرجعها كلها إليه إذ هو مولياها وواهبها ورابط نتائجها بمباديها، لا رب لها غيره، ولا مالك لها سواه.

وأما الكفاية الخاصة فهي التي تكون لأوليائه وأهل طاعته، الذين قاموا له بحق العبودية، محبة وذلاً وتعظيماً وخوفاً ورجاءً واستكانةً وتوكلاً واستعانةً وتوبةً وإنابةً وسؤالاً ودعاءً إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي تعبدهم الله بها في أقوال اللسان وأعمال الجوارح وإنفاق الأموال . فهو لاء يكون لهم من كفاية الله وكلاءته وحمايته بقدر ما حققوا من معاني عبوديته، كما قال تعالى: ﴿الَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦] ، فأتى بوصف العبد للإشعار بأن تلك الكفاية منوطة بأهل عبادته فإنها كفاية خاصة بهم فوق ما لسائر الخلق من سابغ كفايته.

وأكثر ما جاء وصف الحسب في القرآن الكريم إنما هو بمعنى تلك الكفاية الخاصة فمن ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [فانقلبوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانِ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ] [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤] .

وقوله تعالى: ﴿يَنبَأُيْهَا الَّذِي حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤] .

ومن - هنا - معطوفة على الضمير المضاف إلى حسب، وليست معطوفة على لفظ الجلالة؛ فإن الحسب مختص بالله عز وجل وحده، لا تجوز الندية فيه، فيكون المعنى: كافيك وكافي من اتبعك من المؤمنين: الله.

ولهذا قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩].

فجعل الإتياء لله ورسوله، لأنه أمر تجوز فيه، ولكنه جعل الحسب لله عز وجل وحده، وجعل الرغبة - كذلك - إليه وحده.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

وأما المعنى الثاني لاسمه تعالى (الحسيب) فهو الذى يحفظ أعمال عباده من خير وشر، ثم يحاسبهم عليها كذلك، فيجزئهم بالإحسان إحساناً وبالسوء سوء، فهو حسيب بمعنى محاسب كقوله تعالى: ﴿وَأَتَّبِعُوا آلَ يَتَّىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦].

وكقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦].

(الرقيب والشهيد): ومن أسمائه الحسنى كذلك (الرقيب والشهيد) ومعناها متقاربان، بل لا يبعد أن يقال أنهما مترادفان، فإن مراقبة الشيء مراقبة تامة وملاحظته لازمة دائمة لا يمكن إلا مع المعية

والحضور. وضد المراقبة الغفلة، وضد الشهود الغيبة. وهما أيضًا متلازمان.

وكلا الاسمين الكريمين مذكور في القرآن الكريم، أما الرقيب فيذكر غالبًا في معرض التحذير من ارتكاب شيء ممنوع منه كما في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

فإنه بعد أن أمرهم بالتقوى التي هي اجتناب المحرمات، ذيل الآية باسمه الرقيب، تحذيرًا لهم من الوقوع في شيء منها.

وكما في قوله سبحانه خطابًا لنبيه: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدِّلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٤].

وفي معنى الرقيب الآيات التي تنفي عنه سبحانه الغفلة، فإن الغفلة كما قلنا تنافي المراقبة، فنفيتها يستلزم لإثبات ما يضادها من كمال المراقبة كقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٩].

وقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

وأما اسمه تعالى (الشهيد) فالأظهر أنه من الشهود بمعنى الحضور والاطلاع، وهو راجع إلى معيته العامة الشاملة لجميع المخلوقات، فهو مع كل شيء بعلمه وقدرته وسمعه ورؤيته، وهو محيط بهم إحاطة من لا يغيب عنه شيء من أقوالهم وأفعالهم وسرائر قلوبهم قال تعالى: ﴿وَمَا

تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ [يونس: ٦١].

وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ [المجادلة: ٦١-٦٣].

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله عند شرحه لهذين الاسمين الكريمين^(١): (الرقيب)، (الشهيد) مترادفان، وكلاهما يدل على إحاطة سمع الله بالمسموعات، وبصره بالمبصرات، وعلمه بجميع المعلومات الجلية والخفية، وهو الرقيب على ما دار في الخواطر، وما تحركت به اللواحق، ومن باب أولى: الأفعال الظاهرة بالأركان قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ ﴿[النساء: ١٠]﴾، ﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ ﴿[الأنعام: ١٩]﴾، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿[المجادلة: ٦٣]﴾.

ولهذا كانت المراقبة التي هي من أعلى أعمال القلوب هي التعبد لله باسمه الرقيب، فمتى علم العبد أن حركاته الظاهرة والباطنة قد أحاط الله

(١) الحق الواضح المبين ص ٢٤٢.

بعلمه، واستحضر هذا العلم في كل أحواله أوجب ذلك حراسة باطنه عن كل فكر وهاجس يبغضه الله، وحفظ ظاهره عن كل قول أو فعل يسخط الله، وتعبد بمقام الإحسان؛ فعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه.

ومما جاء من السنة في هذا المعنى قوله ﷺ: (صریح الإيمان أن تعلم أن الله معك حيث كنت) ^(١).

وقوله عليه السلام: (استمع من الله استحياءك من رجلين من صالحيه عسرتك لا يفارقاك) ^(٢).

(النور): ومن أسمائه الحسنی سبحانه (النور) وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في موضوعين: أحدهما قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

(١) الطبراني في مسند الشاميين (٥٣٥)، وأبو نعيم (١٢٤/٦). وقال: غريب.

كلاهما بلفظ: (أفضل الإيمان).

(٢) البيهقي في الشعب (٣٧٣٨)، بنحوه. وقال: إسناده ضعيف، وله شاهد ضعيف.

والموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٦٩].

وورد ذكره كذلك في كثير من الأحاديث الصحيحة، فقد روى الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا قام من الليل يقول: (اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن وللهم الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن) (١).

وقد روى الدرامي والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور العرش من نور وجهه» (٢).

وروى محمد بن إسحاق في سيرته أن رسول الله ﷺ قال في دعائه يوم آذاه أهل الطائف: (اعوذ بنور ومهك الذي أشرقت له الظلمات وصالح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحمل بي غضبك أو ينزل علي سخطك لك العقبى متوجي رضى ولا حول ولا قوة إلا بك) (٣).

وفي الصحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال «قام فينا رسول الله

(١) رواه البخاري (١١٢٠)، ومسلم (٧٦٩).

(٢) الطبراني في الكبير (٨٨٨٦)، وأبو نعيم (١٣٧/١).

وانظر مجمع الزوائد (٨٥/١).

(٣) رواه الطبراني. وهو في جزء ترجمته في الكبير (٣٤٦/٢٥). وانظر مجمع الزوائد (٣٥/٦).

ﷺ بأربع كلمات قال: (إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل، وعمل الليل قبل عمل النهار، مجابهة للنور - أو قاله النار - لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) (١).

وروى أحمد في مسنده من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله تعالى خالق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطاه ضل) (٢).

ولكن ينبغي أن يفرق في هذا المقام بين النور الذي هو صفة ذاته سبحانه وبين النور المخلوق، فإن النور الذي هو صفة الذات قائم بها لا يتعدها إلى غيرها.

وأما النور المخلوق فهو الذي تتصف به المخلوقات بحسب الأسباب والمعاني القائمة بها.

وهو ينقسم إلى حسي مدرك بالبصر كنور الشمس والقمر والنجوم والنار والكهرباء وغيرها. وإلى معنوي مدرك بالبصيرة كنور الوحي والقرآن ونور الحق والإيمان قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ

(١) رواه مسلم (١٧٩).

(٢) أحمد (٢/ ١٧٦، ١٩٧)، والترمذي (٢٦٤٢).

قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ
وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴿١٥﴾

[المائدة: ١٥، ١٦].

وقال سبحانه: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ
كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ ﴿١٧﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وكذلك رسول الله هو نور بهذا المعنى، لأنه يعرف الناس
بربهم ويدلهم على طريقه كما قال تعالى: ﴿يَأْيُهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
شَهِيدًا وَبَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿١٨﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿١٩﴾ ﴿١٨﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

ويقول العلامة ابن القيم في قصيدته النونية:

والنور ذو نوعين مخلوق ووصد — ف ما هما والله متحدان

وكذلك المخلوق ذو نوعين محد — سوس ومعقول هما شيئان

ولكن المعطلة الجهمية ينكرون النور الذي هو وصف الذات كما
هو شأنهم في سائر الصفات التي يزعمون أنها توهم التشبيه والتجسيم
فيقولون إن النور عرض لا يقوم إلا بالأجسام، ولهذا تضطرب عباراتهم
في تفسير ذلك النور الذي أضافه الله إلى نفسه، فمنهم من يفسره بكمال
الوجود وتمام الظهور، ومنهم من يؤوله باسم الفاعل، فالله نور السموات
والأرض بمعنى منورها وهادي أهلها إلى غير ذلك من العبادات التي
تدل على حيرتهم إذ لم يهتدوا إلى الفرق بين النور الذي هو صفة ذاته

سبحانه كما دلت الآيات والأحاديث، وبين الأنوار التي هي بجعله وخلقه في الحسيات والمعنويات.

يقول أبو حامد الغزالي في كتابه «المقصد الأسنى» :

(النور) هو الظاهر الذي به كل ظهور، فإن الظاهر في نفسه المظهر لغيره يسمى نوراً، ومهما قبل الوجود بالعدم كان الظهور لا محالة للوجود، ولا ظلام أظلم من العدم فالبريء عن ظلمة العدم بل عن إمكان العدم والمخرج كل الأشياء من ظلمة العدم إلى ظهور الوجود جدير بأن يسمى نوراً. والوجود نور فائض على الأشياء كلها من نور ذاته، فهو نور السموات والأرض. وكما أنه لا ذرة من نور الشمس إلا وهي دالة على وجود الشمس المنورة فلا ذرة من موجودات السموات والأرض وما بينهما إلا وهي بجواز وجودها دالة على وجوب وجود موجدتها. وما ذكرناه في معنى الظاهر يفهمك معنى النور، ويغنيك عن التعسفات المذكورة في معناه^(١).

وإنما ذكرت لك هذا النموذج من كلام هؤلاء المعطلة النفاة لتدرك أي فرق بينه وبين ما ذكرناه من معاني النور، والله يهدي من يشاء.

نسأل الله أن يجعل لنا نوراً في قلوبنا وأسماعنا وأبصارنا ومن حولنا، وأن يزيدنا من نوره، إنه ولي المؤمنين.

(١) المقصد الأسنى ص ١٤٦ .

(الولي والوالي): ومن أسمائه الحسنَى سبحانه (الولي) و
(الوالي) ومعناهما متقاربان، بل لعلهما مترادفان، وكلاهما مذكور في
القرآن.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وقال: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَخِيذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا
يُطْعِمُهُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمَشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤].

وقال: ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

وقال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرِ
السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي
بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وقال: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا
يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ
دُونِهِ مِنْ وَّالٍ﴾ [الرعد: ١١].

ولعل من المفيد هنا أن نبين أصل اشتقاق هذين الاسمين الكريمين بما يتضح معه معناها، فإن الولاية من الألفاظ التي ضل أكثر الناس في فهم مدلولها حتى نحلوا أصحابها من السلطان الغيبي ومن القدرة على التصرف والتأثير ما لا ينبغي إلا لله عز وجل .

يقول الراغب في مفرداته عند كلامه على مادة (ولي) ما ملخصه:

« السواء والتوالي أن يحصل شيان فصاعداً حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان ومن حيث الدين ومن حيث النسبة ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد . والولاية تولي الأمر، والولي والمولى يستعملان في ذلك كل واحد منهما يقال في معنى الفاعل أي الموالي وفي معنى المفعول أي الموالي، يقال للمؤمن هو ولي الله عز وجل، ولم يرد موله »^(١).

ويقول ابن الأثير في النهاية:

« في أسماء الله تعالى (الولي) هو الناصر، وقيل المتولي لأمر العالم والخلائق القائم بها . ومن أسمائه عز وجل (الوالي) وهو مالك الأشياء جميعها المتصرف فيها؛ وكأن الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل، وما لم يجتمع ذلك فيه لم يطلق عليه اسم الوالي »^(٢).

ويقول أبو حامد الغزالي في كتابه المقصد الأسنى^(٣):

(١) المفردات ص ٨٨٥ .

(٢) النهاية (٥/٢٢٦) .

(٣) المقصد الأسنى ص ١٢٩ .

(الولي) هو المحب الناصر. ومعنى وده ومحبه قد سبق، ومعنى نصرته فإنه يجمع أعداء الدين وينصر أولياءه، قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١].

والولي من العباد من يحب الله ويحب أولياءه، وينصره ويعادي أعداءه، ومن أعدائه النفس والشيطان، فمن خذلهما ونصر أمر الله، ووالى أولياء الله، وعادى أعداءه فهو الولي من العباد.

والذي يمكن أن يستخلص من هذه النصوص أن الولاية من المعاني المشتركة التي يوصف بها الله عز وجل كما يوصف بها غيره . قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥].

وقال سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ١٧].

وقال جل شأنه: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ أَوْلِيَائِهِ﴾ [الكهف: ١٠٩].

فإذا وُصف الله - عز وجل - بها فإما أن يراد بها الولاية العامة فهو - سبحانه - ولي الخلق كلهم بمعنى المتولي لأموالهم والكفيل بمصالحهم وحاجاتهم، لا ولي لهم غيره ولا مدبر سواه.

وإما أن يراد الولاية الخاصة وهي ولايته سبحانه للمؤمنين والمتقين، فتكون بمعنى النصرة والمحبة والرعاية والتأييد . فهو سبحانه

مقيل عثراتهم، وغافر زلاتهم، ومقيم أعذارهم، ومصلح فسادهم، وهو المدافع عنهم، والناصر لهم، والكفيل بمصالحهم، والمنجي لهم من كل كرب، والموفي لهم بوعده، فهو وليهم الذي لا ولي لهم سواه، وهو مولا هم الحق، وينصرهم على عدوهم، فنعم المولى ونعم النصير.

وأما إذا وصف بها العبد فقل: ولي الله فمعناه المتقرب إلى الله بطاعته، والموافقة له سبحانه في محابه ومساخطه، فلا يحب إلا ما أحبه الله من الأشخاص والأعمال والأخلاق، ولا يبغض إلا ما أبغضه الله كذلك، يوالي إلا أولياء الله ولا يعادي إلا أعداءه. كما في الحديث الصحيح: (من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان) ^(١).

ويجوز أن يكون الولي من فعيل بمعنى مفعول، والمراد به من والاه الله فأحبه وأدناه لاجتهاده في طاعته وتقواه، كما في الحديث الذي رواه البخاري: (من عارضني لي ولينا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي من أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمع الذي يسمع به، وبصر الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألتني ل أعطيتك، ولئن استأذنتني لأعيننك) ^(٢).

وقد حدد القرآن الكريم معنى الولي من العباد تحديداً يزيل كل

(١) الترمذي (٢٥٢١) عن معاذ بن أنس. وأبو داود (٤٦٨١) عن أبي أمامة.

(٢) رواه البخاري (٦٥٠٢).

لبس ولا يدع لأحد مقالا حين قال: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿يونس: ٦٢-٦٤﴾.

فقوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾، تعريف جامع مانع للأولياء، وهو يتضمن لكمالهم في الناحية الاعتقادية وفي الناحية العلمية العبادية.

فهو كقوله تعالى في شأن بني إسرائيل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ ﴿[السجدة: ٩٤]﴾.

فأشار بالصبر إلى قوة الإرادة والعمل، وباليقين إلى كمال العلم والاعتقاد.

على أن هذا الوصف الإجمالي للأولياء قد ورد على سبيل التفصيل في مواضع كثيرة من التنزيل، من أجمعها قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ وَالَّذِينَ يَبْتُغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ

صَلِحًا فَإِنَّهُ يُتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧٦﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٧﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٨﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٩﴾

[الفرقان: ٦٤-٧٤].

فانظر كيف انتكست فطر الناس وفسدت عقولهم حين عموا عما بينه الله ورسوله وجروا وراء ما زينته لهم الشياطين، فنحلوا الولاية من لا علم عنده ولا عمل، من هؤلاء الجهلة المفسدين الذين تجردوا من كل مزية، وتحللوا من ربة الدين والخلق، ولم يتقيدوا بقيود الشريعة الغراء، ولم يتأدبوا بآداب السنة المطهرة، بل كل مؤهلاتهم في نظر هؤلاء الغوغاء أنهم منتسبون إلى طريقة من هذه الطرق الصوفية التي ضحك بها الشيطان على هذه الأمة، ليبددها شيعًا، ويمزق وحدتها، ويصرفها عن صراط ربها الذي رسمه لها في كتاب وسنة رسوله.

فمتى يفيق المسلمون من رقدتهم؟ ومتى تنكشف هذه الحجب المسدلة على قلوبهم، فيبصروا نور الحق، ويعرفوا أن ولاية الله لا تنال إلا بطاعته، والوقوف عند حدوده؟

(الودود والشكور): ومن أسمائه الحسنی سبحانه «الودود والشكور» وكلاهما وارد في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ ﴿٩٠﴾

[هود: ٩٠].

وقال: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [١٦-١٧] إِنَّهُ هُوَ يُتَدَيُّ وَيُعِيدُ ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦-١٧].

وقال: ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ عَلَيْهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿[التين: ١٧-١٨].

أما الودود فقد قال الراغب في المفردات:

«الود محبة الشيء وتَمَنِي كونه، ويستعمل في كل واحد من المعنيين على أن التمني يتضمن معنى الود لأن التمني هو تشهي حصول ما توده» (١).

وقوله: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

إشارة إلى ما وقع بينهم من الألفة المذكورة، في قوله: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٣].

ومن المودة التي تقتضي المحبة المجردة في قوله: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣].

وقوله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾ [البروج: ١٤]، ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠].

فالود يتضمن ما دخل في قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾

[المائدة: ٥٤].

وفي النهاية (لابن الأثير): «في أسماء الله تعالى الودود، هو مفعول من الود بمعنى المحبة، يقال: وددت الرجل أوده ودًا إذا أحببته. فالله تعالى مودود، أي محبوب في قلوب أوليائه، أو هو فعول بمعنى فاعل، أي أنه يحب عباده الصالحين، بمعنى أنه يرضى عنهم»^(١).
وما أحسن قول العلامة (ابن القيم) في نونيته^(٢):

وهو الودود يحبهم ويحبه أحبابه والفضل للمسنان
وهو الذي جعل المحبة في قلوبهم وجازاهم بحب ثان
هذا هو الإحسان حقًا لامعا وضة ولا لتوقع الشكران
لكن يحب شكورهم وشكورهم لا لا احتياج منه للشكران
فاسمه تعالى (الودود) متضمن للمعنيين جميعًا، فهو الواد لأوليائه وأهل طاعته، بمعنى المحب لهم، وذلك لقيامهم بما يستوجبون به تلك المحبة من الإخلاص له، والإكثار من ذكره، والإنابة، وقوة التوكل عليه، والتقرب إليه بالفرائض والنوافل، وحسن المتابعة للنبي ﷺ ظاهرًا وباطنًا. كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ

(١) النهاية (٥/ ١٦٤).

(٢) شرح القصيدة النونية (٢/ ٢٣٠).

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ [ال عمران: ٣١] .

وهو سبحانه المودود لهم فهم يحبونه أشد الحب، بل لا شيء أحب إليهم منه، فمحبتة عندهم سابقة لكل محبة، وغالبة على كل محبة، بل كل محبة غيرها فهي تابعة لها.

يقول الشيخ السعدي - رحمه الله - : «ومحبة الله هي روح الأعمال، وجميع العبودية الظاهرة والباطنة ناشئة عن محبة الله ومحبة العبد لربه فضل من الله وإحسان، ليست بحول العبد ولا قوته، ثم لما أحبه العبد جازاه الله بحب آخر، فهذا الإحسان المحض على الحقيقة؛ إذ منه السبب ومنه المسبب، ليس المقصود منها المعاوضة، وإنما ذلك محبة منه تعالى للشاكرين ولشكرهم؛ فالمصلحة كلها عائدة إلى العبد . فتبارك الذي أودع المحبة في قلوب المؤمنين، ثم لم يزل ينميها ويقويها حتى وصلت في قلوب الأصفياء إلى حالة تتضاءل عندها جميع المحاب، وتسليهم عن الأحباب، وتهون عليهم المصائب، وتلذذ لهم مشقة الطاعات، وتثمر لهم ما يشتهون من أصناف الكرامات التي أعلاها محبة الله، والفوز برضاء، والأنس بقربه، فمحبة العبد لربه محفوفة بمحبتين من ربه؛ فمحبة قبلها صار بها محباً لربه، ومحبة بعدها شكراً من الله له على محبة صار فيها من أصفياؤه المخلصين»^(١).

(١) الحق الواضح المبين ص ٢٤٨ .

ولكن ينبغي أن لا يفهم من هذا أن اسمه تعالى (الودود) مرادف لكونه للمؤمنين أو محبوباً لهم، بل هو متضمن لمعنى زائد على مجرد المحبة وهو تودده إليهم بإفاضة النعم والخيرات التي كلما ذكروها امتلأت قلوبهم من محبته .

وكذلك توددهم إليه بالطاعات التي هي سبب قربه ومحبته لهم، فالمودة تتناول المحبة كما تتناول جميع الأسباب المفضية إلى نموها ودوامها .

هذا ولا بد من التنبيه هنا إلى ما فعله المعطلة من أرباب الكلام الجاهلين بهذا الاسم الجميل حيث حرفوا معناه وألحدوا فيه؛ لأنهم لا يؤمنون بمحبة متبادلة بين الله وبين أصفياه . بل يفسرون تلك المحبة بلوازمها من الإحسان وإرادة الخير ونحو ذلك .

وإليك ما يقوله الغزالي أحد أئمة التعطيل في تفسير هذا الاسم الكريم:

(الودود هو الذي يحب الخير لجميع الخلق فيحسن إليهم ويثني عليهم، وهو قريب من الرحيم، لكن الرحمة إضافة إلى مرحوم، والمرحوم هو قريب من الرحيم لكن الرحمة إضافة تستدعي مرحوماً ضعيفاً، وأفعال الودود لا تستدعي ذلك بل إنعام على سبيل الابتداء من نتائج الود . فكما أن معنى رحمته تعالى إرادته الخير للمرحوم وكفايته له وهو منزّه عن رقة الرحمة فكذلك وده إرادته الكرامة والنعمة وإحسانه وإنعامه وهو منزّه عن ميل المودة لكن المودة والرحمة لا تراد في حظ

المرحوم إلاً لثمرتها وفائدتها لا للركة والميل، فالفائدة هي لباب الرحمة والمودة، وذلك هو المقصود في حق الله تعالى^(١).

وأما اسمه تعالى (الشاكِر - الشكور) فقد قال الغزالي في تفسيره:

«هو الذي يجازي بيسير الطاعات كثير الدرجات، ويعطي بالعمل في أيام معدودة نعيمًا في الآخرة غير محدود، ومن جازى الحسنة بأضعافها يقال إنه شكر تلك الحسنة، ومن أثنى على المحسن أيضًا يقال إنه شكره.

فإذا نظر إلى معنى الزيادة في المجازاة لم يكن الشكور المطلق إلا الله تعالى، لأن زيادته في المجازاة غير محصورة ولا محدودة، فإن نعيم الجنة لا آخر له، والله تعالى يقول: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤].

وإن نظرت إلى معنى الثناء فثناء كل مثن على غيره، والرب تعالى إذا أثنى على أعمال عباده فقد أثنى على نفسه؛ لأن أعمالهم من خلقه»^(٢).

والشكر من الصفات المشتركة بين الله عز وجل وبين العبد، فإذا وصف به العبد كان معناه اعتراف العبد بنعمة الله، عليه وثنائه عليه بها، واستعماله إياها في طاعته ومرضاته.

(١) المقصد الأسنى ص ١٢٢ .

(٢) السابق ص ١٠٥ .

وأما إذا وصف به الرب فمعناه قبوله سبحانه لعمل العبد ورضاه عنه وإثابته عليه، فهو لا يضيع سعي العاملين لوجهه بل يضاعفه أضعافاً مضاعفة.

وقد أخبر في كتابه وسنة نبيه ﷺ بمضاعفة الحسنات الواحدة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وكقوله: ﴿إِنْ تَقْرَضُوا أَلَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧].

وفي الحديث الصحيح الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما: (إن الله تعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمنه هم بمسنة فام يعملها كتبها الله عنده مسنة كاملة فإن عملها كتبت له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة وإن هم بسينة فام يعملها لم تكتب عليه فإن عملها كتبت سينة واحدة) (١).

فأي شكر لأعمال العباد أعظم من هذا .

فبغيته سبحانه ما يتحمل المتحملون لأجله ومن فعل شيئاً لأجله، أعطاه فوق حقه، ومن ترك شيئاً لأجله عوضه خيراً منه .

وهو الذي وفق لمرضاته ثم شكرهم على ذلك وأعطاهم من كراماته ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وكل هذا ليس

(١) البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١).

حقاً واجباً عليه وإنما هو الذي أوجبه على نفسه، جوداً منه وكرماً.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله^(١):

وهو الشكور فلن يضيع سعيهم لكن يضاعفه بلا حسابان
ما للعباد عليه حق واجب هو أوجب الأجر العظيم الشأن
كلا ولا عمل لديه ضائع إن كان بالإخلاص والإحسان
إن عذبوا فبعدله أو نعموا فبفضله والفضل للمنان

(**المقسط الجامع**): ومن أسمائه الحسنی سبحانه (المقسط والجامع)، أما المقسط فهو اسم فاعل من أقسط بمعنى عدل، وأصله من قسط بمعنى جار وظلم.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥].

فالهمزة في أقسط لسلب معنى الجور والظلم.

ولم يرد هذا الاسم الكريم بلفظه ولكن ورد معناه في آيات كثيرة كلها تنفي عن الله سبحانه كل شائبة ظلم، وتصفه بكمال النصفة والعدل في حكمه وقضائه وفيما قدره من أجزية على أعمال العباد بمثوبة وعقوبة.

وذلك مثل قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا

(١) شرح القصيدة النونية (٢/ ٢٣٠).

الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴿١٨﴾ [آل عمران: ١٨]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

وقوله: ﴿وَمَتَّ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

وقوله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُوَ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وقوله: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٨، ٧].

وورد - كذلك - معناه في كثير من الأحاديث الصحيحة، كقوله عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه عز وجل: (يا عبادي اني مرمت الظلم على نفسي وجعلت بينكم محرمة، فلا تظالموا) ^(١).

وقوله في دعائه المشهور: (اللهم اني عبدك وابن عبدك وابن امك، ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك ...) ^(٢).

وهو - سبحانه - لكمال عدله ينتصف لكل مظلوم ممن ظلمه، ويأخذ له بحقه حتى إنه يقتص للبهائم بعضها من بعض كما قال عليه

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) أحمد (١/ ٣٩١، ٤٥٢)، وأبو يعلى (٥٢٩٧)، وابن حبان (٩٧٢).

السلام: (لتؤدنه الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقار للشاة الجاهل منه الشاة القراء)^(١).

وفي الحديث الآخر يقول النبي ﷺ لأصحابه: (اتدرون من الفاس؟ فيقولون: الفاس فينا منه لا درهم له ولا متاع، فيقول: لكن الفاس من امتي من يأتي يوم القيامة بحسنات كثيرة ولكنه قد ضربه هذا وشم هذا وأكل ماله هذا وسفك دم هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته حتى إذا لم يتبق له حسنة أخذ من بينائهم فطرح عليه حتى يطرح على وجهه في النار)^(٢).

ولكن العبد إذا تاب إلى الله عز وجل، وأحسن الإقبال عليه بعمل الصالحات، والإكثار من نوافل الطاعات، وبقيت مظالم لم يستطع ردها إلى أصحابها، فإن الله سبحانه فضلاً منه وكرماً يرضي عنه خصومه يوم القيامة، ويعطيهم من أنواع النعيم والكرامة ما يرغبهم في العفو عنه، كما ورد بذلك الحديث^(٣).

وأما اسمه تعالى (الجامع) فهو اسم فاعل من الجمع، بمعنى التأليف بين الأشياء، وضم بعضها إلى بعض.

ولهذا الجمع مظاهر متعددة؛ فهو سبحانه بقدرته يجمع بين المتباينات كجمعه في هذه الأرض بين الهواء والبحار والجبال والأنهار

(١) رواه مسلم (٢٥٨٢).

(٢) رواه مسلم (٢٥٨١).

(٣) الحاكم ٤/ ٢٦٠، والخطيب (٣٤١/ ٩)، وابن أبي الدنيا في حسن الظن (١١٨).

وأشكال الحيوانات والنباتات والمعادن المختلفة على ما بينها من التباين والاختلاف في الأشكال والألوان والطعم والأوصاف.

وكجمعه في بدن الحيوان بين العظم والعصب والعروق والعضل والرباطات والأوردة والشرابين والمنخ والبشرة والدم وسائر الأخلاط المختلفة المتباينة.

وأما جمعه بين المتضادات فجمعه بين الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة في أمزاجه الحيوانات مع كونها أموراً متعادلة متنافرة.

ولكن أعظم مظاهر جمعه سبحانه هو ما أخبر عنه القرآن الكريم من جمعه الناس في عرصات القيامة لفصل القضاء بينهم .

قال تعالى على لسان الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩٠].

وقال: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠].

وقوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩٠].

وقوله: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾ [المرسلات: ٣٨].

وفي حديث الشفاعة الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها ثم قال: (أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الأولين

وَالْآخَرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يَسْمَعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفِذُهُمُ الْبَصَرُ^(١) إِلَخِ الْحَدِيثِ.

وكذلك جمعه تعالى الرسل لسؤالهم عما أجابتهم به أممهم كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ قَالَوْا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وكذلك جمعه لرفات الموتى وتأليفه سبحانه بين ما تحلل من أبدانهم في النشأة الأخرى ثم يعيد إليهم أزواجهم ويبعثهم من قبورهم أحياء. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْقَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٧-٧٩].

وقال: ﴿يُخَسِّبُ الْإِنْسَنُ أَنْ يُجْمَعَ عِظَامُهُ﴾ بَلَى قَدِيرِينَ عَلَى أَنْ تُسَوَّى بَنَانُهُ ﴿[القيامة: ٤٠٣].﴾

ثم آخر ذلك أن يجمع الله أهل طاعته وولايته في دار رحمته ومستقر كرامته، وأن يجمع أعداءه وأهل معصيته في دار غضبه ونقمته. نسأل الله أن يجعلنا من الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

(١) رواه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

(الباعث والوارث): ومن أسمائه الحسنی سبحانه (الباعث والوارث).

قال الشاعر:

بالباعث الوارث الأموات قد ضمنت

إياهم الأرض في دهر الدهارير

الباعث والوارث: أما الباعث فهو فاعل البعث، وأصل البعث الإشارة والتحريك، قد ورد فعل البعث مسنداً إلى الله عز وجل في مواضع كثيرة من القرآن الكريم بمعان مختلفة.

منها: إحياءه الموتى، وهذا البعث منه ما وقع بالفعل في الدنيا كقوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ۖ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۖ﴾ [البقرة: ٥٦-٥٥].

وكذلك في شأن الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها: ﴿فَأَمَّا تَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

وكقوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۖ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنُعَلِّمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ۖ﴾ [الكهف: ١٨].

ومنه ما سيقع يوم القيامة.

وأكثر ما ورد البعث في القرآن بهذا المعنى الذي هو إخراج الناس من قبورهم أحياء، وكان المشركون ينكرونه ويستهزئون برسول الله ﷺ

حين يخبرهم بوقوعه ويستعجلونه، ولهذا عنى القرآن بتوكيده وأقسم عليه، وأكثر من إيراد الأدلة المثبتة له، كقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ ٧٨ ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ ٧٩ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ ٨٠ ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ ٨١ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ٨٢ ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِينُ مَلَائِكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٨٣ [يس: ٧٨-٨٣].

والإيمان بهذا البعث أحد أركان الإيمان الستة التي وردت في حديث جبريل عليه السلام حيث قال له الرسول ﷺ حين سأله عن الإيمان: (أنت تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر) (١).

وقد اختلف الناس في كيفية هذا البعث فمنهم من زعم أن هذه الأجساد التي كانت في الدنيا تعدم بالكلية، ثم يوجدهم الله بعد العدم إيجاداً مثل الإيجاد الأول.

ومنهم من ذهب إلى أن الله ينشئ أجساداً جديدة لا صلة لها بالأجساد الأولى، ويعيد الأرواح إليها. وكلا الرأيين خطأ محض، وضلال بين، بل الذي دل عليه صريح الكتاب والسنة أن هذه الأجساد

(١) البخاري (٤٤٩٩)، ومسلم (١٠) واللفظ له.

التي في الدنيا هي التي تبعث بأن يجمع الله أجزاءها المتفرقة، ويؤلف بينها، ويخلقها خلقاً جديداً، ويعيد الأرواح إليها، وهو الذي يقتضيه عدل الله ورحمته؛ فإن هذه الأجساد هي التي باشرت الطاعة والمعصية في الدنيا، فلا بد أن تباشر جزاء ذلك أيضاً، إما ثواباً ولذة على الطاعة، وإما عقوبة وألماً على المعصية.

على أن البعث لو كان متعلقاً بأجساد جديدة بالكلية لما استبعده المشركون، فإنهم يرون كل يوم ما لا يحصى من الأشخاص التي يخلقها الله بالولادة، بل كان منطاب عجبهم هو أن هذه الأجساد التي بليت وتفتت وضلت في الأرض كيف تعود إليها الحياة مرة أخرى.

ولقد حكى القرآن شبهتهم هذه أكثر من مرة كقوله: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفَتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الاسراء: ٤٩].

وكقوله: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ [السجدة: ١٠].

ومن المعاني التي وردت في القرآن الكريم كذلك إيقاظه سبحانه النائمين برد أرواحهم التي خرجت عند النوم إليهم كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثْكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٦٠].

وكقوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ [الزمر: ٤٩].

ومنها: بعث الرسل عليهم الصلاة والسلام قومهم مبشرين ومنذرين وبه معرفين وإليه داعين كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦].

وأما اسمه تعالى (الوارث): فمعناه الذي يصير وينتهي إليه كل شيء بحيث لا يبقى لأحد معه شبهة ملك ولا شائبة تصرف في شيء من الأشياء فإن الله خلق لبني آدم جميع ما في الأرض، وسخره لهم، وملكهم إياه، وأذن لهم في الانتفاع به مدة بقاء هذه الدنيا، فإذا مات الناس وقامت القيامة آلت هذه الأشياء كلها إلى مالكتها الحقيقي جل شأنه.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الحجر: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ زَرْثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [مریم: ٤٠].

يقول الغزالي: الوارث هو الذي يرجع إليه الأملاك بعد فناء الملاك، وذلك هو الله سبحانه، إذ هو الباقي بعد فناء خلقه. وإليه يرجع كل شيء ومصيره، وهو القائل إذ ذاك ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] وهو المجيب: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: ١٦].

(الشهيد): ومن أسماء الله سبحانه (الشهيد): وهو اسم فاعل بمعنى شاهد ولكنه أبلغ منه، وهو إما عن الشهادة بمعنى الإخبار عن الشيء بما علمه منه إخباراً يتضمن معنى الإلزام والحكم، أو من الشهادة بمعنى الحضور مع الشيء بأن يحيط به علماً ورؤية لا يفوته منه شيء .

والمعنيان ثابتان لله عز وجل وكلاهما وارد في القرآن الكريم.

فمن الأول قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ أَنْزَلْنَاهُ وَعِلْمُهُ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦].

وقوله: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩].

وقوله: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا لَوْ شَهِدْنَا لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

ومن الثاني: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٨]، أي مطلع عليه وحاضر عند عمله.

وقوله: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [فَلَنَقْصُصَنَّ عَلَيْهِمْ بِعَمَلِهِمْ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠].

فإن نفي غيبته سبحانه مستلزم لشهوده وحضوره.

وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا

كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦٦﴾ [يونس: ٦٦].
 وقوله: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سبا: ٤٧].

وقوله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦٠].

وأكثر ما يأتي اسمه تعالى (الشهيد) بهذا المعنى.

وهو يرجع إلى علمه تعالى وخبرته وإحاطته بأحوال العبد كلها حتى كأنه حاضر معه . ولهذا كان لهذا الاسم تأثير عظيم جدًا في استقامة أحوال المؤمن، فإنه إذا علم أن الله يراه، وأنه معه حيث كان، وأنه رقيب ومطلع عليه، لا شك يتأدب مع الله عز وجل غاية الأدب، ويستحق منه تعالى أن لا يراه حيث نهاه، أو يفقده حيث أمره، فلا يقصر في طاعة، ولا يقدم على معصية، ويصل بذلك إلى مقام الإحسان، وهو أن يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإن الله عز وجل يراه.

وفي الحديث الصحيح: (صرح الإيمان أن تعلم أن الله معك حيث كنت) ^(١).

(١) الطبراني في مسند الشاميين (٥٣٥)، وأبو نعيم (٦/ ١٢٤). وقال: غريب. كلاهما بلفظ: (أفضل الإيمان).

وفي حديث آخر: (استمع من الله عز وجل استحياءك من رجلين من صالحي عشيرتك لا يفارقانك) ^(١).

(الحق): ومن أسمائه الحسنى (الحق)، الحق: اسم فاعل من حق الشيء يحق حقاً إذا ثبت ووجب، ويقابله الباطل الذي لا حقيقة له ولا ثبات.

وقد ورد هذا الاسم كثيراً في الكتاب الكريم والسنة المطهرة. فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: ٦].

وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥].

وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [القان: ٣٠].

وقوله: ﴿قَدْ أَلَكُمُ اللَّهُ رَبَّكُمُ الْحَقَّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرِفُونَ﴾ [يونس: ٣٢].

(١) البيهقي في الشعب (٣٧٣٨)، بنحوه. وقال: إسناده ضعيف، وله شاهد ضعيف.

وأما من السنة فقد ورد في الصحيح عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل يقول: (اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض وما فيهن ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض وما فيهن، أنت الحق، وعدلُ حق ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، ومحمد حق، والنبيون حق الخ) ^(١).

والحق من الأسماء المشتركة بين الله عز وجل وبين غيره فإنه يطلق على كل ما له حقيقة وثبوت من الأشخاص والعقائد والأخبار وغيرها، كم، يقال للشيء الذي يجب عليك نحو غيرك أنه حق.

فحق الله على عباده أن يعبدوه وأن لا يشركوا به شيئاً، وحق الوالدين على ولدهما أن يحسن إليهما، وأن يبرهما الخ.

ولكن الحق المطلق الذي لا باطل معه بوجه من الوجوه ليس إلا الله عز وجل وصفاته، فقلوه الحق، وله دعوة الحق، وله الملك الحق يوم القيامة.

يقول الغزالي في كتابه «المقصد الأسنى» عند شرحه لهذا الاسم:

(وعند هذا تعرف أن الحق المطلق هو الوجود الحقيقي بذاته الذي يأخذ منه كل حق حقيقته. وقد يقال أيضاً للمعقول الذي صادف به العقل الموجود حتى طابقه أنه حق، فهو من حيث ذاته يسمى موجوداً، ومن

(١) رواه البخاري (١١٢٠)، ومسلم (٧٦٩).

حيث إضافته إلى العقل الذي أدركه على ما هو عليه يسمى حقًا. فإذا أحق الموجودات بأن يكون حقًا هو الله تعالى، وأحق المعارف بأن يكون حقًا هو معرفة الله - تعالى - فإنه حق في نفسه أي مطابق للمعلوم أزلاً وأبدًا ومطابقة لذاته لا لغيره لا كالعلم بوجود غيره فإنه لا يكون إلا ما دام ذلك الغير موجودًا، فإذا عدم عاد ذلك الاعتقاد باطلاً. وذلك الاعتقاد أيضًا لا يكون حقًا لذات المعتقد لأنه ليس موجودًا لذاته، بل هو موجود لغيره. وقد يطلق ذلك على الأقوال فيقال: قول حق، وقول باطل. وعلى ذلك فأحق الأقوال قول: لا إله إلا الله، لأنه صادق أزلاً وأبدًا لذاته لا لغيره. فإذا يطلق الحق على الوجود في الأعيان وعلى الوجود في الأذهان وهو المعرفة وعلى الوجود الذي في اللسان وهو المنطق.

فأحق الأشياء أن يكون حقًا هو الذي يكون وجوده ثابتًا أزلاً وأبدًا، ومعرفته حقًا أزلاً وأبدًا، والشهادة له حقًا أزلاً وأبدًا، وكل ذلك لذات الموجود الحقيقي لا لغيره^(١).

(البديع والهادي): ومن أسمائه الحسنَى سبحانه (البديع والهادي): وكلاهما مذكور في القرآن الكريم، ودال على صفة من صفات الفعل التابعة لمشيئته تعالى وقدرته.

(١) المقصد الأسنى ص ١٢٦ .

أما البديع فهو فعيل بمعنى مفعول، ومعناه الخالق للأشياء والمخترع لها عن غير مثال سابق.

قال الراغب: «الإبداع إنشاء صنعة بلا احتذاء واقتداء، ومنه قيل: (ركية بديع) أي جديدة الحفر. وإذا استعمل في الله فهو إيجاد الشيء بغير آلة ولا مادة ولا زمان ولا مكان، وليس ذلك إلا لله»^(١).

والبديع يقال للمبدع نحو قوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

[البقرة: ١١٧].

ويقال للمبدع (ركية بديع) وكذلك (البدع) يقال جميعاً بمعنى الفاعل والمفعول.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنَّا نَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحاف: ٩].

والعجب من قول الراغب: إذا استعمل في الله تعالى كان معناه إيجاد الشيء بغير آلة ولا مادة ولا زمان ولا مكان وليس ذلك إلا لله.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾

[النحل: ٤٠]، فكيف يتصور الإيجاد من غير مادة ولا زمان ولا مكان مع أن هذه الثلاثة لازمة للخلق، فإن كل مخلوق لا بد له من مادة سابقة عليه.

لا بد أن يكون وجوده مبتدأ من لحظة معينة في الزمان، ولا بد أن يكون وجوده كذلك في حيز ومكان .

ولعل مما يشهد قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] ، فإنها تدل على أن السماء كانت عند استوائه سبحانه إليها وقصده إلى خلقها كانت دخانًا .
وقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿﴾ [الرحمن: ١٥، ١٦] .

وقد روى مسلم في صحيحه: (خاف الله الملائكة من نور وفاق الجان من مارج من نار وخاف آدم مما وصف لكم) ^(١) .

والحاصل أن اسمه تعالى (البديع) دال على أنه مخترع الأشياء من غير أن يستعين في ذلك بخالق إذ لا خالق غيره سبحانه وهو الذي يبدئ الخلق ثم يعيده كما بدأه .

ولم يرد هذا الاسم الكريم في القرآن الكريم إلا مرتين:

إحدهما: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ ۚ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَدْتُونَ﴾ بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّا يَقُولُ لَهُ ۚ وَكُنْ فَيَكُونُ ﴿﴾ [البقرة: ١١٦، ١١٧] .

والثانية: ﴿بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنِّي يَكُونُ لَهُ ۚ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ ۚ صَاحِبَةً ۚ وَخَلَقَ كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠] .

(١) رواه مسلم (٢٩٩٦) .

وأما اسمه تعالى (الهادي) فهو اسم فاعل من الهدى الذي هو مقابل الضلال.

ومعناه كما قال (ابن الأثير): هو الذي بصر عباده، وعرفهم طريق معرفته حتى أقروا بربوبيته، وهدى كل مخلوق إلى ما لا بد له منه في بقائه ودوام وجوده.

وقد ورد هذا الاسم كثيراً في القرآن أحياناً بلفظه كقوله تعالى:

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤].

وأحياناً بصيغ الفعل المنصرف منه كقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي

أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

وكقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [الأنعام: ١٣٠]،

وقوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦].

وقوله تعالى في شأن تحويل القبلة: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ

عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٤]، إلى غير ذلك من الآيات التي لا تكاد تحصر في

نسبة الهداية والضلال إلى الله عز وجل.

ولكن ينبغي أن يعلم أن الهداية المختصة بالله جل شأنه هي خلقه

الهدى والضلال في قلب العبد؛ ولهذا نفاها الله عن نبيه ﷺ حيث قال

تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ

بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ [القصر: ٥٦].

وأما الهداية بمعنى البيان والدلالة والإفهام فقد يوصف بها الرسول ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

ويوصف بها القرآن العظيم، كما في قوله: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الاسراء: ٩]، وقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٥٥﴾ [البائدة: ١٦، ١٥].

وفي الصحيح أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه: (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم^(١)).

وفي الدعاء الآخر: (اللهم اني اسألك التقى والهدى والعفاف والغنى)^(٢).
قال الراغب في (المفردات) ما ملخصه^(٣): وهداية الله تعالى للإنسان على أربعة أوجه:

(١) رواه مسلم (٧٧٠).

(٢) رواه مسلم (٢٧٢١).

(٣) المفردات ص ٨٣٥ - ٨٣٦.

الأول: الهداية التي عم بجنسها كل مكلف من العقل والفتنة والمعارف الضرورية التي أعم منها كل شيء بقدر فيه حسب احتماله كما قال: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ ﴿طه: ٥٠﴾.

الثاني: الهداية التي جعل للناس بدعائه إياهم على السنة الأنبياء وإنزال القرآن ونحو ذلك وهو مقصود بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ﴾ بَأْمَرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فَعَلِ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿الأنبياء: ٧٣﴾.

الثالث: التوفيق الذي يختص به من اهتدى وهو المعني بقوله: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧].

وقوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التحان: ١١].

وقوله: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ [يونس: ٩].

وقوله: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

الرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنة المعني بقوله: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا اللَّهُ ﴿[محمد: ٦٥]﴾.

وقوله: ﴿وَزَعْنَا مَا فِي صُورِهِمْ مِنْ غَلٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿[الأعراف: ٤٣]﴾.

وهذه الهدايات الأربع مترتبة، فإن من تحصل له الأولى لا تحصل له الثانية بل لا يصح تكليفه، ومن لم تحصل له الثانية لا تحصل له الثالثة والرابعة، ومن حصل له الرابع فقد حصل له الثلاث التي قبلها، ومن حصل له الثالث فقد حصل له اللذان قبله .

والإنسان لا يقدر أن يهدي أحداً إلا بالدعاء وتعريف الطرق ، دون سائر أنواع الهدايات.

والى الأول أشار بقوله: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ^{٥٤} إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿ ٥٣ ﴾ [الشورى: ٥٣، ٥٤].

وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ [الأنبياء: ٧٣] .

وقوله: ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ ﴿ [الرعد: ٧] .

وهي التوفيق الذي يختص به المهتدين، والرابعة التي هي الثواب في الآخرة وإدخال الجنة نحو قوله: ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٦] .

وكقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿ [النحل: ١٠٧] .

وكل هداية نفاها الله عن النبي ﷺ وعن البشر وذكر أنهم غير قادرين عليها، فهي ما عدا المختص من الدعاء وتعريف الطرق، وذلك كإعطاء العقل والتوفيق وإدخال الجنة، كقوله عز ذكره: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾ [النمل: ٨١]، ﴿وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾ [الزمر: ٣٦، ٣٧]، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [قصص: ٥٦].

وهكذا أطال الراغب وأجاد في ذكر أنواع الهداية وبيان ما هو مختص بالله جل شأنه وما هو مشترك بينه وبين غيره، إلا أنه لم يذكر الهداية العامة التي هدى الله بها كل مخلوق إلى القيام بالوظيفة التي هيأه لها بما منحه من الغرائز والقوى والآلات التي يحتاجها.

ولعل هذا النوع من الهداية الذي يرجع إلى الإلهام والتسخير هو المقصود في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

وقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الاعلى: ٣٠].
وقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٨، ٦٩].

(الرشيـد والصبور): ومن أسمائه الحسنـى سبحانه (الرشيـد والصبور):
ولم يجيء واحد منهما في القرآن الكريم وصفاً لله عز وجل بلفظه،
ولكن ورد كل منها وصفاً لبعض عباده كقول لوط - عليه السلام - لقومه
وهو يجادلهم في شأن ضيفه ويحذرهم من التعرض لهم بسوء: ﴿وَجَاءَهُ
قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ
أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨].

وكقول قوم شعيب عليه السلام له حين دعاهم إلى الله عز وجل:
﴿قَالُوا يَشْعِيبُ أَسْلَوْنَا تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا
نَشَاءُ إِنَّكَ أَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧].

وكقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ
آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [لقمان: ٣١].

أما الرشيـد فهو مشتق من الرشد الذي هو ضد الغي، ومعناه الذي لا
يقول ولا يفعل إلا ما كان صواباً.

فقوله سبحانه وفعله كله رشد وفي أعلى الغايات من الاستقامة
والسداد، لا يمكن أن يداخله شيء من الضلال أو الانحراف. فكلما ته
وأقواله القدريـة التي يوجد بها الأشياء ويدبر بها الأمور، كلها حق ورشد
لاشتمالها على الحكم والمصالح والغايات الحميدة، وعلى تمام
الحسن، ونهاية الإتيان، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
بِطِلَالٍ ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

وقال جل شأنه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادٍ﴾

[الأنبياء: ١٦].

وقال: ﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ [المعارج: ٣٩].

وقال: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ لِّمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨].

وقال جل شأنه: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة: ٧].

وأقواله وكلماته الشرعية الدينية وهي التي تكلم بها في كتبه وعلى السنة رسله رشد كلها، فإنها مشتملة على الصدق التام في الإخبار، والعدل التام في الأحكام، فلا أحد أصدق من الله قيلاً، ولا أحسن منه حديثاً.

قال تعالى: ﴿وَمَتَّ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

فهذه الكلمات من أعظم وأجل ما يرشد به العباد، بل لا يحصل لأحد الرشاد غيرها أصلاً، فمن ابتغى الهدى في غيرها أضله الله، ومن لم يسترشد بها في جميع أمره فليس هو برشيد. إذ يحصل بها الرشاد العلمي، وهو معرفة الحقائق التي لا سبيل إلى معرفتها إلا من طريق الوحي، والوقوف على المصالح والمضار الدينية والدنيوية ويحصل بها كذلك الرشاد العملي، فإنها تركي النفوس، وتطهر القلوب، وتدعو إلى

أصلح الأحوال، وأحسن الأخلاق، وترغب في كل جميل، وترهب من كل ذميم رذيل.

وبالجملة فإن الله سبحانه لم يجعل لأحد عليه حجة بعد بعثته للرسول وإنزاله الكتب المشتملة على الهدى والإرشاد الكامل. فهو سبحانه الرشيد الذي كم بفضله هدى ضالاً وأرشد حائرًا، وخصوصًا من تعلق به، وطلب الهدى منه من صميم قلبه، وعلم أنه المنفرد بالهداية.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله في القصيدة النونية^(١):

وهو الرشيد فقله وفعاله رشد وربك مرشد الحيران

وكلاهما حق فهذا وصفه والفعل للإرشاد ذاك الثاني

وأما اسمه تعالى (الصبور) فإنه مبالغة من صابر، ومعناه: الكثير الصبر. والصبر في الأصل حبس النفس على ما تكره من الآلام والمشقات انتظارًا لحسن العاقبة، ونفي الهلع والجزع عنها.

والصبر في حقه - سبحانه - معنى يليق بذاته إذ لا يبلغ أحد من العباد صبره. والمراد به حلمه - سبحانه وتعالى - على أعدائه، ومتابعة نعمه عليهم، وعدم معالجتهم بالعقوبة مع إيذائهم إياه بتكذيبه ومعاندة رسله، قال ﷺ في الحديث الصحيح: (لا أحد أصبر على أذى سمع من الله عز وجل، يجعلون له الولد وهو يعافهم ويرزقهم)^(٢).

(١) شرح القصيدة النونية (٢/٢٣٣).

(٢) رواه البخاري (٦٠٩٩)، ومسلم (٢٨٠٤).

وثبت في الصحيح - أيضًا - قال تعالى: (كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتني ابن آدم ولم يكن له ذلك، فأما تكذيب إياي، فقول: لنبي يعيدني كما بداني، وليس أول الخلق باهون علي من إعادته، أما شتم إياي فقول: إن لي ولذا، وأنا الواحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) ^(١).

فالله تعالى يدرّ على عباده الأرزاق، المطيع منهم والعاصي، والعصاة لا يزالون في محاربتة وتكذيبه وتكذيب رسله والسعي في إطفاء دينه . والله تعالى حلیم صبور على ما يقولون وما يفعلون، يتتبعون في الشرور وهو يتابع عليهم النعم، فلا أحد أكمل صبرًا من الله عز وجل؛ لأنه صبر عن كمال قدرة، وكمال غنى عن الخلق، وكمال رحمة وإحسان، فتبارك الرب الرحيم الذي ليس كمثله شيء، الصبور الذي يحب الصابرين ويعينهم في كل أمورهم ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

(الواجد): ومن أسمائه الحسنی سبحانه: (الواجد) وهو من الوجد بضم الواو، بمعنى الغنى والسعة كما في قوله تعالى: ﴿أَسْكُنْهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ﴾ [الطلاق: ٦]، أي مما وجدتموه وقدرتم عليه.

ولم يذكر هذا الاسم في القرآن بلفظه ولكن مرادفه وهو (الغنى) قد ذكر كثيرًا في القرآن فإن الاسمين بمعنى واحد أو هما على الأقل

(١) رواه البخاري (٣١٩٣).

متقاربان، فلا يتحقق الغنى إلا مع وجود الشيء وتملكه . وأما فقدته فهو الفقر أو العدم، فالغنى يقابله العدم.

ومعنى كونه تعالى (واجداً) أن كل أسباب الغنى حاصلة له، فهو لا يفتقر إلى شيء أصلاً، لا في وجوده، ولا فيما يجب له من صفات الكمال، فكلها حاصلة على أكمل وجه وأتمه من غير أن يفتقر في حصولها إلى أحد . فإن غناه وصف ذاتي له، لا ينفك عنه لحظة، فلا يتصور في حقه فقر ولا حاجة، كما أن فقر الأشياء كلها إليه فقر ذاتي، لا ينفك عنها لحظة، فلا يتصور لها استغناء عنه أبداً، لا في ابتداء وجودها، ولا في دوام وجودها، ولا فيما يمدها به من أسباب الترقى والكمال.

وإطلاق هذا الاسم على الله عز وجل خير من إطلاق هذا الاسم المحدث الذي يطلقه عليه علماء الكلام وهو قولهم (موجود) فإن الواجد كما قلنا أفاد استغناؤه في وجوده وفي جميع كمالاته عن غيره بخلاف الموجود فإنه يدل على ذلك . إذ من الموجودات ما هو ممكن محتاج في وجوده إلى غيره . ولهذا يحتاج هؤلاء إلى أن يقولوا: «موجود واجب الوجود».

ولا شك أن لفظ الوجد على اختصاره أفاد هذا المعنى وزيادة، فضلاً عما امتاز به مجيئه على اسم الفاعل دون اسم المفعول.

وحينئذ فلا يجوز أن يعدل عن ألفاظ الشرع إلى تلك الألفاظ المحدثه المبتدعة . فإن ألفاظ النصوص فيها من الدقة والعمق والدلالة على المعنى المقصود ما لا يمكن أن يتوفر في الشرع وألفاظ أهل البدعة.

فنقول: لقد سمي الله عز وجل نفسه في كتابه (الأول) فوضع المتكلمون بدلاً عنه القديم، وأنت إذا تأملت هذا اللفظ وجدته مع استهجانته في النطق لا يدل على المعنى المطلوب، وهو تقدمه تعالى على كل شيء، فإنه موضوع لكل ما تقدم بالزمان على غيره سواء كان تقدماً مطلقاً أو نسبياً، ولهذا توصف به بعض الحادثات باعتبار تقدمها على غيرها مما يسمى جديداً بالنسبة لها؛ كقول أبناء يعقوب عليه السلام له: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيرِ﴾ [يوسف: ٩٥].

وكقوله تعالى من سورة يس: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾ [يس: ٣٩].

وكقول إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۖ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ أَتَقْدُمُونَ﴾ [الشعراء: ٧٥، ٧٦].

وكقول الفقهاء: قال الشافعي في المذهب القديم كذا، وقال في الجديد كذا.

وأما لفظ (الأول) فإنه مع حلاوة جرسه يدل على سبقه سبحانه وتعالى للأشياء كلها بحيث لا يكون شيء منها سابقاً عليه، ولا مقارناً له؛ ولهذا فسرهُ الرسول ﷺ بقوله: (أنت الأول قليس قبلك شيء) ^(١).

كما يدل على أن الأشياء كلها آيلة ومستندة إليه؛ فإن الأول مأخوذ

(١) رواه مسلم (٢٧١٣).

من الأول، وهو الرجوع والانتها، فهو مبدأ كل موجود، ونهاية كل مقصود.

(الماجد والمجيد): ومن أسماء الله الحسنى كذلك (الماجد والمجيد) وهما من المجد الذي هو الشرف والسعة وكثرة الخير، فهو إلى كثرة الصفات الوجودية وسعتها وبلوغها غاية الكمال والعظمة، كما يدل على عظيم فضله وإحسانه وبره وجوده.

وقد ورد في القرآن اسمه تعالى (المجيد) قال تعالى على لسان الرسل الذين جاءوا إلى إبراهيم للبشارة بإسحاق: ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥، ١٦].

فقد قرئ المجيد بالرفع على أنه اسم لله، كما قرئ بالجر على أنه صفة للعرش، والقراءة الأولى أولى وأصح^(١).

وقد ورد في الصحيح أنه ﷺ كان يقول أحياناً عند الرفع من الركوع: (اللهم ربنا لك الحمد، ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد)^(٢).

(١) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ٣٦٧.

(٢) رواه مسلم (٤٧٧).

ويقول أمية بن أبي الصلت في بعض شعره في التوحيد:

مجدوا الله فهو للمجد أهل ربنا في السماء أمسى كبيراً
بالبناء الأعلى الذي بهر النا وسوى فوق السماء سريراً
شرجعاً^(١) ما يناله بصر العين ترى حوله الملائك صوراً^(٢)

وكثيراً ما يجمع بين اسمه تعالى (الحميد) وبين اسمه (المجيد) كما في الآية السابقة، وكما في قولنا في التشهد عند الصلاة على النبي ﷺ: (إنك حميد مجيد)^(٣).

والحكمة في هذا الاقتران أن الحمد دال على كمال الأفعال، والمجد دال على كمال الصفات؛ فمن جمع بينهما فقد أثبت لله الكمال كله في صفته وفعله.

وإذا كانت أسماؤه عز وجل وما تتضمنه من معان ومدلولات مما لا يفي به الحصر، ولا يمكن أن يتسع له جهد بشر، فإنني أكتفي بهذا القدر الذي قدمته في التعليق على ما تقدم من الأسماء الحسنى التي تعتبر كالأصول لما دونها.

(١) الشرجع: العالي البعيد.

(٢) الصور: جمع أصور، وهو المائل العنق.

(٣) رواه البخاري (٤٧٩٧، ٦٣٥٧)، ومسلم (٤٠٦).

قواعد هامة في باب الصفات

وأذكر هنا جملة من القواعد الهامة التي تجب مراعاتها في باب الصفات عامة، وهي قواعد تعصم المتمسك بها من الزيغ والانحراف في هذا الباب الذي ضل فيه كثير من الطوائف لعدم اتباعهم للنصوص من الكتاب والسنة، وتعويلهم على ما يسمونه عقلية أو مكاشفات صوفية أو غير ذلك مما ابتدعه الناس بأهوائهم فأضلهم عن المنهج الصحيح في هذا الباب، بل وفي كل ما أخبر عنه الشرع من الغيوب التي لا مجال للعقول في بحثها والتفتيش عنها . ووظيفتها فقط أن تؤمن بصدق الخبر عنها، ولا تجعله من مجالات العقول، ثم تمسك عما وراء ذلك من حقائق هذه الأخبار وكيفياتها.

وإليك أيها القارئ بعض هذه القواعد، فاحفظها وتفهمها لتكون من المهتدين على بصيرة:

أولاً: ليس كل ما يجوز الإخبار به عنه سبحانه يكون أوسع مما يدخل في باب الأسماء والصفات، وذلك مثل:

الشيء والموجود والقائم بنفسه، وغيرها من الألفاظ التي تتضمن معاني صحيحة، ولكن لم يرد الشرع بتسميته سبحانه بها، فهي إخبار عنه وليست أسماء.

ثانياً: إن الصفة إذا كان إطلاقها محتملاً للكمال والنقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه بل لا يطلق عليه منها إلا ما كان كمالاً، وذلك مثل: المرید، والفاعل، والصانع، فلا يجوز أن يسمى في حال الإطلاق، بل لا بد من تقييدها بما يجعلها متمحضة للكمال كقوله تعالى: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]، وكقوله: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

ثالثاً: أنه لا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيداً أن يشتق له منه اسم مطلق، فلا يجوز مثلاً أن يسمى ماكرًا لأنه قال: ﴿وَمَكْرُؤٌ وَّمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤].

ولا فائتاً لأنه قال: ﴿لَقَدْ تَنَبَّهَ فِيهِ﴾ [طه: ١٣١].

ولا كائداً ولا مضلاً ولا مستهزئاً أخذاً من الآيات التي نسبت إليه ذلك فعلاً.

فهذه كلها من باب الإخبار لا الأسماء.

رابعاً: إن الاسم إذا أطلق عليه سبحانه جاز أن يشتق منه المصدر والفعل، وأن يقع كل منهما خبراً، وذلك مثل: السميع، البصير، القدير، فيقال هو ذو سمع وبصر وقدرة، كما قال: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَخَاوَرُكُمْ إِنَّا اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]. وكما قال: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات: ٤٣].

خامساً: إن أسماءه سبحانه كلها حسنى، ليس فيها اسم غير ذلك أصلاً. وإذا كان هناك من الأسماء ما يطلق عليه باعتبار الفعل نحو

الخالق والرازق والمحيي والمميت، فهي تدل على أن أفعاله كلها خير محض لا يدخلها الشر بوجه، إذ لو فعل الشر لجاز أن يشتق له منه اسم، ولم تكن أسماؤه كلها حسنى . فالشر لا يضاف إليه سبحانه، لا فعلاً ولا وصفاً، وإنما يدخل في مفعولاته التي هي مخلوقة منفصلة عنه.

سادساً: إن كل ما يطلق عليه وعلى غيره من الأسماء والصفات له ثلاث اعتبارات؛ لأنه إما أن يؤخذ من حيث هو بقطع النظر عن تقيده بالرب تبارك وتعالى أو بالعبد.

وإما أن يؤخذ مضافاً إلى الرب مختصاً به . وإما أن يؤخذ مضافاً إلى العبد مقيداً به .

فما أخذ مضافاً إلى العبد فهو صفته التي يتنزه عنها الخالق . وما أخذ مطلقاً غير ثابت للرب والعبد، وللرب منه ما يليق بكماله، وللعبد منه ما يليق به . وهذا كاسم السميع الذي يلزمه إدراك المسموعات، والبصير الذي يلزمه رؤية المبصرات، والعليم، القدير، وسائر الأسماء؛ فإن شرط صحة إطلاقها حصول معانيها وحقائقها للموصوف بها، فما يلزمه هذه الأسماء لذاتها عند الإطلاق فإثباته للرب جل شأنه لا محذور فيه بوجه، ولكن تثبت له على وجه لا يماثله فيه خلقه، فمن نفاه عنه لإطلاقه على المخلوق ألحد في أسمائه وجحد في صفات كماله . ومن أثبتته على وجه يماثل فيه خلقه به فقد شبهه بخلقه، ومن شبه الله بخلقه، فقد كفر .

وأما من أثبتته له على وجه لا يماثل فيه خلقه بل كما يليق بجلاله وعظمته فقد برئ من التعطيل والتشبيه جميعاً . وهذا هو طريق أهل السنة الوسط بين الفريقين .

سابعاً: إن الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تحد بعدد، فإن لله تعالى من الأسماء والصفات ما استأثر هو بعلمه، فلا يعلمه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، كما في الحديث الصحيح: (إِسْمُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ، أَوْ أُنْزِلَتْ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلِمَتْهُ أُمَّةٌ مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرَتْ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ) ^(١) .

وكما في قوله عليه السلام: (سُبْحَانَكَ لَا أَعْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَتَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ) ^(٢) .

ثامناً: إن من أسمائه الحسنى ما يكون دالاً على عدة صفات بحيث يكون متناولاً لجميعها تناول الاسم الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه الخ . ثم قال: هذه صفته لا تنبغي إلا له ليس له كفواً أحد، وليس كمثله شيء سبحانه الله الواحد القهار .

تاسعاً: إن الإلحاد في أسمائه تعالى أنواع:

أحدها: أن يسمى الأصنام بها كتسميتهم الصنم إلهاً، وهذا إلحاد

(١) أحمد (١/ ٣٩١، ٤٥٢)، وأبو يعلى (٥٢٩٧).

(٢) رواه مسلم (٤٨٦).

حقيقة لأنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

الثاني: تسميته بما لا يليق به، كتسمية النصارى له أبا، وتسمية الفلاسفة له موجبًا بذاته، أو علة فاعلة بالطبع، أو نحو ذلك.

ثالثها: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص، كقول اليهود قبحهم الله: إنه فقير، وأنه استراح يوم السبت بعد أن فرغ من الخلق، وقولهم: يد الله مغلولة.

رابعًا: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها، كقول من يقول من الجهمية، إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني، وأنها أسماء مترادفة مدلولها هو نفس الذات، فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم، ويقولون لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة.

وهذا من أعظم الإلحاد في أسمائه، فإن كل من جحد شيئًا مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله فقد ألحد في ذلك.

وخامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه، تعالى الله عما يقوله هؤلاء المشبهة . وإلحاد هؤلاء يقابله المعطلة؛ فإن أولئك نفوا صفات كماله وجحدوها، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه . فجمعهم الإلحاد وإن تفرقت بهم سبله.

وبرأ الله أتباع رسوله وورثته القائمين بسنته عن ذلك، فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه، ولم يجحدوا صفاته، ولم يشبهوها بصفات خلقه، ولم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظًا ومعنى، بل أثبتوا له الأسماء

والصفات، ونفوا عنه مشابهة المخلوقات، فكان إثباتهم بريئاً من التشبيه، وكان تنزيههم خلياً من التعطيل، والله يهدي من يشاء إلى سواء السبيل.

سبق أن ذكرنا أن صفاته عز وجل تنقسم إلى صفات ذاتية لازمة لذاته لا تنفك عنها ولا تكون تابعة لمشيئته تعالى وقدرته: مثل علمه وحياته وعظمته وكبريائه ومجده وجلاله.

وإلى صفات فعلية لا تكون لازمة للذات وأبداً بل تحدث في ذاته بقدرته تبعاً لمشيئته تعالى وحكمته، وذلك مثل محبته ورحمته ورضاه وغضبه وعفوه وانتقامه، ومثل صفات الخلق والرزق والإعطاء والإحياء والإماتة والإشقاء والإسعاد والإضلال والهداية ... الخ.

وقد اختلف الناس في صفات الأفعال هذه اختلافاً كبيراً ليس سببه أبداً اشتباهاً في النصوص ولا غموضاً في الإفهام والدلالة؛ فإن النصوص في هذا الباب صريحة كل الصراحة لا تلتوي إلا على ذوي الأفهام المدخولة والبصائر التي تدنس بأرجاس الكلام الباطل والفلسفات الوثنية الجائرة فعميت عليها السبل ولم تهتد إلى الحق الصريح من كلام الله وكلام رسوله ﷺ.

لقد اتفق المتكلمون من معتزلة وأشعرية على نفي صفات الأفعال فليس لله عندهم فعل يكون صفة له قائمة به، فخلقه تعالى للأشياء لا يستلزم أن تقوم به صفة هي الخلق، ورزقه للعباد لا يستلزم به الرزق، وهكذا في كل صفات الأفعال.

وحجتهم في ذلك أن هذه الأفعال إذا وجت لا تكون إلا حادثه، وبناء على ما أسسوه من قواعد الكلام الباطل يمتنع عندهم قيام الحادث بالقديم، فلا يتجدد عندهم في ذاته شيء، ولا يحدث له معنى لم يكن، بل هو الآن على ما عليه كان، وسلطوا النفي والتأويل على كل ما تضمنته نصوص الكتاب والسنة من صفات الأفعال، وأرجعوها إلى تعلقات وإضافات لصفتي القدرة والإرادة

فهو عندهم لم يزل متكلمًا بكلام هو معنى قائم بذاته ليس بحرف ولا صوت، ولم يزل محبًا لمن علم أنه يموت مؤمنًا ولم يزل ساخطًا على من علم أنه يموت كافرًا.

ولا معنى لمحبهته إلا إرادة الثواب، ولا لكراهيته إلا إرادة العقاب، ولا لرحمته إلا إرادة النفع والإحسان إلى عباده، إلى غير ذلك مما امتلأت به كتبهم، ولا سيما طائفة الأشعرية الذين يزعمون أنهم أهل السنة والجماعة.

وإنى أضع بين يديك أيها الأخ الكريم طائفة من نصوص الكتاب والسنة التي تثبت لله عز وجل الصفات الاختيارية والتي تشهد على هؤلاء المتكلمين بالزيغ والانحراف ومجانبة الحق في هذا الباب كما فعلوا بالنسبة للصفات الخبرية التي ورد بها النقل الصحيح كالوجه واليد والعين والاستواء والنزول لتعلم أن القوم إنما يتبعون أهواءهم، وأنهم لا يرجعون في شيء من عقائدهم إلا ما أسسه لهم أسلافهم في الضلال من الزنادقة والمتفلسفة، وأن آراءهم لا تمثل العقيدة الإسلامية لا من قريب

ولا من بعيد، وأن الحق في هذا الباب لا يمكن أن يعدو الكتاب والسنة، وأن الواجب الاعتصام بهما وحدهما في هذه المزالق الخطرة، وأن من قال في الله بغيرهما فقد افترى على الله الكذب، وقال عليه ما لا يعلم، وجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير وإليك الآيات والأحاديث بغير تعليق إذ هي أوضح من كل تعليق:

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤]، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا وَلَكِنَّ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تُخَفُّوْا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَوْهُ يُعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ٢٩]، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠، ١٤١].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ [آل عمران: ١٨١].

وقال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨١]، ﴿يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [آل عمران: ١٨١]، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٦-٢٨].

وقال سبحانه تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾
[المائدة: ٤١]، ﴿قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بِشِرِّ مِنَ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ
وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠]، ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ
أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ قَالَوَا لَا عِلْمَ لَنَا بِئِنَّكَ
أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [إذ قال الله يلعن ابن مريم أذكر نعمتي عليك وعلى
وَالِدَتِكَ] [المائدة: ١٠٩، ١١٠].

وقال جل شأنه: ﴿يَسْأَلُ اللَّهُ يُضِلُّهُ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
[الأنعام: ٣٩]، ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ
يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأْتَمَّا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا
الْعِجْلَ سَيِّئًا لَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الأعراف: ١٥٤]،
﴿وَكَتَبْنَا لَهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ [الأعراف: ١٥٦]، ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا
سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٣، ١٨٤]، ﴿وَأَمْلَى لَهُمْ أَنْ كِيدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْلَمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّقًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَى فِتْنَةٍ
فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ١٦]، قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ
وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]، ﴿إِنْ تَتَّقُوا
اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]، ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى

إِنَّ يَعْلَمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾ [الأنفال: ٧٠].

وعدنا فيما سبق أن نذكر بقية الآيات والأحاديث الدالة على ما اتصف به سبحانه من صفات الأفعال الاختيارية المتعلقة وقدرته والتي نفاها علماء الكلام الباطل من المعتزلة والأشعرية بناء على أصلهم الفاسد في امتناع قيام الحوادث بذاته، والتزموا من أجل ذلك تأويل ما لا يحصى من نصوص الكتاب والسنة، ونحن نفى إن شاء الله بما وعدنا به، ونذكر بقية الآيات المتعلقة بهذا الموضوع، ثم نتبعها بما صح من أحاديث رسول الله ﷺ.

يقول الله تعالى من سورة الأنفال: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنفال: ٧١، ٧٢].

﴿إِذْ يَعْشِقُكُمُ الثَّعَالِ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿٧٣﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْي مَعَكُمْ فَقَنُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنفال: ٧٣، ٧٤].

﴿وَإِذْ يَتَكْرَبُكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَتُوشِكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَتَكْرَهُونَ وَيَتَكْرَهُ اللَّهُ خَيْرَ الْمَكْرِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنفال: ٧٥].

ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ۖ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٧٠﴾
[الأنعام: ٧٠].

ويقول سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَةً ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٦﴾
[التوبة: ١٦].

ويقول: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَاَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنَّ اللَّهَ أَنْبَأَهُمْ فَتَبَّهَتْهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ٤٦﴾ [التوبة: ٤٦].

ويقول: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ٥٠﴾ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٥١ وَعَاخِرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥٢ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ٥٣ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ٥٤﴾ [التوبة: ١٠٤-١٠٨].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۗ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ۗ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ

فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٠﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُوهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١١﴾ [يونس: ١٠، ١١]

ويقول منها كذلك: ﴿قُلْ مَن رَزَقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَبْدُوهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلْ اللَّهُ يَبْدُوهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَن يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٤﴾ [يونس: ٣١-٣٥]

ويقول جل شأنه: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ [هود: ٣٤]

ويقول ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبْنَائِكَ مِن قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنْ رَبُّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٦﴾ [يوسف: ٦]

ويقول من نفس السورة: ﴿قَبْدًا بَأْوَعْتَهَا فَبَلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخَرَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ

نَزَعَ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ [يوسف: ٧٦].

ويقول: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٧٧﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٧٨﴾ سَوَاءٌ مِّنْكَ مَن أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿٧٩﴾ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مَن أَمَرَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَ حَتَّىٰ يَغْيُرُوا مَا بَأْنَفْسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِّنْ وَالٍ ﴿٨٠﴾﴾ [الرعد: ٨-١١]، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٨١﴾ يَخُونُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُبْثِلُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٨٢﴾﴾ [الرعد: ٢٨، ٢٩]، ﴿يُبْثِلُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٨٣﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِتْرَافًا وَكَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٤﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [النحل: ٢٢، ٢٣]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِبَيِّنَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٨٦﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِبَيِّنَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿٨٧﴾ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلَّا مَن أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٨٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ

الْعَفْلُونَ ﴿١٠٤﴾ [النحل: ١٠٤-١٠٨].

ويقول جل شأنه: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

ويقول من نفس السورة: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ يُخْشِرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَٰ وَكُفًّا وَضُمًّا مَّا وَهَّمَتْ جَهَنَّمُ كَلِمًا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

ويقول سبحانه: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا وَنَسُدِّيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥١-٥٣].

ويقول جل وعلا: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَىٰ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى أَنَا أَنَا أَنَا فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ [طه: ٩-١٣].

ويقول من نفس السورة: ﴿أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي إِذْ تَسْتَبِيحُ أَخْشَيْتُ فَقَوْلْ هَلْ أَذْلَكُكُمْ عَلَىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمَمِكَ كَتَبْنَا فِيهَا وَلَا تَحْزَنْ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَرَجَّيْنَاكَ مِنَ الْعَذْرِ وَقَتَلْنَا فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسَىٰ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِأَيْمَتِي

وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿١٦﴾ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَنذَكُرُ ﴿١٨﴾ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٢١﴾ ﴿طه: ٣٩-٤٦﴾.

ويقول سبحانه: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [الشعراء: ١٠٠-١١١].

ويقول من نفس السورة: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿١٠٢﴾ الَّذِي يَرِنُكَ حِينَ تَقُومُ ﴿١٠٣﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿١٠٤﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢٢٢].

ويقول: ﴿وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا وَمَكْرُئًا مَّكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [النمل: ٥٠].
ويقول: ﴿وَنُزِيدُ أَنْ تُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوْا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلُهُمْ أُتَمَّةً وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [القصص: ٥].

ويقول من نفس السورة: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [القصص: ٤٦].
﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [القصص: ٦٥].

ويقول: ﴿الرَّحْمَنُ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿١١٠﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿١١١﴾﴾ [العنكبوت: ١-٣].

ويقول في آخر السورة: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ويقول: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا
الْوَتَاقَ فَمَا مَثًا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ
مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٦٧﴾
سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٦٨﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦٩﴾﴾ [محمد: ٦-٦٩].

ويقول: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي
قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح: ١٨].

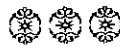
ويقول: ﴿وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ
وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ
وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٨٧﴾ فَضَلَّأَ مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨٨﴾﴾
[الحجرات: ٨٧، ٨٨].

ويقول: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ
يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [المجادلة: ١٠].

ولنهم

الدكتور / محمد غليل لراس

رحمه الله وغفر له، آمين



أولاً: فهرس أطراف الآيات القرآنية

الصفحة

السورة والآية

[الفاتحة]

١٥٦ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [٤]

٦٧ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [٥]

[البقرة]

٦٦ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ...﴾ [٥٤٤]

٣٤ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ...﴾ [٢٢، ٢٣]

١١٠ ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٢٢٩]

٢٥٠ ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ [٢٦٦]

١١٤ ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [٤٥]

١٠٥ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً...﴾ [٦٧]

١٣٧، ١٤ ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ [٧٨]

٢٤٩ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ...﴾ [١١٧، ١١٦]

٢٤٠ ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [١١٧]

٢٥١ ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلِهِمْ...﴾ [١٤٩]

٢٥٩ ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا...﴾ [٤٣]

السورة والآية	الصفحة
﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [١٤٣]	١١٤
﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [١٤٣]	١٥٤
﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [١٤٤]	٢٧١ ، ٢٨٤
﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ...﴾ [١٦٣]	٣١ ، ٣٥ ، ٤٦
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ [١٦٤]	٩١
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا...﴾ [١٦٥]	٥٧
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ...﴾ [١٧٩]	٩٧
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ...﴾ [١٨٣]	١٢٠
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ...﴾ [١٨٦]	٨٢
﴿وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ [١٨٨]	١٩١
﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى...﴾ [٢٣٩، ٢٣٨]	١١٢
﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٢٤٥]	١٦٠
﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا...﴾ [٢٥٠]	٢٥٥
﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا وَلَكِنَّ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [٢٥٣]	٢٧١
﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...﴾ [٢٥٥]	٣١ ، ٤٦ ، ١٤٨ ، ٢٠١
﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ...﴾ [٢٥٥]	١٤٣
﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [٢٥٥]	٢٠٢

السورة والآية

الصفحة

﴿وَلَا يَتُودُهُ، حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [٢٥٥].

٣١ ، ٢٠٥

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [٢٥٧].

٢٠٥ ، ٢٢٣

﴿فَأَمَّا تِلْكَ الْأُمَّةُ أُمِّيَّةٌ عَامِرَةٌ بَعَثَهُ﴾ [٢٥٩].

٢٤٠

﴿مِثْلُ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ [٢٦١].

٢٣٤ ، ٢٥٧

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى...﴾ [٢٦٤].

١١٦ ، ١٢٩

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ...﴾ [٢٧٠].

١٣٠

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [٢٧٢].

٢٥١

﴿وَأَمَّا الرُّسُولُ فَإِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنَ رَّبِّهِ...﴾ [٢٨٥].

١٥٧

[آل عمران]

﴿الرَّحْمَنُ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [١-٢].

٣١

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [٢].

٤٧

﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا...﴾ [٨].

١٧١

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ...﴾ [٩].

٢٣٨

﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [١٧].

٩٩

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ...﴾ [١٨].

٣١ ، ٥٥ ، ٢٣٥ ، ٢٤٤

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [١٨].

٢٥

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ...﴾ [٢٦].

١٨٢

الصفحة

السورة والآية

- ١٥٦ ﴿مَلِكُ الْمَلِكِ﴾ [٩٦].
- ٢٧١ ﴿قُلْ إِنْ تَخْشَوْنَ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَوْنَ بِعِلْمِ اللَّهِ...﴾ [٩٩].
- ٢٧١ ، ٢٣٠ ، ٥٨ ، ٥٧ ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي...﴾ [٣١].
- ١٨٦ ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا...﴾ [٣٥].
- ١٠٥ ﴿وَإِنِّي أَعِذُّهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [٣٦].
- ٢٦٥ ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [٥٤].
- ٣٢ ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ...﴾ [٦٤].
- ٢٥٤ ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ...﴾ [٨٦].
- ٢٤٤ ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِمَا بَيَّنَّتِ اللَّهُ...﴾ [٩٨].
- ١٠ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا...﴾ [١٠٥].
- ٢١ ﴿هٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [١٣٨].
- ٢٧١ ﴿وَلْيَعْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ...﴾ [١٤١، ١٤٠].
- ٢١٤ ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا الْكُفْرَ...﴾ [١٧٤، ١٧٣].
- ٦٠ ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [١٧٥].

[النساء]

- ٢١٦ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ...﴾ [١].
- ٢١٧ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١].

الصفحة	السورة والآية
٢١٥	﴿وَابْتَلُوا الَّذِينَ آمَنُوا حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ...﴾ [٦١].
٢١٧	﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُثَبِّتَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ...﴾ [٩٨-٩٦].
٢٠٤	﴿وَالَّذِينَ تَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ...﴾ [٣٤].
١٩١	﴿فَابْعَثُوا حَكَامًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَامًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [٣٥].
٢٣٦ ، ١٤٤	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ...﴾ [٤٠].
١٨٧ ، ١٨٥	﴿إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [٥٨].
٢١٥	﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحَيَّةٍ فَخَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا...﴾ [٨٦].
٨٠	﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ...﴾ [١١٩].
١١٢	﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ...﴾ [١٤٩].
٦٤	﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ...﴾ [١٤٥-١٤٧].
٢٤٤	﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ...﴾ [١٦٦].

[المائدة]

٢٥٢ ، ٢٢٠	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ...﴾ [١٦، ١٥].
٢٧٢	﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنُتْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [٤١].
١٩٠	﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَتَّبِعُونَ...﴾ [٥٠].
٢٣٠	﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [٥٤].
٢٢٥	﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ...﴾ [٥٥].

الصفحة

السورة والآية

- ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ...﴾ [٧٦.٧٥] . ٣٧
- ﴿لَيْسَ مَا قَدَّمْتَ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ...﴾ [٨٠] . ٢٧٢
- ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [٩٥] . ١٩٠
- ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ...﴾ [١٠٩] . ٢٧٢ ، ٢٣٩

[الأنعام]

- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾ [٦٠] . ٣٥
- ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُوا لِيَا فَاظِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ [١٤] . ٢٢٣ ، ١٧٤
- ﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [١٩] . ٢٤٤ ، ٢١٧
- ﴿يَشَاءُ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [٣٩] . ٢٧٢
- ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ...﴾ [٦٠] . ٢٤٢
- ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [٦٤] . ١٠٣
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى...﴾ [٧٠] . ٢٧٤
- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾ [٩٠] . ١٠
- ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ...﴾ [٩١] . ٧٧
- ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ...﴾ [٩١] . ١٥١ ، ٧٦
- ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى...﴾ [٩٩.٩٥] . ٣٥ ، ٢١
- ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ [١٠١] . ١٩٥ ، ١٤٣

الصفحة

السورة والآية

٢٥٠

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَارَ﴾ [١٠٣].

١٩٠ ، ١٩١

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا﴾ [١١٤].

٢٥٧ ، ٢٣٦ ، ١٤٣

﴿وَمَتَّ كَلِمَتَ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا...﴾ [١١٥].

٢٢١

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ...﴾ [١١٦].

٢٧٢ ، ١٨٣

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ، يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ...﴾ [١١٧].

٥٨

﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ [١٤٨].

٢٣٦

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا...﴾ [١٦٠].

١٣١ ، ٣٢

﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ﴾ [١٦٣، ١٦٤].

[الأعراف]

٢٤٤

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ...﴾ [٤٣].

٢١١

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ...﴾ [٧، ٦].

٥٤

﴿إِنْ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾ [٥٤].

٩٨ ، ٨٢

﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ...﴾ [٥٦، ٥٥].

١٥٤

﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ...﴾ [٨٩].

١٧٧

﴿قَالَ اقْرَأْ فَلَمَّا أَقْرَأَ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ...﴾ [١١٦].

١٤٥

﴿وَيَذَرُكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [١٢٧].

٩٨

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [١٤٣].

الصفحة

السورة والآية

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ...﴾ [١٥٩]. ٢٥٣
- ﴿وَأَكْثَبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ [١٥٦]. ٢٧٢
- ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ...﴾ [١٥٦]. ١٤٨ ، ٧٠
- ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ﴾ [١٨٠]. ٢٠٣
- ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِبَيِّنَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ...﴾ [١٨٣ ، ١٨٩]. ٢٧٢
- ﴿أَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ...﴾ [١٩٨ ، ١٩١]. ٣٨
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ...﴾ [١٩٤]. ٨٦ ، ٣٩
- ﴿وَأَذْكُرَنَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً...﴾ [٩٠٥]. ٧٠

[الأنفال]

- ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ...﴾ [٨٠٧]. ٢٧٣
- ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ...﴾ [٩]. ١٠١
- ﴿إِذْ يَعْشِيكُمْ النَّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ...﴾ [١٦٠]. ٣٧٣
- ﴿وَمَنْ يُؤْلَمْ يَوْمَئِذٍ ذُرُّهُ...﴾ [١٦]. ٢٧٢
- ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [٩٤]. ٢٧٢
- ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [٩٩]. ٢٧٢
- ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ [٣٠]. ٢٧٣
- ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ...﴾ [٤٩]. ٦٩

السورة والآية

الصفحة

- ٩ ﴿لَوْ أَفْقَتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا آَلَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [٦٣].
- ٢١٤ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٦٤].
- ٦٢ ﴿مَا كَانَ لَنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ ۖ حَتَّىٰ يَبْخَسَ فِي الْأَرْضِ...﴾ [٦٨.٦٧].
- ٢٧٢ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ...﴾ [٧٠].

[التوبة]

- ١١٣ ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخِذُوا مِنْكُمْ...﴾ [١١].
- ٢٢٥ ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا...﴾ [١٦].
- ٥٧ ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ...﴾ [٢٤].
- ٢٧٤ ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عُدَّةً...﴾ [٤٦].
- ١١٣ ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ نَفَقَتَهُمْ...﴾ [٥٤].
- ٢١٥ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ...﴾ [٥٩].
- ٢٢٥ ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [٧١].
- ٢٧٤ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ...﴾ [١٠٨-١٠٤].
- ١٨٩ ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ...﴾ [١٠٥].
- ٢٠١ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [١١٤].
- ٢١٥ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ...﴾ [١٢٩].

الصفحة

السورة والآية

[يونس]

- ٢٧٤ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾ [٤٠:٣].
- ٢٥٣ ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ [٩].
- ٨٤ ، ٨١ ، ٤٠ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ...﴾ [٨].
- ٩٣ ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [٨].
- ١٧٤ ، ١٥٣ ، ٣٣ ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...﴾ [٣١].
- ٢٧٥ ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...﴾ [٣١-٣٥].
- ٢٤٦ ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ...﴾ [٣٢].
- ١٦٢ ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ [٤٦].
- ٢٤٥ ، ٢١٦ ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ...﴾ [٦١].
- ٢٢٧ ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ...﴾ [٦٤-٦٥].
- ٤٠ ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً...﴾ [٧١].
- ٦٧ ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنْتُمْ مَآمَنُونَ بِاللَّهِ فَقَلِّبْهُ تَوَكُّلًا...﴾ [٨٤].
- ٨٧ ، ٨١ ، ٤١ ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ...﴾ [١٠٦].

[هود]

- ١١٦ ، ٦٥ ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيْنَتَهَا نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ...﴾ [١٦:١٥].
- ٢٧٥ ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ...﴾ [٣٤].

السورة والذية

الصفحة

- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ...﴾ [٤٧] ١٠٥
- ﴿إِنْ تَقُولْ إِلَّا اعْتَرَفَكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ [٥٤] ٤١
- ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُ وَأَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ...﴾ [٥٦، ٥٤] ٤٢ ، ٤٠
- ﴿رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [٥٦] ٢١١
- ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ...﴾ [٧٣] ٢٦٢
- ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ...﴾ [٧٨] ٢٥٦
- ﴿قَالُوا يَشْعِيبُ أَصْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا...﴾ [٨٧] ٢٥٦
- ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [٩٠] ٢٢٨
- ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [٩٠] ٢٢٩
- ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ...﴾ [١٠٦] ١٩٣
- ﴿وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ...﴾ [١٣٣] ٦٧

[يوسف]

- ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ يَخْتَبِكُ رَبُّكَ وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ...﴾ [٦] ٢٧٥
- ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [١٧] ١٦٠
- ﴿يَصْحَبِي السَّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ...﴾ [٤٠، ٣٩] ١٧٠
- ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ...﴾ [٧٦] ٢٧٦
- ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيرِ﴾ [٩٥] ٢١٦

الصفحة

السورة والآية

- ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مَا تَأْوِيلُ الْأَحَادِيثِ ... ﴾ [١٠١] . ٢٢٣
- ﴿ هَذِهِ سَبِيلُ أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [١٠٨] . ١٣٥

[الرعد]

- ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ... ﴾ [٤٠٩] . ٢٢
- ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [٧] . ٢٢٣
- ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ... ﴾ [٨-١٠] . ١٨٨ ، ٢٤٥ ، ٢٧٦
- ﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ... ﴾ [١٠] . ٨٨
- ﴿ لَهُ، مُعَقِّبَتٌ مِّنْ يَّتِي يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ... ﴾ [١١] . ١٩٩
- ﴿ لَهُ، دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ ... ﴾ [١٤] . ٤٢ ، ٨٨
- ﴿ إِنَّمَا يَنْذَرُكُمْ زُلُوفُ الْأَلْبَابِ ... ﴾ [١٩، ٢٠] . ٤٢
- ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ ... ﴾ [٣٨، ٣٩] . ٢٧٦

[إبراهيم]

- ﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [١٠] . ٢٣
- ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [١٢] . ٦٧
- ﴿ يَتَّبِعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ... ﴾ [٢٧] . ٢٧٦
- ﴿ وَءَاتَكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ... ﴾ [٣٤] . ٢١٣
- ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ [٣٩] . ١٨٦

الصفحة

السورة والآية

- ١١٥ ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾﴾ .
- ٢١٦ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلًا عما يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ .

[الحجر]

- ١١٥ ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ... ﴿١٩-٢١﴾﴾ .
- ١٧٤ ﴿وَأَنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾ .
- ٢٤٣ ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ .

[النحل]

- ١٥٠ ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ... ﴿٩١﴾﴾ .
- ٨٩ ، ٤٣ ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا ... ﴿٩١، ٩٠﴾﴾ .
- ٤٣ ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٩١﴾﴾ .
- ٢٧٦ ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ ... ﴿٢٣، ٢٢﴾﴾ .
- ٢٤٣ ، ١٥٠ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ... ﴿٣٦﴾﴾ .
- ٢٤٩ ، ١٤٥ ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ .
- ١٧٤ ، ١٧١ ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴿٥٣﴾﴾ .
- ٢٠٠ ﴿وَلَوْ يَوَاحِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمَ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ ... ﴿٦١﴾﴾ .
- ٢٢ ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ... ﴿٦٥، ٦٩﴾﴾ .
- ٢٥٥ ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ... ﴿٦٨، ٦٩﴾﴾ .

الصفحة

السورة والآية

- ٤٤ ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ...﴾ [٧٦، ٧٥].
- ١٠٤ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [٩٨].
- ٢٧٦ ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِبَآئِتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾ [١٠٨-١٠٤].
- ٢٥٤ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ...﴾ [١٠٧].

[الإسراء]

- ٢٥٢ ﴿إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [٩].
- ٢٠٠ ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ...﴾ [٤٤].
- ٢٤٢ ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَاتًا أَيْنَا لِمَبْعُوثُونَ...﴾ [٤٩].
- ٨٩ ، ٤٤ ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ...﴾ [٥٧، ٥٦].
- ١٩٢ ﴿وَلَا تَجِدُ لِسِنِّنَا تَحْوِيلًا﴾ [٧٧].
- ٢٧٧ ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ...﴾ [٩٧].
- ١١٠ ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ...﴾ [١١٠].

[الكهف]

- ٧٩ ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [٥].
- ٢٤٠ ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا...﴾ [١٢، ١١].
- ٧٠ ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنِ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ...﴾ [٢٨].
- ١٩٣ ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [٤٩].

السورة والآية

الصفحة

١٩٣

﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا...﴾ [٥٩].

٢٢٥

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي...﴾ [١٠٧].

٦٥

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا...﴾ [١١٠].

[مريم]

٩٨ ، ٨٢

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ وَنِدَاءً خَفِيًّا...﴾ [٣].

١٠٥

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ [١٨].

١١٥

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا...﴾ [٣١، ٣٠].

٢٤٣

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجِعُونَ﴾ [٤٠].

٢٧٧

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا...﴾ [٥٣، ٥١].

١٥٥

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ [٥٥].

١١٣

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ...﴾ [٥٩].

٢١١ ، ١٤٤

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [٦٥].

٢٢٩

﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [٩٦].

[طه]

٢٠٥ ، ١٥٥ ، ١٣٤

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [٥].

١٤٢

﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [٧].

٢٧٧

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى...﴾ [١٣-٩].

الصغرى

السورة والآية

١٤٥ ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ [١٢]

١١٤ ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِرِّ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [١٤]

٢٨٧ ﴿أَن أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ...﴾ [٤٦-٣٩]

٢٥٥ ، ٢٥٣ ، ٢٥١ ، ١٩٢ ، [٥٠] ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [٥٠]

١٨٠ ﴿عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [٥٩]

١٦٧ ﴿وَإِنِّي لَفَقَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [٨٤]

٢٠٦ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [١١٠]

٤٧ ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَن حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [١١١]

٢٦٥ ﴿لِنَقْتَبَهُمْ فِيهِ﴾ [١٣١]

[الأنبياء]

١٧٩ ، ٥٣ ، ٥٢ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ لَفَسَدَتَا...﴾ [٢٢]

١٥٠ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُولٍ...﴾ [٢٥]

١٨٢ ﴿وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [٢٧]

٢٣٦ ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ...﴾ [٤٧]

٦١ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ...﴾ [٤٨ ٤٩]

٢٥٤ ، ٢٥٣ ، ٨٣ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [٧٣]

٨٢ ، ٦١ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ...﴾ [٩٠]

السورة والآية

الصفحة

[الحج]

- ٢٤٦ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ...﴾ [٦].
- ١٢٧ ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ...﴾ [٢٨، ٢٩].
- ١٣٠ ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [٢٩].
- ٢٠٤ ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [٣٠].
- ١٢٨ ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ ...﴾ [٣١].
- ٢٠٤ ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [٣٢].
- ١٣١ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ ...﴾ [٣٤].
- ٢٥١ ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [٥٤].
- ١٩٣ ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ يَخْكُمُ بَيْنَهُمْ ...﴾ [٥٧، ٥٦].
- ١٩٩ ﴿لِيَدْخِلْنَهُمْ مُدْخَلَ رِضْوَنِهِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [٥٩].
- ١٩٥ ﴿الرَّ تَرَأَى اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ...﴾ [٦٣].
- ٤٥ ، ٣٩ ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ ...﴾ [٧٣].

[المؤمنون]

- ١١٢ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ...﴾ [١٠-١١].
- ٩٧ ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [٥١].
- ٦١ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا ...﴾ [٦٠].

الصفحة

السورة والآية

﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ...﴾ [٨٤-٩١]. ١٤٩ ، ٣٣

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [٨٦]. ٢٠٢

﴿مَا آتَاكَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ...﴾ [٩١]. ١٨٠ ، ٥٤ ، ٥١

[النور]

﴿إِذْ تَقُولُ لِلَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...﴾ [١٥]. ١٠٩

﴿يَوْمَ يَدْعُ اللَّهُ تِلْكَ الْأَمْثِلَ الْأُولَى الَّذِينَ ظَنَنُوا أَنَّ اللَّهَ يَدْعُ الْأَمْثِلَ الْأُولَى...﴾ [٩٥]. ٢٤٦

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ [٣٥]. ٢١٨

[الفرقان]

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ [٥٨]. ١٤٢

﴿ثُمَّ أَسْتَوِي عَلَى الْعَرْشِ﴾ [٥٩]. ١٣٤

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ...﴾ [٦٠]. ١٥٥

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا...﴾ [٦٤-٧٤]. ٢٢٧

[الشعراء]

﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أُنَبِّئِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ...﴾ [١١٠]. ٢٧٨

﴿وَمَا رَبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [٩٣]. ١٥٣

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ [٩٤]. ١٥٣

﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ...﴾ [٧٦، ٧٥]. ٢٦١

السورة والآية

الصفحة

﴿قَالُوا أَنْتُمْ مِنْ لَدُنْكَ وَاتَّبَعْنَا أَلْوَنًا﴾ [١٣١].

١٦٠

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ...﴾ [٢١٧-٢١٩].

٢٧٨ ، ١٨٩

[النمل]

﴿وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [٢٣].

٢٠٢

﴿وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرَتًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [٥٠].

٢٧٨

﴿أَمْنَ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ...﴾ [٦٩].

١٠١

﴿أَمْنَ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ...﴾ [٦٤].

١٧٤

﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَنَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾ [٨١].

٢٥٥

﴿وَرَى الْجِبَالِ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ...﴾ [٨٨].

٢٥٧

﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [٨٨].

٢٦٥ ، ٢٥

[القصص]

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ...﴾ [٥].

٢٧٨

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا...﴾ [١٥].

١٠١

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ...﴾ [٤٦].

٢٧٨

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ...﴾ [٥٦].

٢٥٧

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [٦٥].

٢٧٨

الصفحة

السورة والآية

[العنكبوت]

- ٢٧٨ ﴿الرَّ ۝ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا...﴾ [٣-١].
- ١٧٥ ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا...﴾ [١٧].
- ٤٥ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ...﴾ [٤١].
- ١١٤ ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنَهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [٤٥].
- ١٥٣ ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾ [٦١].
- ٢٧٨ ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا...﴾ [٦٩].
- ٢٥٣ ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [٦٩].

[الروم]

- ٢٢٩ ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۝﴾ [٨٧].
- ٢٦ ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ [٨٩].
- ١٩٢ ﴿لَا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ ۝﴾ [٣٠].
- ١١٣ ، ٦٨ ﴿مُتَّبِعِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ...﴾ [٣١].
- ١٧٣ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعِيْثُكُمْ ثُمَّ يُخَيِّكُمْ...﴾ [٤٠].

[لقمان]

- ١٩٥ ﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ...﴾ [١٦].

السورة والآية

الصفحة

- ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾ [٥٥]. ٣٤ ، ١٤٩
- ﴿وَلَوْ أَنَّا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمَ وَالْبَحْرِ يَدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ...﴾ [٥٧]. ١٤٥
- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ...﴾ [٣٠]. ٢٤٦
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ...﴾ [٣١]. ٢٥٦

[السجدة]

- ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ...﴾ [٧]. ٢٥٧
- ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ...﴾ [١٠]. ٢٤٢
- ﴿قُلْ يَتُوفَنَكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [١١]. ١٨٢
- ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا...﴾ [١٧، ١٦]. ٦١
- ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا...﴾ [٤٤]. ٦٦ ، ٢٢٧

[الأحزاب]

- ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ...﴾ [٣٤]. ١٥٩
- ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ...﴾ [٣٩]. ٦٠
- ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [٤٣]. ١٥٤
- ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [٤٤]. ١٥٩
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا...﴾ [٤٦، ٤٥]. ٢٢١
- ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [٥١]. ٢٠٠

الصفحة

السورة والآية

٢١٦

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ...﴾ [٥٩].

[سبا]

٢٠٤ ، ٩٠

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾ [٩٣، ٩٤].

١٧٧

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [٩٦].

١٨٢

﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَسْتَطِيعُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ...﴾ [٣٦].

٢٤٥

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرِ...﴾ [٤٧].

[فاطر]

١٨٣ ، ١٤٨

﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا...﴾ [٩].

١٩٩

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ...﴾ [١٤].

٢٦ ، ٢٢

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...﴾ [٨٥، ٨٦].

٦٠

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [٩٨].

٢٠٣ ، ٢٠٠

﴿إِنَّ اللَّهَ يُنْصِتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَزُولَا...﴾ [٤١].

١٤٣

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [٤٤].

[يس]

٧٧

﴿وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَتَمْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ [١٥].

٢١٦

﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾ [٣٩].

١٥٩

﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [٥٨].

الصفحة

السورة والآية

٢٣٩

﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ أَنَا خَلَقْتَهُ مِنْ نُطْقَةٍ...﴾ [٧٧-٧٩].

٢٤١

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ...﴾ [٧٨-٨٣].

[الصافات]

٢٠١

﴿فَبَشِّرْنَهُ بَعْلِيمٍ حَلِيمٍ﴾ [١٠١].

١٩٣

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ...﴾ [١٧٩، ١٧٧].

[ص]

٢٥٦

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطِلًا...﴾ [٩٧].

١٧١

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ...﴾ [٣٥].

١٧٠

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ...﴾ [٦٥، ٦٦].

١٦٣

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا عُوثُهُمْ أَجْمَعِينَ...﴾ [٨٩، ٨٣].

[الزمر]

٣٢

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الَّذِينَ...﴾ [٣٨].

٧٤

﴿أَلَا لِلَّهِ الَّذِينَ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ...﴾ [٣].

٩٥ ، ٩٣

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [٣].

١٧٠

﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ...﴾ [٤].

٧٤

﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِي...﴾ [٩٣].

٢١٤

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ...﴾ [٣٦].

الصفحة

السورة والآية

- ٢٥٥ ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ...﴾ [٣٧:٣٦].
- ١٤٩ ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [٣٨].
- ١٦٧ ﴿قُلْ يَعِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ...﴾ [٥٣].
- ٦٨ ﴿وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ...﴾ [٥٤].
- ٣٢، ٥ ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ...﴾ [٦٥:٦٤].
- ٢٠٣ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ...﴾ [٦٧].
- ٢١٩ ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ...﴾ [٦٩].

[خافر]

- ٢٤٣ ، ١٥٦ ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [١٦].
- ٢٤٣ ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [١٦].
- ١٦١ ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [٢٨].
- ١٩٢ ﴿إِنَّا لَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [٥١].
- ١٠٤ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ...﴾ [٥٦].
- ٨١ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [٦٠].

[فصلت]

- ٢٥٠ ، ١٣٤ ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [١١].
- ١٨٨ ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ...﴾ [٢٣:٢٢].

الصفحة

السورة والآية

١٠٤

﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ...﴾ [٣٦].

[الشورى]

١٠

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا...﴾ [١٣].

٢٥٢

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [٥٩].

٢٥٤

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا...﴾ [٥٣، ٥٤].

[الزخرف]

١٨٩

﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ [٨٠].

[الأحقاف]

٢٤٩

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي...﴾ [٩].

[محمد]

٢٧٩

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ...﴾ [٦-٤].

٢٥٣

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [٦، ٥].

٢٢٥

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ [١١].

٢٥٣

﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [١٧].

٥٥ ، ٦

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [١٩].

[الفتح]

٢٧٩

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ...﴾ [١٨].

الصفحة

السورة والآية

[الحجرات]

٢٧٩

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ...﴾ [٨٠:٧].

[ق]

٢١

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [٣٧:٢١].

[الذاريات]

٦٦

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ [٩٠:٦٦].

١٧٥ ، ٢٩

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥٦:١٧٥].

[الطور]

٢٧

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ...﴾ [٣٦:٢٧].

[النجم]

١٩٣

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَنِ إِلَّا مَا سَعَى...﴾ [٤١-٣٩:١٩٣].

[الرحمن]

٢٥٠

﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ...﴾ [١٥:٢٥٠].

٢٠٩

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ...﴾ [٢٧:٢٠٩].

٦١

﴿وَلِمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ [٤٦:٦١].

٢١٠

﴿تَبَرَكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [٧٨:٢١٠].

السورة والآية

الصفحة

[الواقعة]

٢٣٨

﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ...﴾ [٥٠:٤٩].

[الحديد]

٣١

﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ [٢-١].

[المجادلة]

٢٧٩ ، ٢٦٥ ، ١٨٩ ، ١٨٥

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا...﴾ [٦].

٢٤٥

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا...﴾ [٦].

٢١٧ ، ١٦٢

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [٦].

٢١٧

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا...﴾ [٧:٦].

١٨٥

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾ [٧].

٦٧

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [١٠].

١٦٣

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَقَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ...﴾ [١١].

[الحشر]

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ...﴾ [٢٢]. ١٤٩ ، ٤٩ ، ٣١

١٥٩ ، ١٥٦

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ﴾ [٢٣].

١٦٦

﴿الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [٢٤].

السورة والآية

الصفحة

[المتحنة]

﴿إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ...﴾ [٤]. ٥٨

[المنافقون]

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا أَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ...﴾ [١]. ٢٤٤

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ...﴾ [٨]. ١٨٤

[التغابن]

﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ...﴾ [١]. ١٥٦

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ...﴾ [٩]. ١٦١

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ...﴾ [٩]. ٢٣٨

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ...﴾ [١١]. ٢٥٣

﴿إِنْ تَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعِفْهُ لَكُمْ...﴾ [١٨، ١٧]. ٢٢٩

[الطلاق]

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ...﴾ [٣]. ٦٧

﴿أَسْكِنُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ...﴾ [٦]. ٢٥٩

[التحريم]

﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ...﴾ [٣]. ١٩٩

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا...﴾ [٨]. ١٦٨

السورة والآية

الصفحة

[الملك]

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [١٤]. ١٨١

[الحاقة]

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [٥٩]. ٧٧

[المعارج]

﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ [٣٩]. ٢٥٧

[نوح]

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا...﴾ [١٠-١٢]. ٧٤

[الجن]

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يُعُودُونَ رِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ...﴾ [٦]. ١٠٥

﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [١٥]. ٢٣٥

[المزمل]

﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَتَذَكَّرُ﴾ [٨]. ٧٧

[المدثر]

﴿فِي جَنَّتٍ يَتَسَاءَلُونَ...﴾ [٤٣-٤٠]. ١١٣

﴿قَالُوا لَمَن نَّكَ مِنَ الْمَصَلِينَ﴾ [٤٢]. ١١٣

الصفحة

السورة والآية

[القيامة]

٢٣٩

﴿يُحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ...﴾ [٤٠:٣].

[الإنسان]

١٣٠

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [٧:٧].

[المرسلات]

٢٦٥

﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [٩٣:٩٣].

٢٣٨

﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأُولَىٰ﴾ [٣٨:٣٨].

[النازعات]

٩٥

﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا...﴾ [٣٣:٩٧].

٦١

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ...﴾ [٤١:٤٠].

[البروج]

٢٢٩

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ...﴾ [١٦:١٦].

٢٢٩

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾ [١٤:١٤].

٢٦٥

﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [١٦:١٦].

[الأعلى]

٧٨ ، ٧٧

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ﴾ [١:١].

٧٨

﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [٣:٨].

الصفحة

السورة والآية

٧٧

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۖ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝﴾ [١٥، ١٤].

[الغاشية]

٢٣

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ...﴾ [٩٠، ١٧].

[البينة]

٦٥

﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...﴾ [٥].

[الزلزلة]

١٩٣

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ...﴾ [٨، ٧].

[الكوثر]

١٣١

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ۖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۝﴾ [٩، ١].

[الإخلاص]

١٤٩

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۖ اللَّهُ الصَّمَدُ...﴾ [٤، ١].

١٤٤

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ [٤].

[العلق]

١٠٤

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝﴾ [١].

[الناس]

١٠٤

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝﴾ [١].

ثَانِيَا: فَهْرَسْ أَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ

الصفحة	المبحث
٢٣٧	أتدرون من المفلس
١١٠	أجعلتني لله ندا
١٥٦	أخنع اسم عند الله
٢٦٧	أسألك بكل اسم هو لك
٩٨	أطب طعمتك يا سعد
١٦٣	أعوذ بعزة الله وقدرته
١٤٢	أعوذ بعزتك
٢١٩	أعوذ بنور وجهك
١٣٢	أفضل الحج العج والثج
٧٨	أفضل الكلام بعد القرآن أربع
٧٩	أفضل كلمة قالها شاعر
٧٣	أفضل ما قلته أنا والنبيون
٧٥	ألا أخبركم بما هو أخوف
١١٣	أمرت أن أقاتل الناس
٢٢٠	إن الله تعالى خلق الخلق
٩٧	إن الله تعالى طيب
٢١٠	إن الله جميل
٢٣٤	إن الله كتب الحسنات والسيئات
٢٢٠	إن الله لا ينام

الحديث

الصفحة

١٥٩ إن الله هو السلام
٢٤١ أن تؤمن بالله وملائكته
٩١ أن تجعل لله ندا
٢١٩ إن ربكم ليس عنده ليل
٦٧ أن سبعين ألفاً من أمته يدخلون
١٣٤ إن قلوب بني آدم
١١١ إن وجه دينكم الصلاة
١٧٢، ١٧١ إن يمين الله ملأى
١١٠ أن يهوديا أتى
٦٥ أنا أغنى الشركاء
١٥٤ أنا الرحمن خلقت الرحم
٢٣٨ أنا سيد الناس
٢٦١ أنت الأول فليس قبلك شيء
٢٦٣ إنك حميد مجيد
١٠٣ إنه لا يستغاث بي
١٢٥ إني أعلم أنك حجر
١٧٦ إني والإنس والجن
١٣١ أوف بنذرك
١٨٦ أيها الناس أربعوا على أنفسكم
٧٧ اجعلوها في ركوعكم
٧٨ اجعلوها في سجودكم

الحديث

الصفحة

٩١ احفظ الله يحفظك
٢١٨ استح من الله استحياءك
٢٤٦ استح من الله عز وجل
١٥٥ اكتب بسم الله الرحمن الرحيم
١٦٣ بينا أيوب عليه السلام
١٣٦ تركتكم على المحجة البيضاء
٥٦ ثلاث من كن فيه
١٢٣ الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة
٢١٢ حجاب النور
٢٥٠ خلق الله الملائكة
١٢٠ خلوف فم الصائم أطيب عند الله
٨٥ الدعاء مخ العبادة
٨٢ الدعاء هو العبادة
٢٦٧ سبحانك لا أحصي ثناء عليك
١٤٨ سبحانك لا نحصي ثناء عليك
٩٢ سلوا الله في كل شيء
٩٨ سيكون قوم يعتدون في الطهور
٢٤٥، ٢١٨ صريح الإيمان أن تعلم
١١١ الصلاة نور
١١٥ الصلاة وما ملكت أيمانكم
١٢١ الصيام جنة

الحديث

الصفحة

العظمة إزاري	٢٠٢، ١٦٥
عليك بجوامع الدعاء	٩٩
العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة	١١٤
قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما	١٣٦
كان إذا هبت الريح	٦٢
كان يقرأ بهما في صلاة الفجر	٣٢
كذبني ابن آدم	٢٥٩
كل عمل ابن آدم له إلا الصيام	١١٩
كلمتان خفيفتان على اللسان	٧٩، ٧٨
لأن أحلف بالله كاذبا	١٠٧
لا أحد أصبر على أذى سمعه	٢٥٨
لا أحصي ثناء عليك	٢١٢
لا ألفين أحدكم يجيء	١٠٣
لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد	١١٨
لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان	١١٠
لا تنذروا فإن النذر	١٣٠
لا يا ابنة الصديق	٦١
لتؤذن الحقوق	٢٣٧
لعن الله من ذبح لغير الله	١٣٢
لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر	١٣٦
لقد عرض علي عذابكم	٦٢

الحديث

الصفحة

٩٣ اللهم إنا كنا نتوسل إليك
١٥٩ اللهم أنت السلام
١٦٩ اللهم أنت ربي
٢٥٢ اللهم إني أسألك التقى
٢٣٦، ١٩١ اللهم إني عبدك
٢٥٢ اللهم رب جبريل
٢٦٢ اللهم ربنا لك الحمد ملء
٢٤٧، ٢١٩ اللهم لك الحمد أنت نور
١٧٦ اللهم ما أصبح بي من نعمة
١٩٨ اللهم ما رزقتني مما أحب
١٨٧ ما أذن الله لشيء
١٣٦ ما بعث الله من نبي
٧٤ ما عبد الله بشيء
٢٢٦ من أحب لله
١٠٧ من حلف بغير الله
٧٤ من شغله قراءة القرآن
٢٢٦ من عادى لي وليا
١٣٠ من نذر أن يطيع الله
١٠٦ من نزل منزلا فقال أعوذ
١٠١ من نفس عن مؤمن كربة
١١٧ نهى عن اتخاذ القبور مساجد

الصفحة

الميت

١٣٠	هل كان فيه صنم يعبد
١١٠	هو الشرك أخفى
١٦٣	وعزتي وكبريائي
١١٨	ولولا ذلك لأبرز قبره
٩٨	يا أيها الناس أربعوا
١٦٨	يا ابن آدم إنك لو أتيتني
١٦٧	يا عبادي إنكم تخطئون
٢٣٦	يا عبادي إني حرمت
١٧٥	يا عبادي كلكم ضال
١٧١	يا عبادي لو أن أولكم
١٣٤	يضع الجبار قدمه
١٥٦	يقبض الله الأرض
٩٩	ينزل ربنا تبارك وتعالى

*** **

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٣	تقديم بقلم فضيلة الشيخ: فتحي أمين عثمان.....
٥	مقدمة المُعد.....
٩	تمهيد.....
١٧	وجود الله عز وجل.....
٢٩	توحيد الله عز وجل.....
٥٦	العبادة.....
٥٦	العبادات القلبية.....
٦٩	العبادات القولية.....
٨١	الدعاء.....
١٠١	الاستغاثة.....
١٠٤	الاستعاذة.....
١١١	العبادات البدنية.....
١٢٧	العبادات المالية.....
١٣٣	توحيد الأسماء والصفات.....
١٣٩	القواعد والأسس في معرفة توحيد الأسماء والصفات.....

الموضوع	الصفحة
الأسماء الحسنى.....	١٤٧
قواعد هامة في باب الصفات.....	٢٦٤
فهرس الآيات.....	٢٨١
فهرس الأحاديث والآثار.....	٣١٣
فهرس المحتويات.....	٣١٩

